أبحث عن ظلّ

الكتاب: أبحث عن ظل

تأليف: عصام سلطان

الإخراج الداخلي: القسم الفني بالدار

تدقيق لغوي: أمل عبد الله حسن

تصميم الغلاف: محمد علي

الطبعة الأولى: 2023

رقم الإيداع: 23750/ 2202م

الترقيم الدولي: 9789778639940

دار القاهرة اليوم

مزاج الكتب للنشر والتوزيع

ج.م.ع

الإسكندرية

Email: mazagelkotob@gmail.com

Mobile: 01024541339

أبحث عن ظلّ

روايـــة

عصام سلطان

المقدمة

كل شيء يسير في الطريق الصحيح حتى تفقد عزيزًا لك، عندها ستصغر كبائر الأمور في عينيك حتى يعود غائبك.. أدعوك أن تتوقف عن البحث وأن تقنع أن الراحلون..

لا يعودون.

السابع عشر من أغسطس عام ألف وتسعمائة وخمسة وعشرون

(سبعة أعوام بعد الحرب العالمية الأولى)

منامٌ مزعج جدًّا.. كم الساعة الآن؟.. أووه! لقد تأخرت عن موعدي كثيرًا.. لحظة أي موعد؟!.. نعم نعم تذكرت، ليس لدي أي مواعيد اليوم، أنا فقط مصاب ببعض الفزع من منامي المزعج هنا حيث لوس أنجلوس والطقس حار.. غرفة بسيطة داخل أحد الفنادق القديمة، بشكل أدق غرفة كئيبة ألوان، رمادية باهتة، قطع أثاث منذ عام ١٨٨٠م صمّمها مهندس الديكور، هكذا يبدو أنها مخصصة لإقامة السياسيين الأغبياء فهم ليس لديهم أي إحساس سوى المنصب، السلطة، المال.. أنا أجذم أن إبراهام لينكولن أقام في هذه الغرفة لكن هناك نافذة كبيرة في غرفتي وهذا لا يُبشّر بالخير؛ فهي تطل على مصنع لإعادة تدوير المعادن ومخلفات الحرب.. مشهد مروّع! أفران صهر الحديد وو... لحظة، أين قهوتي؟.. لا أمل في هذا الفندق، الهاتف أيضًا معطّل، سأضطر إلى النزول لطلب قهوتي بنفسي.. إنه الصيف المزعج في لوس أنجلوس، حسنًا سأرتدي ملابسي وأذهب إلى المقهى الخاص بالفندق حتى الدرج مزعج هنا كأنه تحطم بفعل قذائف الحرب لكن على أي حال هذا لم يحدث، إنه الإهمال

تسـبب في تأكلـه مـع مـرور الوقـت، هنـا حيـث فنـدق «مبلتـوم بـل» يسـتوقفني عامـل الهواتـف ويتحـدث: أووه سـيد جونسـون، إلى أيـن أنـت ذاهـب، كنـتُ متوجهًـا إلى غرفتـك لفحـص بعـض الأسـلاك الخاصـة بهاتفـك. حسـنًا لا عليـك يـا سـيدي، أنـا ذاهـب إلى المقهـى لطلـب قهـوتي. يـرد بابتسـامه وتعـرّق: تصحبـك السـلامة. بعـد معانـاة مـع درج الفنـدق هـا قـد وصلـت إلى المقهـى.. ينظـر إليّ النـادل مـن بعيـد ثـم يـأتي وهـو يحمـل فنجـان القهـوة دون أن أشـير إليـه كأن الأمـر أصبـح روتينيًّـا بالنسـبة لـه.. مـع أول رشـفة، القهـوة بـاردة! كأنـه منامـي المزعـج مـن جديـد.. أنـا في لـوس أنجلـوس، في أسـخن بقـاع الأرض أحتـسي قهـوتي بـاردة كأن المنـام لم ينتـهِ.. لقـد رأيـتُ أننـي أمـشي وأشـاهد ظـلًّا لفتـاة عـلى حائـط مشـوّه عليـه لافتـة محترقـة لم يبـقَ منهـا سـوى حـرف إل ورقـم ٦، ثـم يظهـر الظـل ويحملنـي بعيـدًا وو... «سـيد جونسـون، نحـن سـعداء بإقامتـك معنـا»، أرفـع رأسي وأنظـر إلى الصـوت الـذي قـال ذلـك، نعـم إنـه السـيد أليكـس اللعـين مديـر الفنـدق ومالكـه.. «سـيد جونسـون، لماذا لا تتفـوّه بـأي كلمـة، هـل هنـاك خطـب مـا؟».. حسـنًا يـا سـيدي إن فندقكـم يفتقـر لـكل شيء، إلى جانـب أنـه ليـس مكانًـا مناسـبًا للعيش عـلى الإطـلاق، لكـن أنـا مضطـر للإقامـة هنـا لأننـي لا أملـك الكثـير مـن المـال للإقامـة في فنـدق آخـر بـه خدمـة أفضـل. ابتسـم ابتسـامة صفـراء ثـم قـال: «يسـعدنا إقامتـك».. وذهـب ليقـوم بممارسـة عادته اليوميـة؛ التحـرش بالآنسـة جـين عاملـة الريسبشـن، إنهـا فتـاة في الخامسـة والعشريـن مـن عمرهـا، تمتلـك جسـدًا نحيفًـا ولا يوجـد بها أي شيء يثـير غريـزة الرجـال، وتنحـدر مـن أصـول فرنسـية لكنهـا

ليست جميلة.. ما زالت تنظر له في ازدراء، مَن التي قد تتجاوب مع رجل بدين في الخمسينيات من عمره؟! بخيل بالرغم من تكدّس الأموال في خزانته! الأمر أصعب من تناول وجبة من الضفادع في مقاطعة ما في الصين الشعبية.. ما زال يضحك كثيرًا وبدون أسباب ويحاول أن يصطحبها معه إلى غرفته وهي ترفض كالعادة حتى يقوم بزيادة المال لها، الأمر لا يتعلق بالقيم أو المبادئ الأمر يتعلق فقط بالمال، ثم ينتهي المشهد الذي يحكمه الفقر وهي تذهب في طريقها إلى غرفته وفي يدها دولارين فقط وبضع سنتات، نعم دولارين فقط قد تبيع مقابلهم أي شيء فأنت في بلد الرأسمالية اللعينة. نظر إليّ النادل وابتسم، وهو يُدعى فلويد، رجل ذو بشرة سمراء ينحدر من أصول أفريقية، يبتسم بخجل شديد من هذه الأفعال.. طرحتُ عليه سؤالًا: لماذا تبتسم؟! لم يُجب، ثم أردفتُ قائلًا: إلى متى ستظل هنا تعمل كنادل في الفندق السيء هذا؟ أشار إلى أنه لا يعلم، فقلت له متى ستحصل على حقوقك يا صديقي؟ متى تكون إنسانًا كاملًا؟.. عندها قال كلمات مهمة، قال: أنا إنسان يا سيد جونسون، سواء كنتُ أبيض أو أسود القوانين لن تغير شيئًا، في كل الأحوال لقد خلقني الرب إنسانًا وأبدع خلقي، ولعلك تعلم هذه الأمور جيدًا فما قيمة الحياة بدون اللون الأسود؟ ما قيمة الحياة بدون القهوة؟ ما قيمة الضوء إذا لم يكن هناك ظلام حالك يُشعرك بضوء قداحتك الخافت الضعيف الذي يترنح مع نسيم الهواء وقد ينطفئ؟.. ابتسمتُ من أجل هذه الكلمات التي قالها فلويد، كانت محاضرة جيدة عن الإنسانية.. لم تمضِ لحظات

حتى عاد فلويد ينظر إليّ وهو يشعر بالخجل، فصوت الآنسة جين نسمعه من هنا وهي تضحك.. انتهى فنجان قهوتي، قمتُ من على الكرسي أنظر من جديد للفندق اللعين، هذا المكان الذي يصيبني بالإحباط؛ البهو الرئيس متسخ دائمًا، لا يوجد عمّال نظافة هنا، الجميع يخدم نفسه، ستائر تغير لونها بفعل الأتربة، الأرضيات رخامية كانت في الأصل لونها أزرق تحول إلى رمادي، أعمدة تشبه الأعمدة الرومانية وصورة السيد أليكس معلّقة على إحدى الجدران، ومكتب صغير للآنسة جين عليه بعض الأوراق ورباط الشعر الخاص بها التي اعتادت أن تقوم بإفلاته قبل التوجه إلى غرفة أليكس، وفي المقابل المقهى وبجواره السلم، وتحت السلم باب صغير، وهذه غرفة أليكس.. لا شيء هنا أحب رؤيته على الإطلاق سوى فلويد؛ فهو يقوم بتصفيف شعره يوميًّا وارتداء ملابس نظيفة وكيّ ملابسه جيدًا والاهتمام بربطة عنقه، ولعل ما يجعلني أحتسي القهوة هنا في الفندق هو مظهر المقهى الذي يبدو كأنه بيت فلويد، فهو يعتني به، يصفّ الكؤوس بالترتيب من الأصغر للأكبر وكذلك زجاجات النبيذ والويسكي والجعة بناءً على سعرهم وجودتهم ومدة التعتيق وأيضًا تبدو فناجين القهوة لامعة وناصحة البياض وهو يضعها مقلوبة في أغلب الوقت حتى لا تسقط عليها بعض الأتربة من السقف الذي تهالك والذي بحاجة إلى ترميم وإعادة دهان.

الآن ماذا سأفعل؟ هل أصعد إلى غرفتي وأتابع جنوني بالفرشاة في رسم أمور لم ولن يفهمها أحد على الإطلاق، لذلك لوحاتي لم تحقق أي أرباح في أي معرض من قبل، لكن في إحدى المرات

جاءت سيدة عجوز وقامت بشراء إحدى لوحاتي وأنا أجزم أنها لم ترَ اللوحة من شدة كهولتها، لكن ما زال لديّ القليل من المال لأعيش به وإلا سأضطر للعمل مكان فلويد في المقهى لأستطيع العيش ومواصلة الحياة السيئة؛ لذا يجب أن أقوم ببيع إحدى لوحاتي اللعينة، لا بديل لديّ سوى أن أصعد إلى غرفتي وأفكر في حل لمعادلة فقري الصعبة.. لا شيء في الغرفة في مكانه، الفوضى هي المسيطر الوحيد على المشهد، أين فرشاتي وقلمي؟ أووه! لقد عاد الهاتف للعمل، أكاد أسمع صوته يرن لكن بالتأكيد ليست مكالمة من أجلي، أظن أن أحدهم اتصل على سبيل الخطأ.. نعم صحيح إنه أنا.. حسنًا سوف أحضر في الموعد، من فضلك أعطيني العنوان من جديد لأقوم بتدوينه.. حسنًا إلى اللقاء.

إنه الأمل من جديد؛ أحدهم يريد حضوري في معرض في مدينة نيويورك بعد يومين لذا علي تجهيز بعض اللوحات لعرضها.. ماهو توقيت المعرض؟ نعم تذكرت، الساعة السابعة مساءً، توقيت رائع، سيكون جميع الحضور مخمورين ولن يرى أحد أي لوحة بشكل صحيح لكن لن يطلق أحد على نفسه لقب جاهل بالفنون سيدفع مبلغًا كبيرًا مقابل لوحة لم يفهم معناها في سبيل أن لا يقال عنه أنه غير مدرك لعظمة الفن وهذه الأمور، إنها معادلة منطقية لدى الطبقة الأرستقراطية الحمقاء، لا يهم أن أبحث عن أي مصدر للمال حتى وإن كنت سأشعر بالإهانة كرسام عندما لا يفهم أحد ما أقوم برسمه، الآن أنا بحاجة إلى بعض التركيز داخل أعماقي، سأجلس بجوار النافذة

وأطلب قهوتي من جديد وأشعل سيجاري الرديء في محاولة للوصول لمشهد جيد أقوم برسمه.

انتهى وقت العمل في مصنع تدوير المعادن المجاور للفندق، العمال يخرجون واحدًا تلو الآخر، الفقر يأكل أجسادهم النحيلة، يتصببون عرقًا ويأخذون أجورهم الضئيلة وينصرفون هنا حيث القهر، وأنا أجزم أنهم يموتون واحدًا تلو الآخر وبشكل يومي في هذا العمل الغير آدمي، لكن الفقر يفرض عليك معادلته وغريزة البقاء تجبرك على أن تقوم بأي شيء لتبقى كل الخطايا ليست أشد مما آراه الآن، شيء يصيبك بالجنون عندما يدفع العالم نتيجة أفعاله الجنونية، الملايين صُرفت على صناعة السلاح من أجل الحرب، مئات الآلاف قُتلوا ومع ذلك العالم عاجز عن توفير عمل آدمي للمئات الذين احترقت أجسادهم بفعل النار والمعادن المنصهرة هنا في لوس أنجلوس التي تُدعى مدينة الملائكة، لكن هناك أيضًا الكثير من الشياطين، إنه مشهد قاسٍ حقًّا، لذلك ستكون أول لوحاتي عن معاناة عمال هذا المصنع، الآن هم يقفون مصطفين لا يستطيع أحد أن يتحدث حتى يأتي دوره ويأخذ القليل من المال وينصرف، واحدًا تلو الآخر، ويعطيهم المال رجل بدين يجلس على كرسي خشبي وفي يده مشروب ما لا يهتم بالوقت.. أحد العمال يمد يده لكي يأخذ المال ولكن هذا البدين غير منتبه له، ينظر إلى سيدة تسير في هذا المكان الكئيب، تتوقف وتنظر له وتسأله عن أمر ما فيقوم بالإشارة إلى الفندق، كأنها تسأل عن فندقنا السيء بكل ما تحمل الكلمة من معنى، تمشي السيدة في اتجاه الفندق وهو يتبعها بنظراته ويبتسم ابتسامة بلهاء والعمال

ينتظـرون أن يعـود ويعطيهـم أجورهـم وهـو لا يكـترث وهـي أيضًـا لا تكـترث لـكل ذلـك، وأنـا ألاحـظ أنهـا لا تحمـل حقائـب أو أي أمتعـة، ممـا يعنـي أنهـا لـن تقيـم في فندقنـا، أعتقـد أنهـا إحـدى عاهـرات السـيد أليكـس، أكاد أسـمع صوتـه اللعـين وهـو يُرحّـب بهـا بنبرتـه المرتفعـة المزعجـة ويداعـب أعضائـه التناسـلية بيـده، إذن لـن يطـول الأمـر حتـى تصبـح في فراشـه.

يعـود الهاتـف يـرن مـن جديـد كأنهـم أصلحـوه لكـي يُزعجنـي، أذهـب إليـه مسرعًـا وأصطـدم بـكل شيء في طريقـي وتسـقط بعـض الألـوان عـلى الأرض، إنـه أمـر سيء للغايـة!.. نعـم نعـم، حسـنًا أنـا قـادم، لمـاذا تتحـدث جـين إليّ بهـذه الطريقـة السـيئة؟! قالـت إن أحدهـم يريـد رؤيتـي، سـأضطر للنـزول مـن جديـد عـلى السـلم الـسيء، سـأصاب بتـورّم في قدمـاي بسـببه قبـل وصـولي لبهـو الفنـدق.. أشـاهد السـيدة نفسـها تقـف إلى جانـب السـيد أليكـس ويشـير إليهـا بيـده نحـوي ويقـول: «لقـد آتـى»، ثـم يعـود ويُكمـل حديثـه معهـا وهـي لا تهتـم لمـا يقـول وتنظـر إلي وتتبعنـي بنظراتهـا وأنـا أُظهـر أننـي غـير مكـترث وأسـترق النظـر إليهـا، ثـم تعيـد وتديـر وجههـا عنـي كأنهـا لا تقصـد النظـر نحـوي.. تبقّـت خمسـة وعـشرون درجـة حتـى أصـل إلى الأسـفل، كأنهـم خمسـة وعـشرون عامًـا، لقـد تعـوّدت السـير بهـدوء، لا أنظـر إلى الأسـفل لكـن أعلـم أنهـا مـا زالـت تنظـر إليّ، فظلّهـا يظهـر أمامـي وهـي لا تعلـم ذلـك، ترفـع رأسـها للأعـلى كأنهـا تتـضرع للسـماء، وأنـا خطـواتي تتثاقـل كلـما لاحظـت أنهـا تُطيـل النظـر.. هـذه السـيدة تُـرضي غـروري بشـكل كبـير وأنـا أعلـم أنهـا تقـوم بذلـك عـن عمـد، إنهـا تريـد أن

تُـرضي غـروري حقًّـا لسـبب لا أعلمـه، وهـذا الأمـر تفعلـه أغلـب النســاء الــلاوتي يكُــنّ لديهــن معرفــة كبــيرة بطبيعــة الرجــال.. قبــل أن نتحـدث فيـما جـاءت مـن أجلـه تضعنـي مـا بـين قلبهـا وجسـدها لكـي أحـترق.. لقـد وصلـت إلى آخـر درجـة كأنهـا مائـة عـام أخـرى حتـى أصـل إليهـا.. مـا زال السـيد أليكـس يتحـدث ويثرثـر ومـا زالـت السـيدة تتبعنـي بعدمـا أصبـح وجهـي مقابـل لوجههـا، ثـم قال السـيد أليكـس: «أودّ أن أعرّفـك عـلى السـيدة مـاري، إنهـا جـاءت مـن أجلـك».. في اسـتغراب ودهشـة أصافحهـا: «لقـد سُررتُ بذلـك سـيدتي». ثـم تحدثـت بصوتهـا الناعـم وقالـت: «سـيد جونسـون، لقـد شـاهدت إحـدى لوحاتـك في معـرض في نيويـورك»، ثـم نظـرت إلى السـيد أليكـس وهـي تقـول لـه: «أشـكرك جزيـل الشـكر، سـوف أتحـدث مـع السـيد جونسـون وأنـصرف عـلى الفـور»، ثـم عـاودت النظـر إلي وأنـا أطيـل النظـر فيهـا وقـد نسـيتُ مـا الـذي تحدثـت عنـه.. سـيد جونسـون، هـل تفكـر في شيء؟.. لا، كُلّي آذان صاغيـة، مـا رأيـك في اللوحـة التـي شـاهدتيها لي مـن قبـل؟.. لقـد كان ذلـك مـن العـام المـاضي وكنـتُ قـد دوّنـت عليهـا اسـمك وعنـوان الفنـدق ورقـم الهاتـف، كانـت لوحـة رائعـة جـدًّا لذلـك جئـت إليـك أريـد شراء لوحـة أخـرى، هـل تقـوم برسـم لوحـات دينيـة؟.. نعـم نعـم، أقـوم برسـم هـذه اللوحـات. إذن أريـد لوحـة بـدون ألـوان، بالأبيض والأسـود، للسـيد المسـيح يصـارع الشـيطان هـذا هـو تخيُّـلي، هـل يمكنـك رسـمها مـن أجـلي؟.. نعـم، الأمـر بسـيط، سـوف أعكـف عليهـا طـوال الليـل وغـدًا أكـون قـد انتهيـت منهـا ويمكننـا أن نلتقـي غـدًا. حسـنًا، شـكرًا لـك سـيد جونسـون سـوف أتي غـدًا.

انصرفت السيدة الجميلة وأنا في سعادة كبيرة ما بين أنني سوف أحصل على المال مقابل اللوحة التي سأقوم برسمها وما بين أنها سيدة جميلة من الممكن أن تكون في فراشي في القريب العاجل، أعتقد أن أليكس اللعين قد فرض ثقافة ممارسة الرزيلة في كل أرجاء الفندق أو أن المعادلة صحيحة وهي من تفرض نفسها علينا، إن المجتمعات التي تعاني من الفقر الشديد لا تملك سوى الجنس والشعائر الدينية للحصول على النشوة المجانية، لكن بالرغم من ما حدث أو ما سيحدث لن أفقد القيم والمبادئ التي أملكها، لكن عندما يتعلق الأمر بالسيدة ماري فأنا أضع نفسي في خانة أليكس.. الأمر أشبه بمقارنة لوحتين للرسام نفسه بالألوان نفسها والمشهد المرسوم نفسه، لكن المقارنة في كل الأحوال لن تصحّ لأن شعور الرسام مختلف في اللوحتين، مختلف ويظهر بوضوح، وهنا لا يمكن أن أقارن نفسي بـ أليكس؛ فهو يمارس الجنس باستخدام السلطة والمال وبدون قيود أو أخلاقيات، وهذا الأمر أنا لا أفعله، فهو يُذكّرني بمن يسرق ويُطعم نفسه ومن يسرق الفقراء فيزدادون فقرًا، ولكن القانون يقول إن هناك سارق واحد سوف يُحاسب على سرقته، لكن ما علاقة كل ذلك بلوحتي؟! أمر غريب! أعتقد أنني أصبحتُ أعاني من نزعة أفلاطونية، الفلسفة تسيطر على جونسون الفقير السيء، الفلسفة لا تقدم خبزًا ساخنًا لكنها تُقدّم سجنًا ضيقًا، عندها سأضطر لأكل أي نوع من الخبز.. الآن علي الصعود إلى غرفتي من جديد لرسم اللوحة التي طلبتها ماري، أصبحت أحب هذا السلم لأنه يُذكّرني بنظراتها التي كانت تتبعني بها.

وها قد عدتُ من جديد.. الفوضى هي المسيطر الوحيد على المشهد في غرفتي، لا يوجد إبداع في مكان منظم، كل العباقرة عبر التاريخ كانوا يعيشون في مكان فوضوي غير مكترثين سوى بما سيقدموه من إبداع وعلم وما إلى ذلك، وعلينا أن نتخيل أنه إذا كان أينشتاين يستغرق ساعات طويلة في تصفيف شعره ماذا كان سيحدث وقتها وماذا كانت ستفقد البشرية من علم ومعرفة؟!..

لا أقول إنني بعبقرية ألبرت أينشتاين ولكن هو لا يستطيع الرسم خاصةً إذا كانت لوحة دينية للسيدة الجميلة ماري وفي هذه المدينة الساحرة مدينة الملائكة، قيل أن على الشاطئ كانت تهبط الملائكة لتأخذ رسائل العشاق التي ألقيت في البحر وتحملها وتصعد بها إلى الملكوت لكي يتم تحقيق هذه الأمنيات العظيمة التي كُتبت تحديدًا في سنوات الحرب، فكم فتاة فقدت قطعة من روحها مع إطلاق الرصاصة الأولى لهذه الحرب اللعينة، لكن كل ذلك لا يفيد.. عليّ التركيز الآن في هذا العمل الفني والسيدة ماري والمسيح الذي يصارع الشيطان، لطالما أبغضتُ الشعائر الدينية لأنها لا تُعطي مساحة للإبداع.. افعل ما تأمر به الكنيسة كي يرضى الرب وإن كنت تفعل شيئًا لا يفيد البشر أو الإنسانية بشكل عام، والأمر هنا لا يتعلق بجوهر المقدسات، الأمر يتعلق فقط بالتجارة، قدم قطع الذهب لكي ترضى عنك ألهة الإغريق، الجميع في هذه الحرب كان يحمل شعار الحرب المقدسة، أمر غريب أن يُذكر في الكتاب المقدس «إذا ضربك أحدهم على خدك الأيمن فامدد له الأيسر»! عليك أن تُجرّب أن تفعلها وسيصبح الأمر شجارًا عنيفًا.. لا أبالي لكل ذلك أنا الآن

أهتـم فقـط بلوحتـي الجديـدة والسـيدة مـاري ذات الفسـتان الأسـود والجسـد الملائكـي المثـير المحـرك لـكل غرائـز الرجولـة داخـلي.

كبدايـة هـذه اللوحـة البيضـاء وقلمـي الأسـود.. يـد السـيد المسـيح ترتفـع للأعـلى، تتشـابك مـع يـد الشـيطان في محاولـة لإبعـاده ودفعـه للخلـف، نظـرات التحـدي والقـوة في أعينهـم الحدقـة السـوداء، في أعينهـم تُعـبّر عـن شيء، أن الـصراع لـن ينتهـي إلى الأبـد.. لا ألـوان في لوحتـي، فقـط الأبيـض والأسـود، الخـير والـشر، الحـب والكراهيـة، المـوت والحيـاة، الجنـة والجحيـم، البقـاء والفنـاء، الجسـد والـروح، الأرض والسـماء، الحـزن والسـعادة. المسـاحة خلـف المسـيح تُعـبّر عن أنـه متقـدم بخطـوة واحـدة والشـيطان متراجـع بخطـوة واحـدة أيضًـا وعـلى رأس الشـيطان يظهـر التعـرُّق وفي عيونـه الغضـب والكراهيـة واليـأس، وفي وجـه المسـيح الأبيـض السـلام والحـب والهـدوء والسـكينة، فالمعركـة محسـومة لصالحـه مـن قبـل أن يُخلـق النعيـم والجحيـم ومـن قبـل أن أمسـك فرشـاتي وقلمـي وأرسـم، ومـن قبـل أن تعـبر السـيدة مـاري الطريـق وتصـل إلى بـاب فندقنـا، مـن قبـل أن تتصـل بي جـين وتخـبرني أن أحدهـم يريـد رؤيتـي، ومـن قبـل أن يرفـع السـيد أليكـس يـده ويصافحهـا، ومـن قبـل أن أسـير الخمسـة وعـشرون درجـة متوجهًـا إليهـم، ومـن قبـل أن أقطـع الخمسـة وعـشرون عامًـا وهـي تُطيـل النظـر وتبتسـم، وأتقـدم عامًـا بعـد عـام كأننـي أرى عظمتهـا في كل عـام وخطـوة إليهـا.. والآن انتهيـتُ مـن جـزء كبـير في لوحتـي وهُـزم الشـيطان وهُزمـت معـه لكـن المعركـة لم تنتـهِ بـين الشـيطان والمسـيح وبينـي وبـين مـاري، بالرغـم مـن محـاولات قتـلي بنظراتهـا واخـتراق ضلوعـي بصوتهـا لم تنتـهِ المعركـة،

لكنني انتهيتُ من لوحتي تمامًا وتبقّى أن أكتب لها إهداء لعلها تعود مرة أخرى أو يرث أحدهم اللوحة فتعبر من جيل لجيل..

إهداء إلى السيدة/ ماري

بريشة الرسام/ جونسون ديفلوفيك، لوس أنجلوس، السابع عشر من أغسطس، الساعة العاشرة مساءً.

***

وهكذا انتهى يومي وانتهت لوحتي الساعة العاشرة مساءً.. طقس لوس أنجلوس الحار، ضجيج السكارى في الحانات وضحكات فتيات الليل المحمّلة بالآلم الذي يشعر به الجميع، التسكّع في الطرقات والسهر في الحانات ومرافقة العاهرات.. إنها الوسيلة الوحيدة للهروب من الواقع وصعوبات العيش، أن تعطيك إحداهن جسدها مقابل القليل من المال، ويعد هذا أحد أكثر المشاهد حقارة في التاريخ بعد ما تفعله أمريكا في أعدائها والقهوة الباردة في لوس أنجلوس. كنت في إحدى الرحلات للشرق الأوسط منذ سنوات فقرأت مقولة دوّنها أحدهم على جدار منزل دمّرته الحرب، كانت تقول: «إن الحياة تُميت الضعفاء».. أعتقدُ أنه كتبها بعد ما تدمر منزله، لكن الأصعب من ذلك هو أن تكون ضعيفًا ومجبرًا على العيش والتفاعل مع الحياة بكل ألوانها بالرغم من رؤيتك الغير واضحة للمستقبل، كالحلم الذي رأيته في منامي وو... كأنني أسمع صوتًا غريبًا! أحدهم يصرخ ويستغيث.. الموظفين في الفندق.. لا يوجد أحد، الجميع يذهب إلى الحانة المجاورة تقريبًا في هذا الوقت، لا يوجد سوى جين، حسنًا الأمر مريب! عليّ إجراء اتصال، أين الهاتف

اللعين؟.. جونسون يتحدث، إنني أسمع صراخ أحدهم، أظن أنه قادم من الأسفل، هل هناك شيء ما في الغرف المجاورة؟.. نعم إنه صوت الحانة. حسنًا حسنًا.

جين قالت إن هذا الصوت من الحانة المجاورة، لكنني أستطيع التفرقة بين أصوات الصراخ والضحك وأصوات الاستغاثة، كأنه أنين أحدهم اقترب من النافذة، قد يكون سطوًا من أحد اللصوص على أحد المارة في الطريق.. لكن الطريق خالٍ تمامًا والصوت أصبح أقوى من النافذة، هناك أيضًا ضوء خافت يظهر داخل مصنع تدوير المعادن والمنزل المجاور للفندق مغلق من شهور، وأيضًا متجر السيد روبن لتجارة التبغ والخمور مغلق.. الصوت أقرب إلى مصنع تدوير المعادن والضوء الخافت، كأن أحدهم عالق هناك.. علي أن أفكر سريعًا، ماذا أفعل؟ هل أقوم بدور المحقق الذي يبحث عن خيوط لقضية ما وأذهب إلى هناك أم أتجاهل الصوت؟.. لا لن أتجاهل الصوت، أين المصباح الليلي؟ تذكرت، إنه في خزانة الملابس، عليّ ارتداء ملابسي أيضًا، نعم هذه الملابس.

وأنا في عجلة من أمري أخرج من غرفتي يستوقفني السيد ويلز المقيم في الغرفة المجاورة، ينظر إلي في دهشة.. أووه! سيد جونسون أين تذهب؟ من المفترض أنك نائم في هذا الوقت! أنا فقط ذاهب لشراء بعض السيجار. ولماذا تحمل المصباح الليلي؟!.. في العادة يكون السلم مظلم وأنت تعلم أنه غير سوي. حسنًا تصحبك السلامة..نظرات السيد ويلز مريبة، يبدو وجهه شاحبًا كأنه خائف من شيء، اعتقدتُ كثيرًا أن هذا

الرجل يتعاطى نوع من المخدر وهذا سبب اصفرار وجهه دائمًا، كأن الدماء لا تسير في عروقه.

وصلتُ إلى الريسبشن، جين تنظر إلي وتبتسم ابتسامة صفراء وبها بعض الاستغراب أيضًا، لا أعتقد أنها تريد مني التحدث معها فهي تعلم أنني لا أتحدث كثيرًا إلا مع نفسي.. لحظة، أين السيد أليكس؟ أعتقد أنه في هذه الساعة المتأخرة من المفترض أن يقوم بعادته اليومية مع جين، لكن أيضًا لست مكترثًا لهذه الأمور، أنا لدي فضول وشعور إنساني أيضًا في أن أعلم مَن الذي يستغيث وما هو مصيره، الآن أقطع الطريق، وكما توقعت أن باب المصنع مغلق بإحكام لكن الجدار المحيط بالمصنع منخفض، فقط قفزة قوية وأكون ممسك به.. جونسون اللعين شغفك بالعثور على الأمور الغريبة سيهوي بك إلى الجحيم في يوم ما.. اصمت قليلًا وصلنا إلى الجانب الآخر ولكن أين هو الضوء الخافت، صحيح إنه هناك، لا أستطيع الركض بشكل جيد فأنا اعتدتُ التدخين بشراهة حتى أصبحتُ الأضعف في هذه الأمور.. الضوء أصبح أقوى، نعم إنه هناك لكنني لا أرى ملامحه بشكل جيد.. كأنه رجل في العقد الأخير من عمره يجلس على كرسي خشبي، لكن لماذا يصرخ؟! يا هذا، ماذا حل بك؟ سأصلي للرب أنه أرسلك إليّ. لماذا أنت مُقيد هكذا؟ ماذا حدث لك؟ سأروي لك كل شيء لكن حررني من قيودي. حسنًا حسنًا، من أنت وماذا تفعل هنا في هذا الوقت ولماذا كنت مقيدًا في الكرسي؟.. لقد رأيتُ أحدهم مقتولًا وأنا في طريقي للعمل ثم شعرتُ بضربة قوية على مؤخرة رأسي واستيقظتُ وأنا على

هــذه الحالــة. حســنًا الأمــر خطــير جــدًّا، لا بــد أن نُخــبر الشرطــة بــما حــدث، أخــبرني أيــن تعمــل؟.. أنــا أعمــل في أحــد الفنــادق الصغــيرة في لــوس أنجلــوس. حســنًا نحــن هنــا في لــوس أنجلــوس في مصنــع لإعــادة تدويــر المعــادن. نعــم نعــم أنــا أعمــل في الفنــدق المقابــل للمصنــع. يــا للهــول! أنــا أقيــم في هــذا الفنــدق لكــن لم أرك مــن قبــل. لــن تــراني فأنــا أعمــل منــذ أيــام فقــط، أقــوم بتنظيــف الغــرف خــلال نــوم النــزلاء. حســنًا فلنذهــب إلى الفنــدق لأننــي أريــد النــوم أيضًــا وفي الصبــاح ســنذهب إلى أقــرب مركــز للشرطــة ونخبرهــم بــما حــدث. بالتأكيــد لنذهــب. هــل تســتطيع التحــرك؟ نعــم أنــا بخــير. ســنضطر أن نقفــز مــن فــوق الجــدار لأن بــاب المصنــع مغلقًــا. حســنًا لنذهــب. ألم تســتطع التعــرف عــلى مَــن قــام بمهاجمتــك؟ لا لم أســتطع فقــد جــاء مــن الخلــف وباغتنــي. هــل رأيــت مَــن هــو المقتــول؟ لقــد كانــت الدمــاء تُغطــي وجهــه لكــن اتضــح مــن ملابســه أنــه رجــل ثــري. إذن هــي عمليــة ســطو عــلى أموالــه. أعتقــد ذلــك... هــا قــد وصلنــا إلى الفنــدق، أيــن تقيــم؟ مــا هــو رقــم غرفتــك؟ ليــس لــديّ غرفــة، أنــا أنــام في القبــو. وأيــن هــو القبــو؟ إنــه خلــف المقهــى، لكــن مَــن يمتلــك مفتــاح البــاب؟ الآنســة جــين وهــي ليســت هنــا الآن، بإمكانــك الصعــود إلى غرفتــك ســأنتظرها هنــا حتــى تــأتي. حســنًا إنهــا قادمــة، لمــاذا تنظــر إلينــا هــذه النظــرات؟! آنســة جــين هــل هنــاك خطــب مــا؟ ســيد جونســون لقــد التقيــت بــ الســيد ألــبرت؟ إنــه عامــل نظافــة كســول ولم يــأتِ إلى العمــل اليــوم. حســنًا هــو فقــط كان يريــد مفتــاح القبــو، أنــا ســأخلد إلى النــوم، أراك غــدًا ســيد ألــبرت، إلى اللقــاء.

نظـرات جـين إلى السـيد ألـبرت مريبـة بعـض الـشيء! كأنهـا تكـنّ لـه الكراهيـة وهـو أيضًـا لم يتفـوّه بـأي كلمـة.. لا يهـم غرفتـي أي جديـد، مـا زلـت أعلّـق لوحتـي في مكانهـا، يـوم شـاق وليلـة بـاردة في صيـف لـوس أنجلـوس.. السـاعة الواحـدة بعـد منتصـف الليـل، لقــد أصبحــت الفــوضى تعــمّ هــذه المدينــة بعــد الحــرب، لا شيء يســتحق أن تعيــش مــن أجلــه، حــوادث القتــل والســطو تحــدث يوميًّـا، إنـه لأمـر سيء للغايـة أن تعيـش وأنـت تعلـم أنـك ستُقتل في يـوم مـا في كل الأحـوال لأنـك تمتلـك بضـع دولارات فقـط!

الثامن عشر من أغسطس

نعـم أنـا قـادم مـن عـلى البـاب، كـم السـاعة الآن؟ أووه! إنهـا التاسـعة صباحًـا. سـيد جونسـون هـل أنـت بخـير؟ نعـم أنـا قـادم سـيد ألـبرت، أعلـم أننـا سـنذهب إلى مركـز الشرطـة اليـوم، فقـط انتظـرني أرتـدي ملابـسي. حسـنًا أنـا في انتظـارك.. هـا قـد انتهيـتُ، صبـاح الخـير سـيد ألـبرت، كيـف هـو حالـك اليـوم؟ أتمنـى أن تكـون بصحـة جيـدة. نعـم أنـا بخـير، سـنتوجه إلى مركـز شرطـة «سـبرينج» (شـارع في لـوس أنجلـوس). نعـم صحيـح لنذهـب هيـا بنـا. كيـف كانـت ليلتـك؟ النـوم في القبـو هـادئ في غالـب الوقـت إن لم يكـن هنـاك بعـض القـوارض المزعجـة. حسـنًا إنـه شيء مقـزز! في كل الأحـوال كيـف تتحمـل هـذا الأمـر؟ يـا سـيدي الأمـر بسـيط، هـو أن تشـعر أنـه ليـس هنـاك مـكان أفضـل مـن ذلـك للعيـش فيـه، عندهـا سـتتقبل الأمـر ببسـاطة. هـل تعلـم يـا سـيد ألـبرت كنـت أعتقـد أننـي أكثـر إنسـان بائـس في الحيـاة إلى أن رأيتـك، أنـا أؤمـن أن الحيـاة تتسـع للجميـع لكنهـا ليسـت عادلـة في كل الأحـوال. لقـد لاحظـتُ أنـك رسّـام مـن خـلال غرفتـك، هنـاك الكثـير مـن اللوحـات والألـوان ومـا إلى ذلـك، أنـا لا أعلـم شـيئًا عـن الفنـون لكـن رأيـت لوحـة اليـوم في غرفتـك كأنهـا للسـيد المسـيح. نعـم صحيـح، إنهـا للسـيدة الجميلـة التـي جـاءت الفنـدق في الليلـة الماضيـة. صحيـح لقـد رأيتهـا، أعتقـد أنهـا لـن تـأتي مـرة أخـرى. أووه لمـاذا؟! لقـد تصرفـت معهـا جـين بشـكل غـير لائـق عنـد اسـتقبالها. توقعـتُ أن يحـدث

ذلـك، لا بـد أنهـا اعتقـدت أنهـا سـتأخذ مكانهـا في الفنـدق وتأخـذ أمـوال السـيد أليكـس أيضًـا. النسـاء يـا سـيد جونسـون هـم الـشر الأعظـم. هـا قـد وصلنـا إلى «سـبرينج»، لطالمـا بغضـتُ هـذا المكان. إذن أنـت تبغـض الأرسـتقراطيين يـا سـيد جونسـون. نعـم صحيـح أنـا أبغضهـم، هـل تشـعر بالخـوف؟. لا أنـا بخـير، فقـط أفكـر في مـاذا سـأقول للمحققـين؟ حسـنًا سـتروي لهـم مـا حـدث عـلى أي حـال وأنـا أنتظـرك هنـا إن كنـت في حاجـة إلي أخـبرني. لا أنـا بخـير أشـكرك.

ذهـب السـيد ألـبرت إلى مكتـب المحققـين ليخبرهـم بـما حـدث وهـو يرتجـف مـن الخـوف لكنـه يتظاهـر بالقـوة وهـذا أمـر طبيعـي جـدًّا فالقانـون هنـا لا يحمـي الفقـراء. وقـف بعيـدًا وتحـدث مـع أحـد رجـال الشرطـة ثـم اصطحبـه إلى مكتـب التحقيـق.. يمـشي ألـبرت وقدميـه لا تحملـه، الجميـع ينظـر لـه في دهشـة وينظـروا إلي أيضًـا كأننـا شركاء في جريمـة واحـدة، ثـم ينظـر إلي أحـد المحققـين مـن مسـافة ويتوجـه إلي مبـاشرة ويقـف أمامـي ويتحـدث قائـلًا: صبـاح الخـير سـيد جونسـون، أريـدك أن تـأتي معـي لتُـدلي بشـهادتك فقـد ذكـرك السـيد ألـبرت في التحقيـق. سـوف أذهـب معـك فقـد توقعـت أن يحـدث ذلـك لكـن ليـس لـدي مشـكلة سـيدي المحقـق فنحـن نخـدم العدالـة في كل الأحـوال. وصلنـا إلى غرفـة التحقيـق، ينظـر إلي مـن جديـد ويعـود يقـول: أشـكرك عـلى تعاونـك معنـا، مـن فضلـك اجلـس هنـا واكتـب لنـا بياناتـك الشـخصية في الورقـة التـي أمامـك بـما في ذلـك رقـم هاتـف للتواصـل وعنـوان تكـون متواجـد بـه بشـكل دائـم، ثـم نظـر إلى الورقـة في احتقـار وامتعـاض وتوجـه

إلي بالحديث: سيد جونسون، أنت تعمل رسامًا وتقيم في أحد الفنادق على أطراف المدينة، ما علاقتك بـ السيد ألبرت؟ حسنًا هو يعمل في الفندق الذي أقيم به فقط. من فضلك أخبرني بما حدث بالتفصيل دون إهمال أي شيء مع ذكر التوقيت إن استطعت. حسناً في مساء الأمس في الساعة الحادية عشرة تقريبًا كنتُ أقوم برسم أحد اللوحات سمعت صوت استغاثة قادمة من المصنع المقابل للفندق فذهبتُ إلى هناك مسرعًا لأجد السيد ألبرت مقيد على الكرسي وعلى رأسه بعض الدماء، وقد روى إلي أنه شاهد رجل مقتولًا ولم يشعر بعدها بأي شيء ووجد نفسه في هذا المكان إلى أن وصلتُ إليه وحررته من قيوده فقط. سيد جونسون، هل شاهدت أحد في طريقك إلى المصنع أو شعرت أن أحدهم يتلصص عليك أو استوقفك أحد، نعم التقيت السيد ويلز وهو مقيم في الغرفة المجاورة وسألني لماذا تحمل مصباح ليلي فأخبرته أنني أخشى الظلام فقط. هل التقيت أحدًا آخر؟ نعم التقيت الآنسة جين التي تعمل في ريسبشن الفندق وهي متواجدة باستمرار في هذا المكان، لم تتفوه بكلمة وهذا ما يحدث في الغالب فنحن لا تدور بيننا أي أحاديث في أي وقت. حسنًا سيد جونسون أنا أشكرك، من فضلك قم بالتوقيع على شهادتك وإن توصّلنا لأي شيء سنخبرك، بإمكانك الانصراف الآن. هل سيظل السيد ألبرت هنا؟ لبضع ساعات فقط بعدها يمكنه الانصراف. حسنًا أشكرك، إلى اللقاء.

ما يميز المؤسسات التابعة للحكومة أن تصميمها يبعث في روحك اليائس تمامًا مثل غرفتي، الألوان رمادية، أعمدة

رومانيـة عـلى مدخـل البنايـات وكلـمات لا تُعـبّر عـن أي شيء مثـل العـدل والحكمـة وسـيادة القانـون.. لطالمـا كرهـت هـذا المـكان «حـي سـبرينج» حيـث الطبقـة الأرسـتقراطية، أعمـدة الإنـارة تعمـل طـوال اليـوم، الطرقـات مسـتوية تمامًـا، لا مـكان للفـوضى هنـا، فأنـت في حـضرة السـيجار الفاخـر والقبعـات المصنوعـة مـن جلـد الأبقـار ونقـاط التفتيـش عـلى مداخـل الشـوارع الجانبيـة.. مـن حيـث الظاهـر فهـذا الأمـر جيـد لكنـه ليـس مهـم بالنسـبة لي، أنـا أبحـث دائـمًا عـن جوهـر الأمـور.. الوقـت الـذي اسـتغرقه الرسـام في لوحتـه، بـماذا كان يشـعر عنـد رسـمها، لمـاذا كانـت ترتعـش يديـه؟ قطـرات العـرق على اللوحـة بعـد مـا تـم طمسـها بالألـوان.. والآن عـلي الحصـول عـلى تاكـسي للعـودة للفنـدق في هـذا الطقـس الحـار، وهـذا هـو الخيـار الوحيـد. هـا أنـت ذا، هـل تفتـح لي بـاب السـيارة مـن فضلـك، فلـم أعتـد عـلى هـذا الأمـر. ينظـر إليّ في اسـتحقار! تفضـل سـيدي، إلى أيـن وجهتـك؟. حسـنًا إلى فنـدق مبلتـوم بـل. إنـه طريـق طويـل وشـاق، هـل تسـتطيع دفـع تعويـض لي مقابـل هـذا الطريـق؟ نعـم نعـم فأنـا مالـك هـذا الفنـدق لكـن سـيارتي تعطلـت في سـبرينج. حسـنًا لننطلـق.

ينظـر إلي نظـرة اسـتغلال، يبـدو أنـه صـدّق الأمـر، عـلى كل حـال أنـا مضطـر لقـول ذلـك لأنـه لـو علـم أنني فقـير لـن يوافـق عـلى قطـع كل هـذه المسـافة مـن أجـلي، لقـد اعتـاد عـلى أن سـبرينج مـليء بالأغنيـاء لذلـك هـو يسـتغل غبائهـم وفقـط.. مـا زال يُحـدّق لي بالمـرآة ويبتسـم ابتسـامة صفـراء، يرتـدي قبعـة كأنـه أحـد جواسـيس الحـرب العالميـة، الحـرب تفـرض ثقافتهـا عـلى الجميـع بالرغـم مـن

مـرور سـبع سـنوات، مـا زال الجميـع يشـعر بهـا، مـن المؤسـف أن يتحكـم في العـالم مجموعـة مـن الأغبيـاء يزهقـون أرواح الآلاف مـن أجـل أطـماع شـخصية فقـط.. في السـابق طلـب أحدهـم منـي رسـم لوحـة عـن قـوات بريطانيـا العظمـى وهـي ترفـع رايتهـا فـوق جثـث الجنـود الألمـان فقمـت بالرفـض عـلى الفـور وو... هـا قـد وصلنـا يـا سـيدي. حسـنًا كـم تريـد؟ سـبعة دولارات فقـط يـا سـيدي.

الحفـاظ عـلى مظهـرك يتطلـب منـك الكثـير، لم يعـد لـدي سـوى ثلاثـة دولارات فقـط، هـذا كل مـا أملـك الآن وهـا قـد عدنـا مـن جديـد يـا جونسـون الفقـير الفنـدق السـيء والآنسـة جـين لديهـا ضيـوف.. يبـدو أننـي سـأرحل عـما قريـب مـن هنـا.. نـزلاء جـدد؛ امـرأة وفتـاة يتحدثـون مـع جـين عـن أمـر مـا أظـن أنهـم سـيحصلون عـلى غرفـة في فندقنـا اللعـين، حسـنًا إنـه حـظ سيء جـدًا لهـم أن ألقـى بهـم القـدر هنـا.

تنظـر إلي جـين وتشـير إلي إنهـا تريـد التحـدث معـي وأنـا أبغـض هـذه الفتـاة جـدًا.. أنـا قـادم إليـكِ أيتهـا العاهـرة في ثـوب الشرفـاء. سـيد جونسـون. مرحبًـا آنسـة جـين كيـف حالـك اليـوم؟ نحـن بخـير، أود أن أعرفـك عـلى السـيدة دوونـا زوجـة السـيد أليكـس مديـر الفنـدق. سـعدتُ بلقائـك سـيدتي. لقـد تحدثـت عنـك جـين كثـيرًا. حسـناً يُسـعدني ذلـك. في الحقيقـة سـيد جونسـون السـيدة دوونـا جـاءت لتسـأل عـن زوجهـا فهـو متغيـب منـذ يومـين. نعـم صحيـح لم أرَه بالأمـس أو اليـوم حتـى هنـا في الفنـدق مـن الممكـن أن يكـون متسـكع مـع إحـدى فتيـات الليـل. توقعـت ذلـك لكننـي بحثـتُ عنـه في كل الحانـات لم يظهـر منـذ يومـين أيضًـا. بإمكانـك

الانتظار للمساء فهو سيأتي بالتأكيد لأنه ليس من الطبيعي أن يترك الفندق كل هذه الفترة. أتمنى ذلك! حسنًا أستمحيك عذرًا لدي بعض الأعمال إذا شاهدت أليكس في أي مكان بالتأكيد سوف أخبرك سيدة دوونا إلى اللقاء.

السلم السيء من جديد، وإلى غرفتي الفوضوية كالعادة، أتمنى أن لا أشاهد وجهك اللعين من جديد أليكس، فلتذهب إلى الجحيم أنت وجين والفندق وحي سبرينج!.. يوم سيء على الإطلاق، في الصباح كنتُ في سبرينج أكثر الأماكن حقارة ثم إلى مركز الشرطة ولقاء المحقق ستيورات والتحقيق ثم العودة للفندق ورؤية السيدة دوونا كأنها تبحث عن ملاك هبط من السماء، تقف وترتعش من الخوف أن تفقد زوجها المسكين صاحب الألف علاقة غرامية على مدار اليوم.. كل هذه الأمور تسبب المتاعب وفقط في اليوم الذي كنت أنتظره.. سأتوقف عن التفكير في هذه الأمور، الآن علي الاسترخاء وانتظار السيدة ماري وإن لم تأتِ فلدي موعد أهم وهو معرض الساعة السابعة، فأنا لا أريد أن أحصد المزيد من الخيبات.

السيد المسيح ينظر إلي، لقد وضعتُ هذه اللوحة بجانبي حتى أراها كل ليلة، وفي المقابل لوحة «معاناة العمال»، أعتقد أنها لن تحصل على إعجاب الكثير لكنها تظل حقيقة لا يمكن إنكارها؛ ولأن الأرستقراطيين يحبون رؤية النساء العاريات حتى في اللوحات يحبون رؤية النعيم فقط، كل شيء قد يُذكّرهم بالفقراء يبغضونه حتى وإن كانت لوحة.. الأجساد العارية وزجاجات النبيذ المعتّق وأطباق الفاكهة الشيء الوحيد الذي يرضي طغيانهم

وغرائزهم، في كل الأحوال أنا في نقطة اللاعودة، فقط علي رسم المزيد من اللوحات للحصول على المال.. اتصال هاتفي من جديد، إنها جين كالعادة، لقد أخبرتني أن السيدة ماري تنتظرني، أظن أنها جاءت في وقت غير مناسب، فهذه اللقاءات لا بد أن تحدث في المساء وليس الساعة الثانية بعد الظهيرة، في كل الأحوال سأذهب لرؤيتها.. ماذا نسيت؟ اللوحة، ملابسي جيدة، القليل من العطر وأن أشعل سيجاري.. يستوقفني السيد ويلز كعادته ويسألني لماذا تذهب مسرعًا؟ أجيبه: سأعود قريبًا ونتحدث. لا أريد أن يظهر علي التوتر، فأنا الرسام العظيم جونسون، حسنًا التحرك بهدوء وثبات وثقة.. كعادتها جين تتحدث مع كل زوار الفندق فلديها فضول لمعرفة أي شيء جديد عن أي أحد حتى وإن لم تربطهم أي علاقة.. تشير إلي السيدة ماري من بعيد بيدها، ما زالت ترتدي فستانها الأسود الذي يُظهر مفاتن جسدها البلوري، تُعلّق الصليب الذهبي في رقبتها، إنها تثير غريزة أي رجل، لكن تثير فضولي أنا، وبشأن الغريزة أنا ما زلت متماسك.. توقف عن التحدث لنفسك يا جونسون اللعين، فقط عليك مصافحتها وتقديم اللوحة لها بكل ثقة والنظر بعيدًا كأنك لا تكترث لرأيها.. مرحبًا سيدة ماري، كيف هو حالك اليوم؟ سررتُ بلقائك سيد جونسون، أتمنى أن لا أكون قد أتيت في توقيت خاطئ. لا يا سيدتي، كنتُ أقوم ببعض الأعمال فأنا منشغل جدًّا. حسنًا تفضلي هذه اللوحة. أشكرك، إنها جيدة، كما توقعت لديك موهبة فريدة من نوعها سيد جونسون. هل أعِدّ هذا إعجاب؟ لا، إنها الحقيقة يا سيدي. هل بالإمكان أن

نحتسي فنجان قهوة معًا؟ حسنًا سأعتبره نخب اللوحة. النخب يكون بالنبيذ يا سيدتي، لكن أنا موافق على هذا الأمر، بإمكاننا الجلوس هنا في مقهى الفندق أو الذهاب إلى مكان آخر. أفضّل مكانًا آخر. لكن ألن يُعطّلك ذلك عن أعمالك؟ فنجان قهوة لن يضر، سأعود وأكمل ما أقوم به. لنذهب. تبدين كاثوليكية سيدة ماري. نعم بالتأكيد أنا كاثوليكية وأنت تبدو ملحدًا. هل يظهر هذا الأمر بشكل كبير؟ لا، لكن أغلب الرسامين وعازفي الموسيقى لا يؤمنون بالرب، هم فقط يؤمنون بالوجود وما يقدموه من أعمال فنية. سيد جونسون، هل شاهدت من قبل لوحات «جان سادووك»؟ نعم لقد شاهدت الكثير منها. كيف تراها؟ سيئة للغاية. هل قلت سيئة للغاية؟! نعم أنا أعني ما أقول، لوحات جان سادووك سيئة للغاية. لماذا؟ إنه يُجسّد في لوحاته شيء ما غير مقبول. «سبمشن»، هل هذا ما تقصد؟ نعم الخضوع، جان سادووك يجسد الخضوع في لوحاته باستخدام إيحاء جنسي، نحن في عام ١٩٢٥ وما زال سادووك متمسك بفكرة العبيد واستعباد البشر للبشر. ألا تجد هذا الأمر مثير للنفس البشرية. مثير للمرضى سيدة ماري ومثير للاشمئزاز أيضًا، هل تري هذا المتجر هناك؟ نعم آراه. إنه متجر لبيع الخمور والسيجار، مالك هذا المتجر رجل خمسيني يحب لوحات سادووك. لماذا برأيك سيد جونسون؟ لأنه ببساطة كان على علاقة بامرأة وخانته مع رجل آخر، إلى جانب أنه كان يعاني من بعض الخلافات مع والدته مما تسبب له في مرض نفسي جعله يريد استعباد كل النساء، هذا ما يصوره سادووك

في كل أعمالـه. أنـت قـاسٍ للغايـة سـيد جونسـون. هـذا الأمـر لـن يفهمـه أحـد. أعلـم أنـك تـرى الأمـور مـن منظـورك فقـط. نعـم وأنا عـلى صـواب دائـمًا. لـن أختلـف معـك في هـذا الأمـر حتـى نحتسي القهـوة. هـل تـري هـذا الشـارع؟ لقـد قُتـل آلاف مـن البـشر هنـا عـلى هـذا الطريـق بفعـل قذائـف الحـرب التـي كانـت تسـتهدف الميـنـاء. سـيد جونسـون، مـا هـو تاريخـك؟ لا أمتلـك. لا تمتلـك؟! نعـم لا أمتلـك تاريخًـا، هـل أبـدو لـكِ ذلـك الرجـل الـذي يمتلـك تاريـخ حافـل بالإنجـازات؟ هـل تعلـم أن هـذا الأمـر قـد يؤثـر عـلى ثقتـي في لوحتـك. الحقيقـة لا تؤثـر عـلى شيء سـلبيًّا، الحقيقـة تظـل الحقيقـة. سـيد جونسـون، في لقائـي الأول معـك أدركـتُ أمـورًا كثـيرة عـن شـخصيتك. ومـا هـي؟ أنـت لسـتَ رجـل متـسرع في اتخـاذ القـرارات، إلى جانـب أنـك تثـق فيـما تؤمـن لكـن لا تثـق بالآخريـن. كان بالإمـكان أن تقولـين مضطـرب نفسـيًّا. لا ليـس هـذا مـا أقصـد، هـا قـد وصلنـا إلى المقهـى. حسـنًا تفضـلي بالجلـوس، أنـا أحـب الجلـوس إلى جانـب النافـذة الزجاجيـة. لمـاذا؟ أحـب متابعـة المـارة في الطريـق، هـل تبـدو أفعـالي طفوليـة. نعـم بعـض الـشيء. هـل تعلـم أن المـكان هنـا يُذكّـرني بذكريـات كثـيرة. ومـا هـي؟ كنـتُ أحـضر إلى هنـا أنـا وأمـي لاحتسـاء القهـوة كل صبـاح، المـكان لم يتغـير، السـتائر البنيـة، الأرضيـات الخشـبية، زهريـات الـورد عـلى كل طاولـة. وأيـن هـي أمـك الآن؟ لقـد صعـدت إلى السـماء. حسـنًا أتمنـى ألا تفقـدي أحدهـم مجـددًا. أتمنـى ذلـك أيضًـا، لكـن المـوت شيء حتمـي. لقـد أتيـت مـرة واحـدة إلى هـذا المـكان، إنهـم يُقدّمـون أفضـل أنـواع القهـوة. هـل أتيـت بمفـردك؟ نعـم، أنـا دائـمًا بمفـردي.

أيـن هـي عائلتـك سـيد جونسـون؟ أفضّـل أن لا أتحـدث عـن هـذا الأمـر. الأمـور تبـدو معقـدة بالنسـبة لـك. هـل تشـاهدين ذلـك الرجـل هنـاك؟ لا، لا أرى أي أحـد، الشـارع فـارغ تمامًـا. حسـنًا يبـدو لديـكِ مشـكلة طفيفـة في النظـر فأنـا أراه بوضـوح. أعتقـد ذلك. سـيدة مـاري، لقـد سـعدتُ بالتعـرف عليـكِ وأنـا ممتـن للوقـت الذي قضينـاه سـويًّا، عـلي المغـادرة الآن. حسـنًا سـيد جونسـون، أتمنـى رؤيتـك قريبًـا. بـكل تأكيـد تعرفـين عنـوان الفنـدق يمكنـك المجـيء في أي وقـت أردتِ. شـكرًا لـك. إلى اللقـاء. سـيد جونسـون لحظـة لا تغـادر، لم تخـبرني كـم تريـد مقابـل اللوحـة؟ المـال لا يهمنـي يـا سـيدتي، أنـا أرسـم لأنني أحـب ذلـك، اسـتمتعي بوقتـك، إلى اللقاء.

تريـد إعطائـي المـال وهـي حتـى لم تتكلـف عنـاء النظـر إلى اللوحـة بشـكل جيـد! تبًّـا للفقـر الـذي يجعلني أقـوم بالرسـم لهـؤلاء الأغبياء، اللعنـة عـلى كل شيء، مـا زالـت الطرقـات سـيئة أيضًـا، السياسـيون ليـس لديهـم مـا يفعلونـه سـوى مضاجعـة النسـاء وإشـعال الحـروب، السـيد روبـن يحـاول جاهـدًا تزيـين واجهـة متجـره بعـد مـا تدمـرت بفعـل الحـرب وأنـا أقسـم أن السياسـيين وعـدوه بترميمـه لكـن لم ينفـذوا أي مـن وعودهـم، مـا زال يقـف مسـتخدمًا بعـض الرمـال ويضيـف المـاء إليهـا ويحـاول ترميـم الواجهـة، هـذا المسـكين لا يعلـم أن الرمـال لا تصلـح للترميـم، رجـل في السـتين مـن عمـره مـن أيـن لـه أن يعـرف هـذه الأمـور.. مرحبًـا سـيد روبـن كيـف هـو حالـك اليـوم؟ أووه جونسـون المغـرور، لم تمـر مـن هنـا مـن زمـن هـل أقلعـت عـن التدخـين أيهـا الوقـح؟ لـدي بعـض الدخـان الفاخـر في المتجـر. لا لم أقلـع لكـن ليـس لـدي مـال فقـط. أنـت تـأتي إلى المتجـر

على مدار سبع سنوات وفي كل مرة ليس لديك مال، ما الذي تغير أيها الغبي؟ لم يتغير شيء، امتلكتُ عزة نفس مؤخرًا. خذ هذه أيها المغرور وأخبر جين أن السيد روبن أحضر بعض النبيذ من أجلها، وإن رأيت مدير الفندق أخبره أن يأتي إلي، ولا تتسكع كثيرًا جونسون.. ما زال يتحدث ويثرثر حتى بعد أن انصرفت من أمامه، مسكين هذا الرجل ليس لديه حياة سوى جمع الأموال وتخزينها في فجوة الحائط وفي الغالب أظن أن الفئران أكلت نصفها، على الأقل لقد حاولت مرارًا وتكرارًا إقناعه أن يشتري خزانة حديدية لكنه قال إنه يخشى السرقة.. السيد روبن ينحدر من أصول أرجنتينية وهو يهودي الديانة لذلك يُقدّس المال كما ذكر في التوراة.

ها قد وصلت إلى الفندق سيرًا على الأقدام، سيارات الشرطة تُحيط بالفندق، لا أظن أن أحد رجال الدولة المهمين قد يقيم في فندقنا.. إنها جين تبكي! لا أعتقد أن أحدهم سرقها فهي ليس لديها مال.. مساء الخير، جين ماذا يحدث؟ سيد جونسون هل تترك جين وتتحدث معي من فضلك. حسنًا سيدي المحقق، هل ما يحدث له علاقة بالسيد ألبرت؟ كنت لديكم في الصباح وأخبرتك بكل شيء هل تتذكرني؟ نعم سيد جونسون، من فضلك اتبعني. حسنًا. أتمنى أن لا ألاقي حظًّا سيئًا؛ فاليوم كل شيء سيء.. يشير المحقق ستيورات إلى أحدهم ويقول له: «ارفع الغطاء عن الجثة». كأنه قال اتبعني لكي يريني القتيل، لا أحد يحب رؤية هذه الأمور لكننا نخدم العدالة التي تعمل عاهرة لدى السياسيين في ثوبها الأنيق صباحًا وفي المساء بدونه. سيد

جونسـون. نعـم أنـا قـادم سـيدي. هـل تعـرف ذلـك الرجـل؟ نعـم، الجميـع هنـا يعرفـه فهـو مديـر الفنـدق. متـى آخـر مـرة رأيتـه؟ أعتقـد منـذ يومـين. حسـنًا لقـد قـال السـيد ألـبرت أن هـذه هـي الجثـة التـي شـاهدها. حسـنًا، جيـد أنكـم تعرفتهـم عـلى هويـة القتيـل. نعـم، لذلـك يا سـيد جونسـون سـوف تـأتي معنـا وقـد نضطـر إلى احتجازك لسـبعة أيـام حتـى تنتهـي التحقيقـات ولـك الحـق في اسـتدعاء محـامٍ يدافـع عنـك أثنـاء التحقيقـات. هـل أنـا متهـم بـشيء؟ لا، إنهـا تحقيقـات روتينيـة. هـل يمكـن أن أكـون في مركـز الشرطـة في الصباح لأن لـدي موعـد مهـم الليلـة؟ لا، هـذا مخالـف للقانـون، تفضـل معنـا الآن. حسـنًا.. يشـير المحقـق للآنسـة جـين كأنهـا سـوف تـأتي معنـا.. هـا قـد تهـاوت إمبراطوريـة الفنـدق اللعـين وجميعنـا أصبحنـا عـلى قيـد التحقيـق في قضيـة مقتـل الرجـل السـافل الـذي لطالمـا كرهـت هيئتـه وحديثـه وكل شيء يفعلـه، أتمنـى أن لا يظهـر ذلـك في التحقيـق فهـذا يجعلنـي متهـم بـكل وضـوح.

جـين تبكـي عـلى مـاذا؟! نعـم لقـد تذكـرت، إنهـا تبكـي عـلى المـال الـذي لـن تحصـل عليـه بعـد الآن. السـيد ألـبرت يجلـس في السـيارة لا يتفـوّه بـأي كلمـة، يُخفـض رأسـه كأنـه يشـعر بالخجـل لأنـه تسـبب في كل ذلـك. السـيارة تتحـرك بسرعـة كبـيرة كأنهـم يحملـون بعـض الابقـار في مؤخـرة السـيارة ذاهبـة للذبـح.. جـين تُخـرج بعـض العطـور مـن حقيبـة يدهـا وتتعطـر! أيتهـا العاهـرة لقـد فهمـت جيـدًا مـاذا سـتفعلين.. يمكـن للعدالـة أن تحـترق بـين سـاقيكِ ببسـاطة، شيء يدعـو للضحـك والسـخرية والاشـمئزاز معًـا، وهـا قـد وصلنـا إلى الهاويـة مـن جديـد يـا جونسـون اللعـين.

بمنتهى الغضب يفتح الضابط باب السيارة الخلفي ويتحدث بنبرة صوته السيئة ويقول: «انزلوا الآن». وعلى الفور يقوم رجاله بتقييدنا كأننا أسرى الحرب أو بعض الخونة الذين باعوا شرفهم وشرف الوطن للعدو، تنظر جين إلى الضابط وتبتسم في هدوء ويتبادلون النظرات، وهذا يعني أنه سيكون لطيفًا معنا حتى تذهب جين بعيدًا ثم بعدها ينقضّ علينا ويكيل لنا الاتهامات والألفاظ النابية أو حتى الصفعات.

السيد ألبرت يرتعش بشدة فهو يعلم أن الأمر لن يمر مرور الكرام وأن هناك أحدهم يمتلك شخصية سادية ينتظر فريسة جديدة بكل تأكيد لكي يمارس عليها جنونه ويُثبت لنفسه أنه الرجل العظيم الذي يقهر الجميع ولا يُقهر. يشير المحقق من جديد للضابط ويشير علي كأنني سوف أكون أول فريسة هنا، حسنًا إلى الموت ليس لدي مشكلة، يصطحبني الضابط إلى غرفة ذات نور خافت، أكاد لا أرى سوى الضوء الصادر من زجاج نظارة المحقق ستيوارت ثم يُلقي إلي الورقة والقلم من جديد لكي أكتب بياناتي الشخصية كما حدث من قبل.. سيد جونسون، أنت محتجز الآن، لدينا لمدة تتراوح بين سبعة أيام إلى خمسة عشر يومًا على ذمة القضية رقم ٧٢٦٠ الخاصة بمقتل السيد أليكس مدير ومالك فندق مبلتوم، بل هل لديك أي أقوال تدلي بها بشأن القضية؟ لا يا سيدي المحقق لقد قلتُ لك في صباح اليوم كل ما لدي من معلومات عن القضية. حسنًا سيد جونسون لقد قام السيد ويلز الذي يستأجر الغرفة المجاورة لك صباح اليوم بإخلاء غرفته وترك الفندق بدون أسباب،

هـل لديـك أي معلومـات عـن هـذا الأمـر؟.. أعتقـد أن مـن لديـه معلومـات الآنسـة جـين لأنهـا هـي مـن تملـك بيانـات النـزلاء، لكـن بشـأن السـيد ويلـز فهـو مجـرد مقيـم في الفنـدق لا أعلـم عنـه الكثـير، هـو رجـل في الخمسـين مـن عمـره يعيـش وحيـدًا فقـط. حسـنًا أنـت الآن سـوف تُنقـل للسـجن الخـاص بـك، قـم بالتوقيـع عـلى شـهادتك الآن مـن فضلـك. حسـنًا هـذا توقيعـي لكـن هـل سـيصبح الأمـر أسـوأ يـا سـيدي؟.. أعتقـد أننـا حصلنـا عـلى معلومـات سريعـة ودقيقـة، قـد ينتهـي الأمـر سريعًـا. حسـنًا أتمنـى ذلـك.

يصطحبنـي الضابـط مـرة أخـرى إلى مسـواي الأخـير، هنـا في مركـز شرطـة سـبرينج، غرفـة صغـيرة ليـس بهـا دورة ميـاه، بسريـر خشـبي وشـباك صغـير في الأعـلى، وسـوف أظـل هنـا سـبعة أيـام وقـد تصـل إلى خمسـة عـشر يومًـا، لا شيء أسـوأ مـن ذلـك.. ألم أقـل لـك يـا جونسـون إن أفعالـك الجنونيـة سـوف تقـودك إلى الهاويـة. أسـمع صـوت جـين تضحـك بصـوت مرتفـع، هيـا يـا عزيـزتي غـادري هـذا المكان سريعًـا فالعدالـة سـوف تحـترق بـين سـاقيكِ كـما توقعـت لكـن أنـا والسـيد ألـبرت قـد نمكـث هنـا إلى مـا لا نهايـة.. سـبعة أيـام قـد تكـون مسـاحة جيـدة لأقـوم برسـم بعـض اللوحـات فأنـا بـكل تأكيـد خـسرت الدعـوى الخاصـة بمعـرض السـاعة السـابعة، لكـن أيـن الفرشـاة والألـوان للرسـم؟ لا يوجـد، عـلي أن أقـوم بالرسـم في خيـالي أو عـلى هـذه الجـدران اللعينـة التـي لا يوجـد بهـا أي مسـاحة فارغـة عـلى الإطـلاق، لقـد دوّن السـابقون كل مـا يمتلكـون مـن أفـكار عليهـا.. أنظـر إلى السريـر الـذي سـأنام عليـه، أحدهـم يجلـس، أبـادره بالحديـث وأسـأله لمـاذا جـاء إلى هنـا؟ يجيـب

أنني رأيته في الصباح عندما كنت أجلس مع السيدة ماري، وأنا أتذكر بالفعل أنني قد رأيته في صباح اليوم، لكن ما الذي جاء به إلى هنا، لم يخبرني أحد أن لدي سجين آخر معي. يشير إلي حارس السجن ويقول سيد جونسون مع من تتحدث؟ أخبره أن الغرفة لا تتسع لشخصين، مَن هذا الرجل الذي معي؟. أعود وأنظر إلى السرير، لا أراه، أين ذهب ذلك الرجل؟! كأنني أعاني من بعض الاضطرابات النفسية، لكن أنا متأكد أن هناك أحدًا هنا، أمر غريب! يشير إلي الحارس من جديد ويخبرني أن المحقق يريد التحدث معي من جديد، حسنًا أيها السيء أنا قادم إليك.

ها قد وصلنا إلى غرفة التحقيق من جديد. يجلس المحقق ستيوارت على الكرسي وجين تجلس أمامه، يدخن سيجارته بشراهة، لا يتحدث، فقط ينظر إلي في غضب لكن جين لا يبدو عليها علامات الغضب هي فقط تبتسم ابتسامة صفراء وتترقب ماذا سيقول ستيوارت الذي بدوره يتنهد ويقوم من على الكرسي وينظر إلينا ثم يقول سوف أترككم قليلًا وأعود، ثم يضع يده على كتفي ويذهب كأنه كان لديه المزيد من الكلام لكن لم يتفوّه به، تنظر إلي جين وكأنها لا تهتم بأي شيء وتبتسم من جديد، يبدو أنني الوحيد هنا الذي لا يعلم ما يحدث، ثم تُمسك بطرف فستانها وتمسح العرق من على جبينها وتقول: جونسون سوف نذهب من هنا بعد قليل. كيف نذهب ونحن قيد التحقيق. لا، لقد أقنعت المحقق أن نذهب. حسنًا يبدو أنه حصل على بعض المرح. لا يهم جونسون، علينا أن نذهب فقط، ولكن أريد أن نتحدث لوقت معًا فلدي الكثير أخبرك به وعليك أن تستمع لي.

منذ متى ونحن نتحدث معًا جين؟! جونسون أنت لا تعلم، أنا أحبك أيها المعتوه. وأنا أبغضك بشدة. أعلم ذلك، علينا فقط أن نتحدث ربما تختلف نظرتك للأمور. الأمر يستحق التجربة. سأخبر المحقق أننا سوف نذهب. حسنًا.

سيد جونسون لا أريد رؤيتك هنا مجددًا. وأنا بالتأكيد لا أريد رؤيتك أيضًا مرة أخرى. جين، إلى أين سنذهب؟.. علينا العودة إلى الفندق، بعد ذلك يمكننا التحدث. حسنًا لنذهب.

التاسع عشر من أغسطس

عدنـا إلى الفنـدق مـن جديـد، جـين لا تتفـوّه بـأي كلمـة، فقـط جلسـت عـلى الكـرسي خلف طاولـة الريسبشـن وأنـا في المقهـى طلبت مـن فلويـد فنجـان قهـوة كعـادتي.. كأنهـا تشـعر بالصدمـة والأسـف عـلى السـيد أليكـس، ونحـن في غرفـة التحقيـق أخبرتنـي أنهـا تريـد التحـدث معـي والآن هـي تجلـس دون أن تتفـوّه بـأي كلمـة، لكـن يبـدو الأمـر كأن هنـاك شيء مهـم تريـد إخبـاري بـه أو بالأحـرى شيء غامـض. السـيدة دوونـا زوجـة السـيد أليكـس ذهبـت إلى المستشـفى لأنهـا أصيبـت بصدمـة عصبيـة، وهـذا أمـر طبيعـي ومتوقـع، لكـن بالتأكيـد سـوف تعـود قريبًـا، لا بـد لأحدهـم أن يديـر شـئون الفنـدق، كـما أننـي لا بـد أن أغـادر، لم أعـد أمتلـك مـالًا للبقـاء، سـوف أعـود إلى المجهـول مـن جديـد، والأمـر الجيـد أننـي لا أعلـم أيـن سـوف أذهـب. بعـد مـرور نصـف سـاعة جـين قامـت مـن عـلى كرسـيها ببـطء شـديد ومسـحت دموعهـا بيدهـا.. لقـد اسـتغرقت وقتًـا طويـلًا في البـكاء عـلى السـيد أليكـس. تسـير نحـوي مبـاشرةً وتشـير إلى فلويـد أن يحـضر لهـا أي شيء تشربـه، اقترحـتُ عليـه أنـا أن يقـدم لهـا الويسـكي وهـي لم تعـترض عـلى الأمـر.. جلسـت أمامـي ونظـرت إلي لدقائـق وهـي لا تتحـدث بـأي كلمـة.. بعـد مـرور بضـع دقائـق وهـي ممسـكة بـكأس الويسـكي وتـشرب بهـدوء قالـت: لا بـد أن تتذكـر كل شيء جونسـون، لا بـد أن تتذكـر، أنـت لا تعلـم مـن

أنت ومن أين أتيت.. لا أفهم عن ماذا تتحدثين جين، لكن أنا أستمع بشكل جيد وأهتم بما تقولين.. جونسون أين كنت قبل سبعة أعوام؟.. كنتُ أعمل في ميناء لوس أنجلوس والجميع يعلم ذلك. وقبل العمل في الميناء أين كنت؟.. لا أتذكر جين كأنني ولدت في هذا المكان. جونسون من قتل أليكس كان يريد قتلك. ما هذا الهراء! جميعنا نعلم من قتل أليكس كان يريد الحصول على المال فقط. جونسون فكر في الأمر. أفكر في ماذا؟! لا أفهم شيئًا مما تقولين جين. منذ يومين كنتَ تجلس هنا تحتسي قهوتك وتحدث معك أليكس، ماذا قال لك؟.. السيد أليكس رحّب بي، لم يَقُل سوى ذلك، وبعدها ذهب وتحدّث معك وأظن أنكِ تعلمين ماذا حدث بينكم هذا اليوم. جونسون لم يحدث شيء، أليكس تحدّث معي وقال إنه يريد أن يُريني شيئًا في مكتبه. وماذا حدث بعدها؟.. أعطاني أليكس بعض الأوراق بها تفاصيل عنك وقال إنه يشعر بالخطر على حياته، لقد تعمّد أن يقطع خط الهاتف عنك كل يوم حتى تأتي إلى المقهى ويتحدث معك لكن أنت كنت ترفض الحديث معه دائمًا، لقد أخبرني أليكس بذلك، أنت مقيم هنا منذ سبع سنوات، كنتَ تعمل من قبل في ميناء لوس أنجلوس، لقد تعرضت لصدمة قوية في حياتك جعلتك تفقد ذاكرتك، أي أنت لا تذكر شيئًا مما قبل السبع سنوات، ألم تسأل نفسك أين هي عائلتك جونسون؟ أين والديك؟ أشقاؤك؟ أي أحد من أقربائك؟ أنت هنا منذ سبع سنوات كما أخبرتك، وفي كل يوم كان يرحب بك أليكس لكي يتحدث معك ويخبرك عن الأمور التي لا تريد معرفتها، وقد دوّن

كل ذلـك في الأوراق التـي معـي وأخـبرني إن حـدث لـه أي مكـروه أن أتحـدث معـك وأخـبرك بـكل مـا كتبـه. ومـا الـذي يجعلنـي أصـدّق كل ذلـك جـين؟.. عليـك أن تصـدق جونسـون لأنـه لا بديـل عـن أن تصـدق، توقـف عـن التعامـل مـع الجميـع باسـتعلاء وغطرسـة، نحـن لسـنا سـيئين، أنـت تنظـر لي دائـمًا أننـي عاهـرة السـيد أليكـس، وهـذا ليـس صحيحًـا، السـيد أليكـس لا يعـرف القـراءة والكتابـة وفي كل يـوم ذهبـتُ معـه إلى مكتبـه كنـتُ أكتـب مـا يرويـه لي عنـك، هـل فهمـت جونسـون؟.. حسـنًا جـين، مـاذا قـال لـكِ أليكـس عنـي. سـأروي لـك كل شيء بالتفصيـل لكـن عليـك أن تؤمـن بـما سـأقول وعليـك أن تبحـث خلـف ماضيـك، المحققـين لـن يعثـروا عـلى أي دليـل بشـأن جريمـة القتـل لأن مـن قتـل أليكـس هـو قاتـل محـترف مـن الصعـب أن يتـم كشـف هويتـه، هـل فهمـت ذلـك؟.. حسـنًا جـين أريـد أن أسـمع كل شيء منـذ سـبعة أعـوام وحتـى اليـوم.

الجزء الأول

(ماري)

السابع عشر من نوفمبر عام ألف وتسعمائة وثمانية عشر

(قبل انتهاء الحرب العالمية بأيام)

كان صباحًا غير عادي، الحرب أوشكت على الانتهاء.. جونسون، توقف أيها المعتوه لا تشدّ بيدي نحن في الطريق. سنركض بسرعة ثم نتوقف. ثم ماذا؟.. ثم نذهب إلى الجوار. جونسون توقف. هل تعلمين كم أحبك؟.. أعلم لكن ابتعد قليلًا. أحبك بقدر ما حصدت الحرب من أرواح الأبرياء. جون توقف. حسنًا توقفتُ. لقد أفسدتَ أحمر شفاهي. أووه! حقًّا لم أنتبه، اجعليني أكمل إفساده. أيها المجنون نحن على الطريق. ماري دعيني أقرأ الكلمات المقدسة على شفتيك ولا تهتمي للطريق أو لما سببته الحرب. لنعُد إلى المنزل جون، لقد تأخرت. هل ما زالت إيزابيل مريضة؟.. نعم، لقد كانت نائمة عندما ذهبتُ خلسة. سأصلي من أجلها. حسنًا، عندما تقرر الذهاب للكنيسة أولًا. سأذهب من أجلك. اذهب من أجل الصلاة. لقد أفسدت الحرب الطرقات. جون أنت لا تعلم. أنا أعلم كل شيء، أنا أشعر بقلبك. أنت تجعلني سعيدة دائمًا، لكن ما زلت حزينة، إيزابيل يزداد مرضها، أغلب المستشفيات دُمرت بفعل الحرب، لا يوجد علاج لمرضها. أتمنى لها الشفاء، سوف آتي

إليكـم غـدًا، لقـد رسـمتُ لهـا لوحـة سـتعطيها دافعًـا معنويًّـا كبـيرًا. أووه! جـون أنـا أحبـك. لقـد وصلنـا، يبـدو أنهـا اسـتيقظت، الضـوء يظهـر مـن النافـذة. سـوف أذهـب مسرعًـا قبـل أن تـراني. حسـنًا إلى اللقـاء، أحبـك جونسـون.

إيزابيـل هـل مـا زلـتِ نائمـة؟.. لا مـاري لقـد اسـتيقظت، كنـتِ تتسـكعين مـع جونسـون كعادتـك؟.. نعـم لقـد ذهبـت خِلسـة وأنـتِ نائمـة. حسـنًا، لقـد سـمعتُ صوتـه عنـد البـاب. كيـف أصبحـتِ أمـي؟.. مـاري، لقـد أصبحـت إيزابيـل الجميلـة لا تقـوى عـلى الحركة بفعـل المـرض. لقـد قـال جونسـون إنـه سـيصلي مـن أجلـك. حسـنًا فليذهـب للكنيسـة أولًا. أخبرتـه بذلـك. مـاري لا تهتمـي لمـرضي، أريـدك أن تتزوجـي أنـتِ وجونسـون قريبًـا بـدلًا مـن التسـكّع في الطرقـات. لكـن أمـي جونسـون لم يقـرر ذلـك بعـد. في المـرة القادمـة أخبريـه أن لا يُفسـد لـكِ أحمـر الشـفاه. أمـي جونسـون لديـه حلـم يسـعى خلفـه، يريـد أن يصبـح رسـامًا مشـهورًا. أتمنـى ذلـك أيضًـا، إنـه شـاب ذكـي، لكـن لديكـما مسـتقبل لا بـد أن تعيشـوه معًـا. أعلـم ذلـك أمـي، والآن عليـكِ أخـذ قسـط مـن الراحـة. حسـنًا سـوف آخـذ قسـطًا مـن الراحـة عندمـا تتزوجـين. أتمنـى ذلـك. والآن اذهبـي إلى فراشـك يـا طفلتـي أنـا بخـير، وتوقفـي عـن التفكـير بالسـيد دافينـشي قبـل النـوم.

جونسـون أيهـا المعتـوه، لقـد أفسـدت أحمـر شـفاهي.. لقـد كان حقًّـا شـعورًا ممتعًـا!

الثامن عشر من نوفمبر

الحـرب لم تتوقـف بعـد، مـا زالـت بعـض القذائـف العشـوائية تسـقط عـلى حـي سـبرينج، إيزابيـل مريضـة جـدًّا وعـلي نقلهـا إلى المستشـفى، أيـن الهاتـف اللعـين.. مرحبًـا، دكتـور تومـاس، أنـا مـاري، إيزابيـل ليسـت بخـير، إنهـا مريضـة جـدًّا، جميـع الطـرق مغلقـة بفعـل القذائـف، لـن أسـتطيع نقلهـا إلى المستشـفى، مـاذا أفعـل الآن؟.. حسـنًا أنـا في انتظـارك دكتـور. إيزابيـل، لقـد تحدثـت مـع الدكتـور تومـاس وهـو في الطريـق إليـكِ. مـاري، إنهـا النهايـة. ليسـت النهايـة أمـي، تحـلّي بمزيـد مـن الأمـل. مـاري.. أمـي؟ أمـي؟ إيزابيـل؟ تحدّثـي معـي إيزابيـل، اللعنـة تحدثـي معـي، ليسـت النهايـة إيزابيـل، أرجـوكِ تحدثـي معـي، لا تذهبـي بـدوني إيزابيـل، لا تذهبـي، أنـا وحيـدة بدونـك.

مـاري مـاري.. هـل تشـاهديني؟ مـاري، أنـا دكتـور تومـاس، أنـتِ بخـير؟ هـل تسـتطيعي التحـدث؟.. نعـم نعـم، أيـن أنـا؟.. أنـتِ في المستشـفى، لقـد دخلـتُ إلى المنـزل رأيتـكِ مسـتلقية عـلى الأرض. أنـا آسـف بشـأن فقدانـك أمـك. دكتـور تومـاس، لقـد انتهـى الأمـر أريـد التحـدث مـع جونسـون. حسـنًا، مَـن هـو جونسـون؟.. فقـط أريـد الهاتـف مـن فضلـك. للأسـف خطـوط الهاتـف مقطوعـة، لقـد تدمـر أغلبهـا عـلى الأرجـح، كان مـن الصعـب أيضًـا أن أنقلـك إلى المستشـفى. سـأذهب إليـه الآن. لا، فحالتـك غـير مسـتقرة حتـى الآن.

لقـد تحدثـت مـع عائلتـك بشـأن مراسـم دفـن إيزابيـل، فقط اسـتريحي الآن. أنـا أريـد جونسـون. حسـنًا، أخبرينـي باسـمه وسـوف أحـاول الوصـول إليـه. اسـمه جونسـون ديفلوفيـك، يعمـل رسـامًا، يقيـم في تقاطـع شـارع سـبرينج مـع لوكـسري. حسـنًا سـأحاول أن أرسـل أحدهـم للبحـث عنـه. شـكرًا لـك.

التاسع عشر من نوفمبر

ارقضي بسلام إيزابيل، لتنعم روحك في السماء، سأشتاق إليكِ كثيرًا أمي.

الآن أصبحتُ بمفردي، لقد انتهيتُ من مراسم تأبين إيزابيل، لكن أين أنتَ يا جونسون، لست موجودًا هنا، أتمنى أن تكون بخير. الطرقات مغلقة، نقاط التفتيش تنتشر في كل المدينة.. ينظر إلي عمي سام، يبدو أنه حزين جدًّا، لقد أتى من فرنسا اليوم لكي يحضر التأبين، تحدثت معه بشأن إخلاء المنزل، لقد صدرت تعليمات بإخلاء الحي وعلينا أن نحمل أغراضنا ونذهب للحي المجاور، لقد قال العم سام أنه سوف يستأجر منزل من أجلنا، لكن كيف سأترك الحي وجونسون هنا لا أعلم عنه شيئًا؟! لقد اشتقت إليه كثيرًا.. الآن سوف نعود إلى المنزل لترتيب أمر الإخلاء وعلي الاتصال أيضًا بالدكتور توماس، لقد وعدني أنه سوف يبحث عن جونسون. ألو دكتور توماس، أنا ماري، هل هناك أي معلومات عن جونسون؟.. حسنًا حسنًا، أنا قادمة على الفور.

دكتور توماس ماذا حدث لجونسون؟.. ماري هوّني على نفسك، جونسون بخير، لقد فقد عائلته، سقطت إحدى القذائف على منزلهم وهو الآن يُعاني من صدمة عصبية. هل هو بخير؟.. إنه بخير، لكن حدث له فقدان ذاكرة مؤقت نتيجة الصدمة. هل يمكنني رؤيته؟.. نعم بالطبع، لا بد أن تجعليه يتذكر، إنه في

الغرفـة رقـم سـبعة عـشر. حسـنًا سـأذهب إليـه. تصحبـكِ السـلامة.

كأن الوقـت لا يمـر، مـاذا حـدث لـك جونسـون؟ لقـد فقدنـا نحـن الاثنـان كل مـا نملـك، العائلـة هـي كل شيء، لا أريـد أن أفقـدك أيضًـا. تسـتوقفني إحـدى الممرضـات في عجلـة مـن أمرهـا، تسـألني إلى أيـن تذهبـين؟ أخبرتهـا أننـي أقصـد الغرفـة السـابعة عـشر فأشـارت إلي وقالـت: «إنهـا هنـاك».

جونسـون؟ جونسـون؟ هـل تـراني؟ أنـا مـاري جونسـون، تحـدث إلي، هـل أنـت بخـير؟ ضـع يـدك عـلى وجهـي، هـل تتذكـر هـذه الملامـح؟ أعلـم أنـك متعـب، أنـا أيضًـا فقـدت والـدتي، لم يبـقَ لي سـوى أنـت، أنـت وطنـي الوحيـد، هـل تتذكـر؟ لقـد قلتهـا مـرارًا وتكـرارًا، جـون سـنعود كـما السـابق، لا تجعـل الحـزن يقتلـك، تذكـر جـون.. كان لديـك حلـم عليـك تحقيقـه، سـنحققه معًـا، كل ذلـك سـيمضي... هـل فقـدتِ أحدهـم أيضًـا؟.. أووه جونسـون، لقـد تحدثـت، أنـا أحبـك، سـتكون بخـير أعلـم ذلـك، هيـا علينـا أن نخـرج مـن هنـا قريبًـا. لمـاذا لم تجيبـي عـلى سـؤالي؟.. جـون لقـد فقـدت إيزابيـل. ومَـن هـي إيزابيـل؟.. إنهـا أمـي، أنـت لا تتذكـر إيزابيـل! كنـت ترسـم لهـا لوحـة. نعـم نعـم تذكـرت، المـرأة ذات الشـعر الأحمـر والبـشرة البيضـاء في الخمسـين مـن عمرهـا، لقـد قمـتُ برسـمها وأرسـلت إليهـا اللوحـة عـلى عنـوان منزلهـا، هـل هـي قريبـة منـكِ؟.. نعـم إنهـا أمـي. حسـنًا وأيـن هـي الآن؟.. لقـد فقدتهـا منـذ أيـام قليلـة. لكـن أنـا تحدثـت معهـا عـبر الهاتـف! جونسـون أنـت غـير متـزن، عليـك بمزيـد مـن الراحـه، أنـت مـا زلـت متعبًـا. توقفـي عـن لمـس وجهـي. حسـنًا حسـنًا، فقـط اسـترخي الآن. أنـا بخـير.

آنسة ماري.. أووه! دكتور توماس، لقد تحدثت معه، إنه لا يتذكر أي شيء، فقط ملامح إيزابيل. لا عليكِ آنسة ماري، ستعود له ذاكرته تدريجيًّا عندما تنتهي حدّة الصدمة شيئًا فشيئًا. إنه لم يتذكرني.. مع مرور الوقت سيتذكر كل شيء، علينا الذهاب الآن وتركه يأخذ قسطًا من الراحة. حسنًا لنذهب. ماذا ستفعلين الآن؟.. سأعود إلى المنزل، سأقوم بترتيب أغراض إيزابيل ووضعها في صندوق، كما تعلم لا بد من إخلاء الحي. حسنًا. دكتور توماس، إذا تحدّث جونسون بأي شيء عني أو عن إيزابيل أخبرني من فضلك. أتمنى أن تكون خطوط الهواتف عادت للعمل، سوف أتصل بكِ عندما يتذكر أي شيء. شكرًا لك، إلى اللقاء.

عدتُ إلى المنزل من جديد، يبدو مكانًا موحشًا بدون إيزابيل، كأن كل شيء في المنزل حزين على رحيلها، لقد ذبل الورد الذي لطالما قامت بالاعتناء به، كانت تجلس بجواره كثيرًا وتقرأ الكتب وتقف بجوار النافذة وتتابع الأطفال بالشارع، كانت تحب رؤية ذلك كثيرًا. كأنني أشعر بروحها ما زالت هنا معي. كان يريد جونسون أن يرسم لوحة لها قبل رحيلها، لكن القدر كان له رأي آخر، من الجيد أنه ما زال يتذكرها ويتذكر الوعد الذي قطعه لي أنه سيقوم برسمها، أتمنى أن تعود ذاكرتك سريعًا جونسون، فأنا لا أستطيع العيش بدونك، ليس لدي سوى أنت، أنت الأمل الوحيد الذي أتمسّك به، الأمل والذكريات التي لم تفارقني.

قبل سنوات الحرب كان جونسون وأسرته في رحلة للشرق،

كنتُ أكتب له باستمرار وأخبره عن حبي وشغفي له ورغبتي بعودته وأنني ما زلت أنظر إلى عقارب الساعة حتى يصل عقرب الساعات ويشير إلى الرقم إثنا عشر وأحتفل بقدوم يوم جديد وأنني أستيقظ كل صباح وأشرب القهوة بدون إضافة سكر وأشعل السيجار الذي يحبه وأشتري زهور الكاردينيا، كنت أكتب له بشغف يجعلني أحكي له تفاصيل يومي بالكامل ولون فستاني الجديد وأن شعري أصبح أطول من السابق.. كان يرد ببضع كلمات فقط، كأنه لا يكترث، لكنني أعلم أنه يمضي طوال الليل يتأمل صورتي التي أرسلتها له في إحدى المراسلات فأعود وأكتب له وأسأله عن ما إن كان يحبني كما السابق، فيتأخر رده يومًا وأسبوعًا وشهرًا فأكتب له مرة أخرى بشغف كأنني ألحّ عليه في السؤال، فيكتب لي «نعم أحبك»، فتنهمر دموعي وأنا أبتسم وأحتضن الكلمات وأعود وأكتب له من جديد عن العروض التي أشاهدها في شوارع نيويورك، فيبتسم وهو لا يكترث لهذه التفاصيل ويكتب لي أنه اشتاق إلى لون عيني الزرقاء وإلى رائحة جسدي وإلى دفء أنفاسي، وأنه يراني في منامه كل يوم حتى يسيطر عليه النوم... يقاطعني صوت الهاتف، أتمنى أن يكون الدكتور توماس!

ألو عمي سام، كيف حالك؟.. أنا لستُ بخير. حسنًا لقد جهزت كل شيء. سوف أنتظر، إلى اللقاء.

لقد قال العم سام أنه لا بد أن أغادر المنزل الآن، سوف يأتي ويصطحبني للمنزل الجديد، فيما قمت أنا بتجهيز كل الأغراض الهامة التي علينا نقلها.. المكان هنا لم يعد آمنًا، لكن كيف

سـأذهب بـدون جونسـون؟ لا يسـتطيع مغـادرة المستشـفى وأصبحـت صفـارات الإنـذار تقـرع بـكل أرجـاء حـي سـبرينج كأنهـم رفعـوا حالـة الاسـتعداد، الجميـع يغـادر منزلـه متوجهًـا إلى المجهـول، الحرب تُفقدنـا الذكريـات وكل شيء جميـل عشـناه، ولكـن لا بـد أن نعـود يومًـا مـا.. الجميـع يسـير في الطرقـات محمـل بـالآلام، يشـعر باليـأس، لا أحـد يسـمع أصـوات القذائـف، لا أحـد يسـمع، ننظـر فقـط إلى أعماقنـا ونُعيـد تذكـر كل شيء مـضى قبـل سـنوات مـن الحـرب.. إنـه شيء سيء أن تكـون مجـبرًا عـلى تـرك كل شيء وأنـت لسـت مخطـئ.. أغلـب الرجـال ذهبـوا إلى الحـرب، لم يبـقَ سـوى الأطفـال والنسـاء.. العـم سـام في الخمسـين مـن عمـره ولـو كان أقـل مـن ذلـك لذهـب أيضًـا مـع الذيـن ذهبوا بـدون عـودة ولا نعلـم عنهم شـيئًا حتـى الآن، كل شيء مجهـول هنـا، لا تنتظـر عـودة شيء، لا تنتظـر عـودة أحـد، لا تنتظـر أن تنتهـي الحـرب، كل شيء لـن يعـود كـما السـابق حتـى وإن لم نعـد نشـعر بالخطـر، لقـد فقـد جونسـون كل عائلتـه في لحظـات وهـو الآن لا يـدرك مـا حـدث لـه.. يطـرق أحدهـم عـلى البـاب، أظـن أنـه العـم سـام.. كيـف حالـك عـم سـام؟.. أنـا بخـير عزيـزتي، سـوف نذهـب الآن. حسـنًا لقـد جهـزت كل شيء فقـط سـوف آخـذ معـي هـذا الصنـدوق بـه أغـراض إيزابيـل وبعـض الحقائـب أيضًـا، إلى أيـن سـنذهب؟.. سـنذهب إلى حـي لوكسري، إنـه قريـب مـن هنـا وهـو آمـن، هـل رأيـتِ جونسـون؟.. نعـم نعـم رأيتـه، إنهـا قصـة طويلـة. حسـنًا أيـن هـو؟ ألـن يغـادر الحـي؟.. لا، هـو في المستشـفى، لقـد فقـد عائلتـه وأصيـب بصدمـة عصبيـة، هـو حتـى لا يتذكـر مـن أنـا، لديـه فقـدان ذاكـرة مؤقـت لكنـه بخـير، أخـبرني الدكتـور أن

ذاكرتـه سـوف تعـود مـع الوقـت والعنايـة بـه. حسـنًا عزيـزتي مـاري، أنـا حزيـن مـن أجلـك! لنذهـب الآن ونتحـدث في أمـر جونسـون لاحقًـا. حسـنًا لنذهـب.

الجزء الثاني

(جونسون)

حسنًا جين، أخبريني بكل شيء، ماذا كتب أليكس في هذه الأوراق؟ كما أخبرتك أريد معرفة ما حدث قبل سبع سنوات.

***

الثامن عشر من نوفمبر عام ألف وتسعمائة وثمانية عشر

كان صباحًا غير عادي، أوشكت الحرب على الانتهاء، في الطريق أنا وماري نركض ونتوقف، لقد سكبت الماء على شعرها فانهمرت في الضحك، كنت أشدّ يدها وكانت تطلب مني عدم فعل ذلك، قالت أيها المعتوه لا تشدّ يدي نحن في الطريق، فتوقفنا قليلًا وذهبنا إلى أحد الشوارع الجانبية بعيدًا عن نقطات تفتيش سبرينج المزعجة.. الطقس بارد جدًّا، أعمدة الإنارة توقف معظمها عن العمل، بعض الفراشات تطوف حول مصباح مشتعل أمام إحدى نقاط التفتيش، يقف الجندي ويتحدث معهم قائلًا: أنتم تشعرون بالبرد مثلنا.. بالرغم من كل ذلك ما زالت ماري تركل كرات الثلج في الطريق وتنظر إلي وتبتسم، تقول دائمًا إنها تحب ذلك وإنني أمتلك ملامح صلبة بعض الشيء وإنني رجل متغطرس... تحدث معي جونسون، بماذا تفكر؟.. أنا أحبك كثيرًا، أنفاسك باردة ماري وأنا أحب ذلك، إنها تجعلني أكثر جنونًا... جون توقف لا تفعل ذلك، علينا الذهاب الآن. حسنًا لنذهب، لا فقط اقتربي قليلًا. لماذا؟.. أحب رؤية عينيك. لنذهب جونسون، إيزابيل مريضة في المنزل، علي

الاعتناء بها. هل ما زالت مريضة؟.. نعم مريضة والمستشفيات أغلقت أغلبها بفعل الحرب. سوف أصلي من أجلها. عليك أن تذهب للكنيسة أولًا. سوف أذهب من أجلك. اذهب من أجل الصلاة. حسنًا ماري لقد وصلنا. أحبك جونسون، اعتني بنفسك واذهب لا تلتفت حولك، تابعني بنظراتك دائمًا. أنا أفعل ذلك دائمًا، إلى اللقاء، سأشتاق إليكِ. وأنا أيضًا.

***

التاسع عشر من نوفمبر

في حي أرستقراطي وفي شارع «سان جوليان»، وتحديدًا المنزل رقم سبعة عشر، يعيش كل من السيد أليكس وزوجته السيدة دوونا بعيدًا عن أصوات القذائف ونقاط التفتيش غير مكترثين بالحرب، الأمور تبدو هادئة بعض الشيء وتسير الحياة بشكل طبيعي، لكن في ليلة من ليالي نوفمبر الباردة كان السيد أليكس ينام على بار إحدى حانات سان جوليان التي عملت خصيصًا لاستضافة الأثرياء.. يصفح النادل السيد أليكس على رأسه ويخبره أن يذهب للنوم في منزله، لكن السيد أليكس الذي ثمل كثيرًا لم يشعر بشيء سوى أنه في فراشه بجانبه السيدة دوونا تخبره أن يتوقف عن الشرب لأن ذلك يضر بصحته، لم تمضِ ساعات قليلة على نصيحة السيدة دوونا لزوجها حتى شعر السيد أليكس بآلام في المثانة نتيجة احتباس السوائل في جسمه، لقد حاول أن يتبول كثيرًا لكن دون جدوى فظل يصرخ طوال الليل من شدة الألم، اقترحت عليه زوجته أن يذهب للمستشفى في الصباح لكن الآخر رفض، فكما عهدته السيدة دوونا هو

يبغض المستشفيات والأطباء بشدة، تحديدًا في سنوات الحرب، وإن المستشفى الوحيد الذي يعمل هو في حي سبرينج الذي يتعرض للقذائف بشكل عشوائي، لكن عندما اشتد الألم عليه وافق على الأمر. في الصباح ذهب السيد أليكس والسيدة دوونا إلى حي سبرينج يقصدون مستشفى سبرينج، كانت القذائف لها صوت مسموع لكن ما آثار غضب السيد أليكس هو أن الطرقات السيئة جعلت السيارة تتعطل لوقت، وبعد معاناة عملت السيارة من جديد.. عند وصولهم إلى باب المستشفى كان هناك عدد من الضحايا وشاب مصاب في رأسه لا يستطيع التحدث.. وقف السيد أليكس أمام هذا المشهد وقد نسي الألم الذي يشعر به وسأل أحد الأطباء من هذا الشاب؟ فأجابه أن هذا الشاب فقد عائلته بفعل قذيفة سقطت على منزلهم وهو الآن مصاب بحالة صدمة عصبية. نظر السيد أليكس لدقائق لهذا الشاب وسأله: ماذا تعمل يا بني؟ فقال إنه يعمل رسامًا لكن لا يستطيع التحدث بشكل واضح فالدماء تغطي وجهه، إلى جانب أن الصدمة كانت قوية، فدماء أسرته لطخت أرضيات المستشفى والأطباء الذين قرروا أخيرًا أن لا أمل من نجاة أي من أسرته.. لقد نسي السيد أليكس لماذا جاء إلى المستشفى، نسي الألم وكل شيء عندما علم بالتحديد أن القذيفة التي سقطت على أسرة هذا الشاب كان من المفترض أن تسقط على سيارته، لكن القدر شاء أن تتعطّل في الطريق لبضع دقائق، القدر السيء لهذا الشاب أن يعيش وحيدًا وأن يعيش السيد أليكس الذي ليس لديه أبناء أيضًا وحيدًا هو والسيدة دوونا، فهما لم ينجبا أطفالًا، لكن بعد

مـرور ٢٠ عامًـا عـلى زواجهـم حملـت السـيدة دوونـا ولكـن الطفـل مـات في رحمهـا ممـا جعـل السـيد أليكـس يصـاب باكتئـاب حـاد جعلـه يـشرب الكثـير مـن الخمـر كل يـوم حتـى ينسـى هـذا الحـدث السـيء.. يذكـر دائـمًا السـيد أليكـس أن الـرب يكرهـه لذلـك لم يرزقـه بطفـل وعندمـا رزقـه مـات، لقـد ذهـب كثـيرًا إلى الكنيسـة لكـي يعـترف بخطايـاه إلى القسّ لكـن راعـي الكنيسـة أخـبره أن الـرب لا يعاقـب أبنائـه بهـذه الطريقـة وعليـه نسـيان هـذه الأفـكار السـيئة وأن يـأتي إلى الكنيسـة كل يـوم أحـد ويقلـل مـن شرب الخمـر.. عاد السـيد أليكـس يشـعر أنـه يحمـل خطيئـة جديـدة، فهـذا الشـاب فقـد عائلتـه وكأن هـو المتسـبب في ذلـك الحـادث.

تحدثـت السـيدة دوونـا إلى زوجهـا وسـألته: لمـاذا لم تذهـب مـع الطبيـب لفحصـك؟ فأخبرهـا أنـه لم يسـمع الطبيـب عندمـا طلـب منه التوجـه إلى غرفـة الفحـص؛ فقـد كان يفكـر في عـدة أمـور.. ولكـن أخـيرًا ذهـب إلى غرفـة الفحـص وقـام الطبيـب بفحصـه ثـم خـرج السـيد أليكـس وذهـب يبحـث عـن الشـاب نفسـه فالتقـى بالدكتـور تومـاس وسـأله مـا إذا كانـت حالـة الشـاب الصحيـة أصبحـت أفضـل؟ فأجابـه أن الصدمـة تؤثـر عليـه فقـط وسـوف يكـون بخـير. وقبـل أن يغـادر الدكتـور الـذي ظهـر أنـه في عجلـة مـن أمـره، سـأله السـيد أليكـس مجـددًا عـن مـا إذا كان أحـد سـأل عـلى الشـاب؟ فأجابـه أن هنـاك فتـاة تدعـى مـاري قـد سـألت عنـه وهـي في الطريـق إلى هنـا لرؤيتـه.

تعجبـت السـيدة دوونـا مـن فعـل زوجهـا وسـألته إلى متـى سـوف نظـل هنـا؟ فأجـاب: حتـى يصبـح هـذا الشـاب بحالـة جيـدة

سـوف ننـصرف، وفي كل الأحـوال الطرقـات مغلقـة ونقـاط التفتيـش تنتـشر في كل الحـي. ثـم عـاد السـيد أليكـس وتحـدث مـع الدكتـور يطلـب منـه أن يخبره عندمـا تـأتي مـاري لرؤيـة جونسـون لأنـه يريـد رؤيتهـا والتحـدث معهـا في أمـر مـا، فجـاء رد الدكتـور تومـاس بالموافقـة واكتفـى بهـز رأسـه.. لم تمـر بضـع دقائـق حتـى أخـبرت إحـدى الممرضـات السـيد أليكـس أن مـاري قـد حـضرت وهـي في الحجـرة تجلـس مـع جونسـون، فذهـب السـيد أليكـس مسرعًـا ووقـف عـلى بـاب الحجـرة، فهـو لم يحـب مقاطعتهـم.. كانـت مـاري تجلـس عـلى طـرف الفـراش وجونسـون يجلـس متكـئ إلى الخلـف ولم يتفـوّه بـأي كلمـة، كانـت مـاري تتحـدث كثـيرًا وتضـع يدهـا عـلى وجـه جونسـون كأنـه طفلهـا وتحـاول جعلـه يتحـدث وتمسـح العـرق عـن جبينهـا وتعـود وتتحـدث.. لم يـرَ السـيد أليكـس منهـا سـوى شـعرها الـذي كان يُغطّـي كتفهـا، وأمـام هـذا المشـهد شـعر السـيد أليكـس بسـعادة غمرتـه لأن الفرصـة كانـت تسـمح لـه بتحقيـق مـا خطـط لـه.. عندمـا عـمّ الصمـت عـلى حجـرة جونسـون لدقيقـة واحـدة طـرق السـيد أليكـس البـاب وقـام بمصافحـة مـاري وعـرّف عـن نفسـه ثـم بـاشر الحديـث بـما جـاء مـن أجلـه، فقـد أخبرهـا أنـه يمتلـك فندقًـا عـلى أطـراف المدينـة وهـو مـكان آمـن يمكـن لجونسـون أن يقيـم فيـه مـدى الحيـاة وبشـكل مجـاني. نظـرت مـاري إلى جونسـون مـن جديـد وعـادت تمسـح العـرق عـن جبينهـا وترفـع خصلاتهـا مـن عـلى وجههـا ثـم قاطعـت السـيد أليكـس برفـض عرضـه بشـكل قاطـع ظهـر بـه بعـض الفظاظـة، عندهـا حـاول السـيد أليكـس مناقشـتها لكنهـا أخبرتـه أن جونسـون سـوف يعيـش معهـا في منزلهـا

الجديد، وقبل أن تتفوه بكلمة أخرى سقطت خمسة قذائف على المستشفى.. في لحظة لم يرى السيد أليكس أي شيء، فقد عمّ الدخان أرجاء المكان، كان ساقطًا على الأرض لا يستطيع الحركة لكنه رأى إحدى الممرضات وهي تفتح شنطة ماري وتأخذ منها بعض الأوراق وتذهب، فيما أصيبت ماري بجروح طفيفة والسيد أليكس أيضًا، لكن جونسون والسيدة دوونا لم يصابو بأي أذى وتم إسعاف المصابين على الفور.. كانت ماري قد فقدت وعيها، قام الأطباء بإسعافها لكن على الجميع المكوث في المستشفى الذي أصبح نصفه مدمر تقريبًا وما زال قيد العمل لإسعاف المصابين.. لقد فُقد العديد من الأطباء والممرضين والمرضى، فيما كانت إصابة ماري قليلة، لذلك تم إسعافها سريعًا وجاء العم سام واصطحبها إلى المنزل على الفور بعدما استفاقت، لكن السيد أليكس ظل في المستشفى ليومين حتى أخبره الأطباء أن على الجميع مغادرة المستشفى لأنه لم يعد مكان آمن لهم وخيّروه ما بين الانتقال إلى مستشفى آخر أو الذهاب إلى المنزل؟ فحالته الصحية استقرت بعدما كان قد أصيب في إحدى قدميه.. وبعد نقاش مع الأطباء قرر أخيرًا العودة إلى منزله، لكن قبل المغادرة تحدث مع جونسون وقال له: يا فتى، أنا أعلم ما حلّ بك، فإن أردت سوف تذهب معي إلى المنزل، تأكد أن السيد أليكس والسيدة دوونا سوف يوفرون لك الرعاية الكاملة.. جاءت إجابة جونسون برفض عرض السيد أليكس وقال إنه لن ينتقل إلى أي مكان ولن يقرر ذلك حتى يسمح له الأطباء بمغادرة المستشفى.. كانت كلماته ثقيلة لكنه كان يعلم

ويـدرك مـا يقـول.. ألـحّ السـيد أليكـس عـلى جونسـون بـأن يقبـل عرضـه لكـن الإلحـاح لم يـأتِ بثـماره ورفـض جونسـون العـرض مـن جديـد، فـما كان مـن السـيد أليكـس إلا أن كتـب رقـم هاتفـه وعنـوان منزلـه عـلى ورقـة وأعطاهـا لـه وأخـبره إن كان في حاجـة إلى أي شيء فقـط عليـه الاتصـال بـه وسـوف يقـوم بمسـاعدته عـلى الفـور، ثـم غـادر السـيد أليكـس المستشـفى فيـما ظـل جونسـون ليلـة أخـرى قبـل المغـادرة.. كان الطقـس ممطـرًا، صاحـب ذلـك أحـلام كثـيرة شـاهدها في منامــه، كان يشـعر بـآلام في رأسـه فيـما كان أغلـب المقيمـين في المستشـفى يصـدرون أصـوات أنـين طـوال الليـل، وهـذا الأمـر الـذي لم يجعلـه يسـتطيع النـوم، فيـما كان الدكتـور تومـاس يُلقـي نظـرة عـلى المـرضى في تمـام السـاعة الثانيـة عـشر بعـد منتصـف الليـل.. توقـف عنـد فـراش جونسـون وأخـبره أن حالتـه اسـتقرت ويسـتطيع المغـادرة في الصبـاح إن أراد ذلـك، وهـذا الأمـر الـذي جعلـه يسـتطيع النـوم حتـى تمـضي هـذه السـاعات سريعًـا ويغـادر المستشـفى.

***

العشرون من نوفمبر

استيقظ جونسـون عـلى صـوت سـيارات المستشـفى التـي جـاءت لتنقـل المـرضى إلى مـكان آخـر حيـث سـيتم إخـلاء المستشـفى، قـام مـن فراشـه، كان لا يسـتطيع الرؤيـة بوضـوح، وقـف أمامـه الدكتـور تومـاس يُحدّثـه لدقائـق وهـو لا يسـمع أو يـرى شـيئًا سـوى صـورة ضبابيـة لأحدهـم يقـف أمامـه، لكـن سرعـان مـا عـادت إليـه حواسـه، فسـأله الدكتـور تومـاس: هـل أنـت بخـير؟ أجـاب بنعـم، سـوف أغـادر الآن.. لكنـه عندمـا وقـف اختـل توازنـه فأخـبره

الدكتور توماس أن هذا أمر طبيعي، في خلال دقائق سوف تكون قادرًا على الوقوف والمشي. جلس جونسون لدقائق على فراشه من جديد فيما أحضرت له إحدى الممرضات بعض الدواء وقالت له تناول هذا سوف تستعيد توازنك.. لم تمضِ دقائق حتى استعاد جونسون توازنه وأخبر الدكتور توماس بأنه سوف يغادر وانتهى الأمر إلى هنا حيث ذهب جون إلى المجهول، فالماضي لا يتذكره والحاضر والمستقبل مجهولين بالنسبة له لا يعلم عنهما أي شيء سوى أنه جونسون الذي يجيد الرسم.. كانت وجهته إلى شاطئ لوس أنجلوس الذي شعر بالحنين إليه وهو لا يعلم أنه وقف كثيرًا على هذا الشاطئ هو وماري في السنوات التي مضت، لكن المشهد الآن اختلف، أصبح هناك ميناء تصطف به الكثير من السفن الحربية التي تُجري أعمال الصيانة وتعود إلى الحرب من جديد. شاهد جونسون هذا المشهد الذي لم يرَه من قبل.. الكثير من السفن تقف وقد احترقت أجزاء منها أو تغير لونها بفعل كثرة الدماء ومع ذلك تعود لقتل مزيد من البشر! وقف لساعات وساعات دون أن يتحدث مع أحد، الجنود يتحركون بسرعة، يحملون الجرحى والقتلى إلى المستشفيات، الجميع يصرخ وأصوات السفن تسيطر على الميناء، الدماء تظهر على أجسادها، يختلط صدأ معدنها مع الدماء فيشكل شيئًا سيئًا للغاية من الصعب وصف حقارته.. أمام كل ذلك اختلطت المشاعر بداخل جونسون لكن أحدهم أشار إليه من على إحدى السفن وقال له: أيها الشاب، ألا تريد الحصول على عمل؟ فأجاب على الفور: نعم أريد. فقال له: حسنًا، اصعد إلى

السفينة، لدي عمل من أجلك. لم يفكر جونسون بشيء سوى أن قدماه حملته إلى الصعود على السفينة فأخبره ذلك الرجل أن عمله أنه سيقوم بتنظيف الدماء التي على السفينة ويتقاضى عن كل ساعة دولارين فقط ويمكنه أن ينام داخل قمرة القيادة حتى ينتهي من عمله. لقد كان عرضًا مغريًا بالنسبة لجونسون الذي لا يمتلك مالًا أو مكانًا للعيش فيه. لقد عمل لساعات وساعات ينظف الدماء التي تناثرت على السفينة كأنها رسمت لوحة سيئة للحرب التي حصدت أرواح ملايين الأبرياء في هذا العالم الذي حكمه الجنون فقط.

كان من الصعب أن يتعايش جونسون مع هذا العمل، فقد كان يتسلل في الليل إلى مطبخ السفينة ويحصل على القليل من الجبن والنبيذ وبعض الخبز اليابس ويأكل وهو يترقب ثم يذهب إلى قمرة القيادة التي تبدو مثل أحد المقابر القديمة، الكثير من الأوراق مبعثرة، وبعض نقاط الدماء على الزجاج الأمامي، وزجاجة نبيذ شُرب نصفها، وخلّة أسنان لأحدهم كان قد استخدمها بعد وجبة من السمك لتنظيف أسنانه، وحذاء مهترئ ومحترق من لهيب الحرب.. تبدو قمرة القيادة مكانًا مخيفًا في الليل لكن قبل النوم كان جونسون ينظر للبحر وأمواجه لساعات وساعات ويرسم أحلامًا خيالية على الماء مرارًا وتكرارًا، وفي كل يوم يحدث ذلك وكأن حياته إلى هنا توقفت

في الصباح.. كان جونسون ينظف أرضية السفينة، فرفع رأسه إلى الأعلى ليشاهد الرجل الذي يعطيه المال مقابل عمله وسأله ما إن كان يرى أحلامًا سيئة أثناء النوم؟ لكن جونسون أخبره

أنـه لا يحلـم بـشيء عـلى الإطـلاق، فقـال لـه الرجـل الـذي نـسي جونسـون اسـمه: إن الأشـخاص الذيـن لا يحلمـون يصبحـون عظـماء في المسـتقبل، فلـم يكـترث جونسـون لمـا قـال كثـيرًا وصرف نظـره عنـه وأمسـك الفرشـاة مـن جديـد وعـاد إلى تنظيـف السـفينة.. وفي نهايـة هـذه الرحلـة الشـاقة المحملـة بـالألم والدمـاء والكثـير مـن الجبـن والنبيـذ، حصـل جونسـون عـلى سـتين دولارًا مقابـل عملـه، حتـى انتهـت صيانـة السـفينة في المينـاء وأخـبره طاقـم السـفينة أن عليـه المغـادرة والعـودة للمينـاء لأنهـم سـيذهبون للقتـال مـن جديـد، فعـاد جونسـون مـن جديـد يقـف أمـام المينـاء ينظـر إلى البحـر.

كان ذلـك في مسـاء الثـاني والعشريـن مـن نوفمبر.. شـعر جونسـون بالـبرد وكان عليـه أن يجـد مكانًـا للإقامـة فيـه هـذه الليلـة عـلى الأقـل، فـما كان منـه إلا أن اسـتقل تاكـسي وأخـبره أنـه يريـد الذهـاب إلى أقـرب فنـدق، لكـن ليـس باهـظ الثمـن فهـو لا يمتلـك الكثـير مـن المـال. أخـبره سـائق التاكـسي أنـه سـوف يذهـب بـه إلى فنـدق «مبلتـوم بـل» فهـو ليـس باهـظ الثمـن وعـلى أطـراف المدينـة وآمـن تمامًـا، لقـد نـام جونسـون وهـو في طريقـه للفنـدق حتـى فتـح السـائق لـه بـاب التاكـسي وأخـبره أنـه وصـل أخـيرًا إلى «مبلتـوم بـل»، وما إن وصـل إلى الريسبشـن الخـاص بالفنـدق شـاهد عاملـة الريسبشـن التي تُدعـى جـين وأخبرهـا أنـه يريـد غرفـة للإقامـة بهـا، وقـدّم لهـا القليـل مـن المـال، وهـذه كانـت أول ليلـة ينـام جونسـون عـلى فـراش نظيـف بعدمـا غـادر المستشـفى.

في الصبـاح أراد جونسـون أن يحتـسي القهـوة لكـن كانـت الهواتـف معطّلـة فنـزل إلى الريسبشـن وأخـبر جـين أنـه يريـد احتسـاء القهـوة

فأشــارت إليــه أن المقهــى هنــاك إذا أراد أي شيء، فيــما نظــر حولــه لم يجـد سـوى جـين عاملـة الريسبشـن والنـادل رجـل يبـدو عليـه أنـه مـن أصـول أفريقيـة ورجـل بديـن في الخمسـين مـن عمـره عندمـا رآه جـاء إليـه مسرعًـا وقـال: جونسـون، كيـف حالـك الآن؟ ألا تتذكـرني؟ فأجـاب جونسـون: مـن أنـت يـا سـيدي؟ فقـال لـه: أنـا السـيد أليكـس، لقـد كنـت معـك في مستشـفى سـبرينج منـذ بضـع أيـام، هـل تتذكـر؟ لقـد أعطيتـك ورقـة عليهـا رقـم هاتفـي وعنـواني. فــرد جونســون: لا أتذكــر، اعــذرني يــا ســيدي فأنــا أعــاني مــن مـرض فقـدان الذاكـرة. ابتسـم السـيد أليكـس وقـال لـه: لا عليـك جونسـون، أنـت مرحّـب بـك هنـا، لا تهتـم بـشيء، سـوف تقيـم هنـا مـدى الحيـاة حتـى تريـد المغـادرة. ابتسـم جونسـون لـه وهـو لا يـدرك مـا يقـول!

السابع عشر من أغسطس عام ألف وتسعمائة وخمسة وعشرون

(سبع سنوات بعد الحرب)

ما زال السيد أليكس يُتابع تصرفات جونسون التي لم يفهمها، لقد مر سبع سنوات على إقامته في الفندق وهو لا يعلم أي شيء عن حياته السابقة، لكن السيد أليكس كان يبحث طوال الوقت عن عائلة جونسون، لم ينسَ آخر مشهد شاهد فيه ماري عندما قامت إحدى الممرضات بسرقة بعض الأوراق من حقيبتها وذهبت، وطوال هذه الفترة كان السيد أليكس يتردد على المستشفى ويسأل عن ماري وعن هذه الممرضة التي فعلت هذا الفعل بدون سبب لكن دون جدوى، فقد احترقت الملفات الخاصة بالمستشفى بفعل الحرب وتغير كل شيء وأصبح الآن مستشفى مخصص للأطفال فقط، لكن كان هناك طبيب يقيم في الفندق، سأله السيد أليكس عن ما إن كان طاقم مستشفى سبرينج انتقل إلى مكان آخر فأجابه: بالطبع لقد انتقل الأطباء والعاملين في المستشفى منذ سبع سنوات إلى مستشفى آخر في حي لوكسري وهو الحي المجاور لسبرينج، فما كان منه إلا أن ذهب على الفور إلى الحي يبحث عن المستشفى ووصّل إليه بالفعل وعند دخوله من باب المستشفى شاهد الممرضة التي سرقت

حقيبة ماري فسألها: ما اسمك سيدتي؟ قالت: أنا أدعى لوجينا ديران، وبادرته بالحديث: هل أخدمك بشيء سيدي؟.. توقع السيد أليكس أنه قصد الشخص الخطأ فانصرف من أمامها دون أن يتفوّه بكلمة لكنه تابع تصرفاتها فلم يجد أي شيء غريب، ثم تتبعها بسيارته إلى منزلها وهو في حي سبرينج، وكان مكتوبًا عليه منزل السيدة إيزابيل.

في صباح اليوم التالي ذهب السيد أليكس إلى مركز شرطة سبرينج وطلب الحصول على صور وأسماء مَن يملك المنازل في سبرينج، فوجد صورة قديمة لسيدة تُدعى إيزابيل، تذكّر وقتها أنه شاهد تلك السيدة من قبل في لوحة رسمها جونسون، لكن لم تكن لوحة واحدة فقد رسم جونسون سبع لوحات على مدار سبع سنوات للسيدة نفسها.. أصبح الأمر محيرًا أكثر للسيد أليكس الذي عاد إلى سبرينج وطرق باب منزل إيزابيل فلم يُجب أحد ثم وقف دقائق يفكر فلاحظ أن هناك سيارة تقف أمام المنزل وأن هناك أحدهم يتلصص عليه، وقبل أن يتوجه إليه السيد أليكس ويقترب لرؤيته انطلقت السيارة فلم يستطع تحديد هوية من في السيارة، لكن اتضح من ملابسها أنها فتاة، فيما تمكن السيد أليكس من الحصول على أرقام السيارة وكتابتها في ورقة وذهب إلى مركز شرطة سبرينج من جديد يستعلم عن مالك هذه السيارة، بعد عناء شديد قام به رجال الشرطة وبعد بحث في أرشيف المركز تبين أن مالك السيارة فتاة تُدعى لوجينا ديران كانت تعمل ممرضة في مستشفى سبرينج والآن تعمل في مستشفى لوكسري بعدما توقف مستشفى سبرينج عن العمل،

وكان ذلـك منـذ سـبع سـنوات أثنـاء الحـرب.

لم يعـد السـيد أليكـس يفهـم مـا الـذي حـدث، لكـن أخـبره المحقـق في مركـز الشرطـة أن إيزابيـل لديهـا ابنـة تُدعـى مـاري وهـي ليـس لهـا أثـر وأن أغلـب الظـن أنهـا ماتـت في حـادث مستشـفى سـبرينج الشـهيرة.

الآن أصبـح كل شيء واضحًـا أمـام السـيد أليكـس، لقـد سرقـت لوجينـا ديـران أوراق مـاري، بـما في ذلـك مفتـاح المنـزل الخـاص بإيزابيـل وانتحلـت شـخصيتها وعاشـت في المنـزل، لكـن السـؤال الـذي كان يـراود السـيد أليكـس: أيـن هـي مـاري ابنـة إيزابيـل؟

خـرج السـيد أليكـس مـن مركـز الشرطـة يفكـر في الأمـر وقـد شرح كل هـذه التفاصيـل للمحقـق سـتيوارت الـذي وعـده بالتحقيـق في الأمـر. عـبر السـيد أليكـس الطريـق حتـى يسـتقل تاكـسي ويعـود إلى الفنـدق فلـم يجـد فذهـب إلى الشـارع المجـاور لعلـه يجـد تاكـسي لكـن الحـظ لم يحالفـه، كانـت هـذه آخـر ليلـة للسـيد أليكـس في المدينـة.

كان الطريـق مظلـمًا، أشـعل السـيد أليكـس سـيجارة ووقـف يفكـر في الأمـر حتـى شـاهد أحدهـم يسـير في بدايـة الطريـق لكـن الرؤيـة ليسـت واضحـة.. كأنـه رجـل يرتـدي قبعـة، لا بـل هـي فتـاة ذات شـعر يرتفـع إلى الأعـلى، مـا إن اقـترب الشـخص المجهـول مـن السـيد أليكـس حتـى أشـهر سـلاحه المـزود بكاتـم للصـوت فأطلـق عليـه رصاصـة أصابتـه في رأسـه فسـقط قتيـلًا في الحـال، لم يعـرف أحـد بالأمـر حتـى رجـال شرطـة سـبرينج الذيـن كانـو عـلى مقربـة مـن الحـادث الـذي وقـع في الشـارع المجـاور لمركـز الشرطـة، كانـت أعمـدة الإنـارة في هـذا الشـارع لا تعمـل وكان السـيد ألـبرت يقـوم

بجمع القمامة من أحد المنازل وذهب للخارج لكي يلقي بها فهذه هي مهنته التي يقوم بها بشكل يومي ويتقاضى عن كل منزل سبعة دولارات، لكنه ما إن خرج إلى الشارع حتى شاهد السيد أليكس مستلقٍ على الأرض وعلى رأسه الكثير من الدماء، لم يستطع تحديد هويته من كثرة الدماء على وجهه، وقبل أن يفكر فيما سوف يفعل أمام هذا المشهد المخيف شعر بضربة قوية على مؤخرة رأسه حتى فقد الوعي.

وماذا حدث بعد ذلك جين؟.. أنت تعلم جونسون ماذا حدث، لقد ذهبت إلى مصنع تدوير المعادن وقمت بتحرير السيد ألبرت وفي الصباح ذهبت إلى مركز شرطة سبرينج.. نعم هذا ما حدث بالفعل، لماذا لم تخبرني عندما عدت وبصحبتك ألبرت بكل ذلك؟.. أنتِ تعلمين جين. أنت تكرهني جونسون لكن أنا أحبك كثيرًا. وماذا عن ماري؟.. السيدة التي كانت هنا بالأمس ليست ماري، إنها لوجينا ديران جاءت لكي تتأكد من أنك ما زلت فاقدًا للذاكرة وهي مَن قتلت السيد أليكس لأنه كان يلاحقها طوال الوقت.. ماري ماتت يا جونسون، ليس لها أي أثر، لقد بحث عنها أليكس كثيرًا فلم يجدها، أنت أمامك الآن الكثير من الأحلام لتحقيقها لا بد أن تتوقف عن التفكير في هذه الأمور.. أحلام كبيرة! جين لقد رأيت أحد الأحلام؟.. نعم جونسون، أنا أعلم أنك رأيت الظل من جديد. كيف تعلمين ذلك؟!.. على مدار سبع سنوات أنت تشاهد هذا الحلم وقد أخبرت فلويد في كل يوم احتسيت فيه القهوة هنا في المقهى، هل فهمت جونسون؟ منذ سبع سنوات أنت تقوم بتكرار كل

شيء، ابحث خلف حلمك تستطيع أن تجد له تفسيرًا، لا بد أن يكون له تفسير فأنت تراه كل يوم.. لقد قالت ماري إنها ستأتي إلى هنا من أجلي، ماذا أفعل معها؟ إن كان كلامك صحيحًا فهي قتلت السيد أليكس وهي ليست ماري. نعم هي ليست ماري التي تريدها. وماذا عن لوحة السيدة إيزابيل؟.. لقد رسمتها سبع مرات يا جونسون، في كل سنة وفي شهر نوفمبر تحديدًا كنت ترسم السيدة إيزابيل، أعتقد أن هذا الشيء الوحيد الذي تذكرته. هل ستعود إلي ذاكرتي؟.. لا تهتم لهذا الأمر، كل ما عليك فعله هو بداية جديدة وأن تسعى خلف حلمك فقط، إن عادت لك ذاكرتك لن يتغير شيء فأنت أصبحت تعلم كل شيء الآن، وإن لم تعد ذاكرتك عليك أن تصنع لنفسك مستقبلًا مختلفًا خارج عزلتك وغرفتك الكئيبة، لقد علمت أن لديك معرضًا اليوم، لقد دعاك أحدهم له، لماذا لم تهتم بالأمر؟ أنت موهوب جونسون. جين أنتِ لا تعلمين إنه يريدون شيئًا لا أستطيع فعله. يريدون النعيم أليس كذلك؟ هل أخبرتك أن والدك كان شيوعيًّا وهو من جعلك تفكر بهذه الأمور، إذا كانوا يريدون النعيم والأجساد العارية سوف نحقق لهم ذلك، اصعد معي إلى غرفتك جونسون وسوف نحقق لهم ذلك، ما زلت تمتلك خمس ساعات على موعد المعرض، يمكنك أن ترسم لوحتين على الأقل، لكن قبل كل شيء عليك النظر في المرآة جيدًا وتصفيف شعرك والاهتمام بمظهرك جيدًا، لقد اشتريتُ لك سيجارًا فاخرًا من متجر السيد روبن، سوف تكون مميزًا جونسون، إنه عهدك الجديد.

العشرون من أغسطس

ذهبت أنا وجين معرض الساعة السابعة، كانت رحلة إلى نيويورك حافلة بالإنجازات، قامت جين بخلع ملابسها وقمتُ برسم لوحتين لها، لقد تعرّق جسمها كثيرًا وهي تنظر لي وتبتسم، ثم قالت: كان من الممكن أن أجعلك ترسم امرأة عارية من خيالك، لكن أنا أفعل ذلك لتحفيزك فقط ولتعلم أنني لستُ بهذا القبح الذي أبدو عليه من الخارج، قد لا أمتلك الكثير من الجمال لكن أمتلك الكثير من الحياة تسير على جسدي مع قطرات العرق التي تتساقط. توقفتُ لبضع دقائق أستمع لها وأفكر في كلماتها لكنها طلبت أن أكمل، كأنني التقيت اليوم للمرة الأولى هذه الفتاة التي لطالما أبغضتها، الآن هي تعلم ماذا تفعل من أجلي. ما إن انتهيت من الرسم حتى أشعلت سيجارتها ونظرت إلي وقالت: جونسون، الجميع سوف يموت، لك الحق أن تستسلم للموت لكن كن مؤمنًا بعودتك كما عاد المسيح إلى الحياة من جديد، اليوم هو يومك.

لقد قمتُ بالنظر إلى اللوحتين للمرة الأخيرة ثم قمتُ بتصفيف شعري أمام المرآة.. هل أبدو بهذا الشكل؟ كأنها المرة الأولى التي أشاهد فيها وجهي، أنا حتى لا أعلم كم عمري! كل السنوات كأنها يوم واحد، لكن الرجل الذي أمامي في المرآة كأنه في الخمسين من عمره. وقفت خلفي جين ترتدي ملابسها وتنظر إلي وأنا أقف أمام المرآة ثم وضعت يدها على

كتفـي وقالـت: جونسـون، منـذ أن دخلـت مـن بـاب الفنـدق وأنـا أرى في عينـك هـذا الحـزن، لكـن الآن لديـك نظـرة مختلفـة لم أفهمهـا لكـن لا تحـزن يـا عزيـزي كل ذلـك سـوف تقـوم بترميمـه. كانـت هـذه الكلـمات مؤثـرة وانتهـت بعنـاق بقـوة مـن جـين ثـم طلبـت مني ارتـداء القبعـة التـي جلبتهـا لي وهـي مـن الجلـد الفاخـر، كانـت للسـيد أليكـس ثـم قمـت بإشـعال سـيجاري ثـم عدنـا للريسبشـن مـن جديـد، نظـر إلي فلويـد كأنـه لا يسـتطيع تحديـد هويتـي، فهـو لم يـرَني مـن قبـل بهـذا الشـكل، ابتسـم وقـال: أتمنـى لـك التوفيـق سـيد جونسـون.

جـين كانـت ترتـدي أفضـل فسـتان لديهـا، كأنهـا ذاهبـة لحفـل تتويجهـا ملكـة لإنجلـترا العظمـى.. قالـت إن سـيارة السـيد أليكـس مـا زالـت تتوقـف أمـام الفنـدق، يمكننـا الذهـاب بهـا. أظـن أنهـا تسـتطيع القيـادة، نظـرتُ إليهـا وهـي تقـود وقلـت لهـا: هـل تملكـين كل شيء خـاص بالسـيد أليكـس؟ قالـت: نعـم بـكل تأكيـد، عندمـا نعـود للفنـدق سـوف تعـرف كل شيء، هـل تريـد أن نتوقـف أمـام الميـنـاء؟.. لا جـين، ليـس مهـم الآن، عندمـا نعـود نتوقـف في حـي سـبرينج، أريـد أن أذهـب لمستشـفى سـبرينج. كـما تريـد جونسـون، هـل تشـعر بالحنـين لهـذه الأماكـن؟.. لا أعلـم، هـل يجـب أن يحـدث ذلـك؟.. هـا قـد وصلنـا سـيد جونسـون، لا تـبرح مكانـك، سـوف أفتـح لـك بـاب السـيارة.

الجميـع ينظـر للسـيدة الجميلـة في فسـتانها الأنيـق وهـي تفتـح لي بـاب السـيارة، وقـف الحضـور أمـام بـاب المعـرض الـذي يبـدو كأنـه أحـد القصـور الأثريـة، أشـعلتُ سـيجاري الفاخـر مـن جديـد

وحملت لوحاتي ودخلت إلى القصر أسير على السجادة الحمراء وبجواري تسير جين وتهمس لي قائلة: جونسون، عليك أن تسير بهدوء، لا تتعجل، انظر حولك، الجميع ينظر لك. ما إن أنهيت جين كلماتها حتى قاطعها أحدهم وقال: مرحبًا سيد جونسون، لقد سعدتُ بدعوتك للمعرض.. يبدو رجلًا في الأربعينيات من عمره، أنيق جدًّا، يُمسك في يده كأس من الخمر، قام بمصافحتي وتقبيل يد جين ثم أردف قائلًا: أنا بيتر، لقد دعوتك إلى المعرض لأنني أثق أن لديك موهبة فريدة من نوعها، والآن سوف نذهب إلى الحائط الخاص بك لتعليق لوحاتك، وأنا أثق تمامًا أنها سوف تنال إعجاب الحضور. نظرت إلي جين وابتسمت من جديد ثم قمتُ بتعليق لوحاتي ووقفتُ أنظر لها.. بدأ أعداد الحضور يتزايد كأنه إحدى الأسواق التي تعرض السلع، الجميع يرتدي قبّعات من الجلد ويُدخّن السيجار الفاخر، نيويورك حيث كل شيء جميل لم تؤثر عليه الحرب ولا أي شيء آخر، بدأت لوحاتي تلفت نظر بعض الحضور، يتوقفون قليلًا أمامها وينظرون بنظرة إعجاب ثم يذهبون، وكلما مرّ أحدهم ونظر إليهم تعود جين وتبتسم.. لقد مر نصف ساعة تقريبًا وأعداد الحضور في تزايد وأول لوحة بيعت هي لرسام وضع نقطة سوداء في منتصف لوحة بيضاء فقط، والغريب أنها بيعت بمبلغ كبير جدًّا! شيء يدعو للضحك والسخرية!

توقف أحدهم أمام لوحاتي ونظر إلي وقال: لقد أبدعت يا سيدي في رسم هذه المرأة، كما أنها تمتلك جسدًا جميلًا، سوف أقدم لك شيك بالمبلغ الذي تريد مقابل اللوحتين، ولكن الأهم

أنني أريد دعوتك للمشاركة في معرض سيقام في العاصمة لتعرض موهبتك أمام بعض رجال الأعمال والسياسيين، إن أردت ذلك فهذا هو العنوان، والآن كم تريد مقابل اللوحتين؟.. قبل أن أقوم بالتحدث والرد على عرضه قالت جين: السيد جونسون يقبل كل العروض التي تأتي له وهو ليس لديه مشكلة في المشاركة في أي معرض كان. نظر إلي من جديد وقال: هل هذا صحيح؟ أجبت: نعم يا سيدي. ثم عاد وقال: حسنًا سوف أقدم لك شيكًا بعشرة آلاف دولار مقابل اللوحتين، هل هذا كافٍ؟.. نعم نعم يا سيدي، هذا جيد، لكن في المرة المقبلة سوف تدفع أكثر من ذلك. حسنًا سعدتُ بالتعرف عليك سيد جونسون، وأتمنى أن تأتي في الموعد المحدد كما أخبرتك. نظرت إلي جين والسعادة قد غمرتها وقالت: ألم أخبرك جون أنك موهوب، الآن سوف نذهب إلى سبرينج، أنت تريد رؤية المستشفى، السيد بيتر يشير إليك من بعيد يريد التحدث معك. نعم أراه.. مرحبًا سيد جونسون، جميع الحضور قال إن لوحاتك مميزة وبيعت سريعًا والآن عليك أن تعطيني نسبة المعرض من الأرباح، لقد سعدتُ بالتعرف عليك وسوف أتصل بك مرة أخرى عندما نقوم بترتيب معرض آخر. حسنًا إلى اللقاء، لنذهب جين.

الجزء الثالث

(ماري)

ذهبتُ أنا والعم سام إلى الحي المجاور لـ سبرينج، وهو أكثر أمانًا، فهو بعيد عن مرمى نيران السفن الحربية. المنزل الجديد أفضل من السابق، به حديقة وبعض أشجار التوت البري. تحدث معي العم سام في أمر توزيع الثروة وقال إنه لا بد أن تجتمع العائلة لنناقش هذا الأمر معًا، أخبرته أن ننتظر لبعض الوقت حتى يكون جونسون بأفضل حال لأننا سوف نتزوج كما طلبت إيزابيل قبل أن تذهب إلى السماء. وافق العم سام على هذا الأمر لكن أنا أعلم أنه غير راضٍ.

المساء قد حلّ، صعدتُ إلى غرفتي وقمتُ بترتيب أغراض إيزابيل.. الطقس بارد وأنفاسي باردة، هذا الأمر يصيب جونسون بالجنون، منارة ميناء لوس أنجلوس يصل نورها إلى هنا، تُعيد إلي ذكريات كثيرة قبل الحرب بعام، كنا نقف في هذا المكان وننظر للضوء ونحاول أن نحجبه بأيدينا معًا، الضوء الذي لطالما يذكرني بكل شيء.. نوفمبر بداية شتاء قوي، لكن الحرب لن تتوقف بالرغم من برودة الطقس، ما زال هناك السنة لهب خلفته الحرب.. كرات الثلج تسقط على بعض الأبنية المحطمة، البخار يصعد، أكاد أراه من النيران المشتعلة بجانب نقطة تفتيش في سبرينج، الصوف لا يجعل النازحين يشعرون بالدفء، الكثير من العائلات هجرت سبرينج وانتقلت إلى هنا لتعيد ترميم وتشكيل حياتها من جديد.. في الصباح وعدني العم سام أننا سنذهب

إلى مستشـفى سـبرينج للاطمئنـان عـلى جونسـون.. ليـالي نوفمـبر لا تتحـرك، تبـدو أطـول مـن مائـة عـام، كلـما وصـل عقـرب السـاعات إلى رقـم أتنفـس كأنهـا سـاعة مـن الألم قـد مـرت.

ما زال الألم يعتصر قلبي كأنها قيامة هذا الكون.

كل رصاص الحرب أصاب قلبي.

كل خطايا الكون فعلتها عندما تركت جونسون وحيدًا.

لا حياة بدونك ولا حياة إلا بك.

كل ذلك حدث رغمًا عن إرادتي.. اغفر لي يا ملاكي.

في الصباح سوف يعود كل شيء كما كان.

عقـارب السـاعة لا تتحـرك، كأنهـا مائـة عـام أمضيهـا بمفـردي في هـذا الحـي البائـس.

خطوات الزمن بطيئة نحو الصباح.

القدر يحكم علينا بالموت ونحن على قيد الحياة.

الشعور بالحنين يسحب روحي من جسدي.

وإذا توقف قلبك عن الشعور فأنت ميت لا محالة.

كل الخطايا يغفرها الرب إلا الغياب.

إنها ساعات ثقيلة على روحي.

العشرون من نوفمبر

عند أول شعاع للشمس اخترق نافذتي أدركتُ أنه اليوم الذي انتظرته لساعات وساعات، كنت نائمة أضع رأسي على النافذة وأنظر للسماء، عندما استيقظت وجدتُ نفسي في فراشي، بالتأكيد العم سام نقلني إليه في المساء بعدما أرهقني التفكير على نافذتي. طرق العم سام الباب وأخبرني أننا سنذهب بعد نصف ساعة من الآن إلى سبرينج والعودة سريعًا لأن أحد جنرالات الحرب توعّد بقصف حي سبرينج وميناء لوس أنجلوس بالكامل؛ لذلك علينا أن نذهب سريعًا ونعود سريعًا.. تحدث العم سام وقال إنها مخاطرة لكنه مجبر عليها من أجلي فقط، ثم أردف قائلًا: أنا رجل كبير في العمر، لا يمكنني الركض تحت نيران العدو. أخبرته أن الأمر سيمر سريعًا وسنعود ومعنا جونسون قبل أن يحلّ المساء علينا. ذهبنا ونحن في عجلة من أمرنا إلى وجهتنا وهي حي سبرينج الذي لم يعد له سكان إلا قليل وبعض المؤسسات الحكومية كالمستشفى ومركز الشرطة وانتشار مكثف لنقاط التفتيش والجنود لكننا وصلنا أخيرًا.. ألسنة اللهب ترتفع، الكثير من الدخان وحالة ترقب وخوف وفزع من الجميع! توقفنا على نقاط التفتيش مرارًا وتكرارًا حتى الوصول لمركز الحي، والآن سوف نتوجه إلى المستشفى.

جونسون، أنا قادمة من أجلك.. المسافة طويلة، كأنني أقطع

المحيط وأنا لا أستطيع السباحة. يقف الدكتور توماس على باب المستشفى، يتحدث في أمر ما مع أحد الأطباء وطاقم التمريض الخاص به ثم يشير إلينا، نتوجه إليه وأسأله عن حالة جونسون فيجيب أنه ما زال كما هو لكن حالته الصحية مستقرة. سأله العم سام ما إن كان قد تذكر أي شيء عن الماضي؟ فرد عليه أن أمر عودة ذاكرته بحاجة إلى بعض الوقت، قد يكون أسبوعين أو شهر كحد أقصى.. ثم اصطحبنا الدكتور توماس إلى غرفة جونسون. جلس لا يتفوه بأي كلمة كأنه يفكر في شيء، عند رؤيتنا ابتسم بدون سبب، عندما صافحته قال إن يدي ناعمة وملمسها جيد ثم نظر إلي من جديد وابتسم.. جونسون هل تعلم من أنا؟.. لا أعلم من أنتِ، لكن أعلم أنك إنسان يحبني. ما الذي يجعلك تعتقد ذلك؟.. عيناكِ يا سيدتي تقول ذلك. ما زلت تحب عيناي؟.. لدي شعور غريب نحوك، ليس حب وليس كراهية، شعور لا أستطيع أن أفهمه، كأنه أغسطس والطقس بارد وليس لدي شيء لأرتديه، هل فهمتِ ما أقصد؟.. نعم نعم، أنا أفهمك، تحدث معي بماذا تشعر أيضًا؟.. الصليب الذهبي المعلق في عنقك جميل، أتذكر أنني رأيته في أحد أحلامي، عندما سألت الطبيب عن ماذا أصابني قال أنت فاقد الذاكرة لذلك أعلم أنكِ تعلمين من أنا؟ لكن أنا لا أعلم من أنتِ؟ أنا فقد أشعر بكِ، هل فهمتِ؟.. نعم نعم فهمت ما تعني جونسون، وماذا أيضًا؟ تحدث معي. أنتِ تعلمين أنني لست متدينًا لأنك استغربتِ عندما أبديتُ إعجابي بصليبك الذهبي صحيح؟ أنا لا أتذكر من أنتِ لكن صوتك يصيبني بالارتياح

لذلـك أودّ أن أسـمعه.

في الليلـة الماضيـة لقـد رأيـت حلـمًا أريـد أن أخـبرك عنـه، لقـد رأيـت أننـي أسـير في إحـدى الشـوارع المجهولـة ويظهـر عـلى الحائـط ظـل لفتـاة تقـوم بإشـعال سـيجارتها وتنظـر للأعـلى ثـم يختفـي الظـل ويـأتي مجـددًا ويأخـذني بعيـدًا كأننـا في السـماء، كانـت الأجـواء ضبابيـة لم أسـتطع تحديـد ملامـح المـكان، لكـن مـا هـو رقـم المنـزل كان عـلى الحائـط رقـم ٦، وكان هنـاك لافتـة محطمـة عـلى الحائـط أيضًـا مـا تبقـى منهـا هـو حـرف إل.. هـل هـذا الحلـم جيـد أم سيء في رأيـك؟.. لا أعلـم جونسـون، لكـن يبـدو أنـك تأثـرت كثـيرًا بالصدمـة التـي حدثـت لـك، أود أن تكـون دائـمًا بخـير مـن أجـلي.

***

مـا إن أنهيـتُ حديثـي مـع جونسـون حتـى شـعر الجميـع بعـدد مـن القذائـف تسـقط عـلى المستشـفى، فقـدتُ الوعـي لسـاعات وعندمـا اسـتيقظتُ كنـتُ في منـزل العـم سـام، سـألته عـن جونسـون قـال إنـه لم يصـاب بـأي أذى لكنـه مـا زال في المستشـفى وسـوف نعـود عندمـا تسـتقر الأوضـاع في حـي سـبرينج فـما زالـت القذائـف تسـقط في كل مـكان وبشـكل عشـوائي وعلينـا الانتظـار لبعـض الوقـت، ثـم قـال إن أحدهـم كان يريـد رؤيتـي ولكنـه أصيـب أيضًـا بفعـل القذائـف.

لم أسـتطع النـوم في هـذا اليـوم، وضعـتُ رأسي عـلى النافـذة مـن جديـد أنظـر إلى السـماء وأتذكـر مـا قالـه جونسـون والحلـم الـذي أخـبرني بـه وأنـه يشـعر بأنـه يصبـح أفضـل مـن قبـل عندمـا يسـمع صـوتي، فالبرغـم مـن مـا حـدث لم يفقـد ذاكـرة قلبـه، مـا زال يحبنـي كـما عهدتـه، أعلـم أنـه سـيكون بخـير، فهـو الرجـل الصلـب الـذي

يتحمل أي شيء، ما زالت نظراته حادة كما عهدتها، ما زال يختار كلماته بعناية ويُفكر قبل أن يتحدث، ما زال لا يهتم بالتفاصيل ويحسم الأمر ببضع كلمات، ما زال مميزًا لا يستطيع أن يعبر بالكلمات لكنه يجيد العناق والنظرات، ويجيد الوصف والإمساك بيدي عند السقوط، يجيد كل شيء يعبر عن الحب إلا الكلمات.. ما زلت أشاهد ذلك الطفل الذي في قلبه يحزن ويبكي ويخجل أن أشاهد دموعه، والشاب الذي يعانق بقوة وحرارة، ما زلت أتذكر عندما يبتسم كأن الشمس قد أشرقت، عندما يمشي الكون يتحرك معه وحوله ومن أجله.. كان ينظر إلي ويُطيل النظر وأنا بكل ما أمتلك من قوة كأنني أسقط وكأن كل رصاص الحرب قد أصاب قلبي، لم أكن أعلم أن ذلك يحدث بالفعل، أنتظر عودته وكأن كل شيء قد توقف، السماء كانت تمطر، توقف المطر، والرجل الذي كان يحضر عصاه ليتكئ عليها ويذهب إلى زوجته وأبنائه توقف، والأطفال الذين كانو يركلون الكرة توقفوا، والمرأة التي كانت تشتري الزهور لحبيبها توقفت ويدها تمسك ببعض الزهور، السيارات في الطرقات توقف، وعقارب الساعة، ورصاص الحرب لم يصل إلى أجساد الأبرياء فقد توقف، والدخان الصادر عن الإبريق، وحركة ورق الجرائد على الأرصفة، ودخان القطار وصوت أبوابه المحطمة، والجندي الذي كان يرتجف من البرد، وحركة السحب لم تحجب القمر لبضع دقائق فقد توقفت أيضًا، والفراشات التي كانت تُحلّق فوق المصباح الموقد في نقطة تفتيش سبرينج توقفت... هنا حيث اللاعودة، تحرك جونسون إلى الأمام، قم بخطوتك الأولى

مـن أجـلي، لا تنظـر خلفـك، أنـا هنـا أنتظـرك، أنتظـر عودتـك، أنتظـر الوعـد الـذي قطعتـه لي أن لا شيء يسـتطيع أن يزيـل حبـي مـن قلبـك وأن المسـافات التـي بيننـا هـي أرقـام فقـط، وأننـا نمتلـك الكثـير لنعيشـه معًـا، وأن الوطـن يمكـن أن يكـون قلـب أحدهـم.. مـن أجـل كل ذلـك عليـك العـودة، عليـك القيـام بخطوتـك الأولى تجاهـي، عليـك أن تـترك حـي سـبرينج المحمـل بـالألم والذكريـات السـيئة لنـا والكثـير مـن اللهـب ودخـان الحـرب والضجيـج الـذي لطالمـا لم نهتـم بـه.

***

كعادتـه العـم سـام يحملنـي أثنـاء النـوم ويضعنـي في الفـراش، وأنـا كعـادتي كل ليلـة أنـام عـلى النافـذة وأنظـر إلى السـماء.. هـذا الصبـاح سـوف نذهـب إلى سـبرينج مـن جديـد، وقـد أخـبرت العـم سـام أنـه في أي حـال مـن الأحـوال لا بـد أن نعـود وجونسـون معنـا فـلا فائـدة مـن بقائـه في المستشـفى كل هـذا الوقـت، لقـد امتعـض قليـلًا مـن طلبـي وتنهـد حتـى ارتفـع صـدره للأعـلى وانخفـض مـرة أخـرى ووافـق عـلى هـذا الأمـر.

حـي سـبرينج يبـدو هادئًـا بعـض الـشيء لكـن تسـود حالـة مـن الفـوضى والهلـع، فـما تبقـى مـن السـكان قـرر أن يرحـل أخـيرًا بعـد الأحـداث الداميـة التـي حدثـت في اليـوم المـاضي، الجميـع يغـادر في عجلـة مـن أمـره، السـيارات التـي تنقـل الأغـراض لم تتوقـف لكـن مـا زال هـذا الرجـل الـذي يعمـل مستشـفى سـبرينج يقـف ويقـوم بتنظيـف الأرض وإزالـة القمامـة كأنـه لا يعلـم مـاذا يحـدث حولـه أو أنـه لا يهتـم أن يعيـش أو يمـوت، هـو فقـط يقـوم بتأديـة عملـه في

مـكان سـيصبح خـالٍ تمامًـا بعـد سـاعات فقـط.

وصلنـا إلى بـاب المستشـفى، لا يوجـد أحـد يقـف بالداخـل، الأمـر غريـب! سـأل العـم سـام هـذا الرجـل الـذي يجمـع القمامـة فأجابـه أن الجميـع غـادر المستشـفى، الأطبـاء والمـرضى، وأصبـح المستشـفى مـكان خـالٍ مـن كل شيء، عندهـا عـاد وسـأله عـن مـا إذا كان يعلـم أيـن ذهبـوا؟ فأجابـه أنـه لا يعلـم ولا أحـد يعلـم، فقـد صـدرت الأوامـر بإخـلاء المستشـفى ليـلًا حفاظًـا عـلى سـلامة طاقـم المستشـفى والمـرضى.. شـعر العـم سـام بخيبـة أمـل مـن جديـد وسـأل عـددًا من سـكان الحـي المجاوريـن للمستشـفى والجميـع كانـت لديـه الإجابـة نفسـها.

وضـع يـده عـلى رأسي وقـال سـنبحث عنهـم يـا ابنتـي سـنبحث عنهـم لا تقلقـي.

لحظـات قاسـية لا يمكـن أن أصفهـا، كلـما أتمسـك بالأمـل أفقـده مـن جديـد، قـال العـم سـام علينـا العـودة وسـوف نبحـث عنـه مـن الغـد، لم أتناقـش معـه في أمـر العـودة فأنـا مصابـة بالإحبـاط وأعلـم أن الحـي سـيتم إخـلاؤه بعـد سـاعات فقـط فـلا قيمـة للبقـاء هنـا في سـبرينج حيـث كل شيء سيء.. الذكريـات تحـاصر قلبـك هنـا، فقـدت الكثـير، إيزابيـل وجونسـون ومنـزل الطفولـة وكل شيء ولا أمـل في العـودة فالحـرب الـشيء الوحيـد الباقـي الـذي لـن يتوقـف.. جونسـون، أيـن أنـت الآن؟ كأنـك تقـود كل شيء حولـك حتـى تبتعـد، مَـن الـذي يخطـط لـكل ذلـك؟ أهـو القـدر؟ أعتقـد أننـا نمتلـك أسـوأ قـدر قـد يـراه إنسـان.

عُدنـا مـن جديـد إلى منـزل العـم سـام، هـذا الرجـل الذي يقـدم كل

شيء بـدون مقابـل، لا يتحـدث كثـيرًا، لا أعلـم مـاذا يـدور في رأسـه، يقـوم بتبديـل ملابسـه كعادتـه ويجلـس عـلى الكـرسي الخـاص بـه ويتصفـح الجريـدة ويدخـن وعندمـا أطلـب منـه شـيئًا لا يمانـع أبـدًا أو يقـف ضـد رغبتـي، لكـن أنـا أعلـم جيـدًا أنـه يمتعـض كثـيرًا ممـا أطلـب، قـدره أن تمـوت إيزابيـل ويتحمـل هـو مسـؤليتي.. يشـير إلي ويسـألني مـا إن كنـت سـوف أذهـب للفـراش فأجيبـه بنعـم فيعـود ويقـول إنـه في الصبـاح سـوف يرسـل خطابًـا لجميـع المستشـفيات في لـوس أنجلـوس للبحـث عـن جونسـون، أخبرتـه أن صنـدوق البريـد أمـام المنـزل محطـم، فقـال إنـه سـوف يرسـل الخطـاب مـن صنـدوق البريـد الرئيـس في الحـي وسـوف ننتظـر الـرد وقـد يتأخـر لأيـام فعـدد المفقوديـن كثـير جـدًّا وإجـراءات البحـث سـوف تأخـذ وقتًـا طويـلًا قـد يصـل إلى شـهور، لذلـك طلـب منـي العـم سـام أن لا أتعجـل وأن أتحـلى بمزيـد مـن الصـبر.

هـذه الليلـة لم أفكـر كثـيرًا كأن كل شيء قـد توقـف مـن جديـد، أشـعر باليـأس، لقـد فقـدت الإيـمان بعـودة جونسـون، كأن القـدر يحـاول أن يمنعنـا مـن الوصـول لبعـض بشـتى الطـرق، لا قيمـة لهـذه الحيـاة بدونـه.. اقـترح العـم سـام أن أذهـب للكنيسـة وأصـلي مـن أجـل أن يعـود.

عندمـا سـقطت القذائـف عـلى المستشـفى فقـدتُ صليبـي الذهبـي وبعـد أوراق تحقيـق شـخصيتي قـال العـم سـام إنـه بحـث عنهـم كثـيرًا فلـم يجدهـم، لذلـك عـلي أن اقـوم باسـتخراج بديـل لهـم لكـن الأوضـاع الحاليـة ليسـت مناسـبة، لذلـك سـوف أنتظـر حتـى تنتهـي حالـة الفـوضى التـي خلقتهـا الحـرب. في الصبـاح سـوف يكتـب

العم سام خطابًا لكل المستشفيات في لوس أنجلوس للبحث عن جونسون وأنا أفقد الأمل شيئًا فشيئًا، من الصعب أن أنتظر المجهول، أن أبحث عن شيء في الفراغ، أن أنتظر الضوء في العتمة، أن أحاول إيجاد الشيء من اللا شيء... كل هذه الأمور تدور في رأسي بينما العم سام صامت يقرأ الجريدة ويدخن بشراهة، لقد أصبح هكذا منذ أن فقد زوجته، كان يحبها بجنون لذلك هو مؤمن بالحب وهذا الأمر ما يجعله يساعدني في البحث عن جونسون.. عندما طُلب منه أن يرثيها على منصة الكنيسة أثناء إقامة القداس الجنائزي عليها صعد بخطوات بطيئة مرتعشة يتكئ على عصاه وتوقف ونظر إلى الحضور في حزن شديد وأخذ نفسًا عميقًا حتى سمع الجميع صوت رثتيه وقال: «إنني فقدت قطعة من السماء ولم يُخلق من السماء سواها».

أدرك الجميع حجم ما يشعر به العم سام من ألم وفقدان، ومنذ ذلك الوقت لا يتحدث كثيرًا، يظل صامتًا، يفعل فقط ما عليه فعله وهو صامت.

الواحد والعشرون من نوفمبر

كما يحدث دائمًا، لا شيء يسير في الطريق الصحيح، البعض يحصل على كل شيء والبعض لا يحصل على أي شيء على الإطلاق والجميع يسير في خطوات عمره يومًا بعد يوم ويحتفلون بمرور عام جديد من أعمارهم كل عام دون النظر إلى ما الذي خسروه وما الذي ربحوه وما الذي قدموه لمن حولهم.. أتمنى أن يعلم البشر ما هي مهمتهم الحقيقية في هذا الكون! المشاعر هي التي تحدد كل شيء، الدقائق والثواني والأعوام ليس لهم قيمة مقابل الشعور الجيد أو السيء. أحدهم يهديك شعورًا بالسعادة يعادل ألف عام والعكس يحدث دائمًا، الحزن يذهب بك إلى مكان مجهول، مكان لا يمكن وصفه هل هو مظلم أم فارغ أم ضبابي أم ليس موجودًا من الأساس، الشعور هو ما يحدد ذلك الشعور، لا يمكن وصفه بالكلمات، لا يمكن وصفه بالبكاء أو الضحك، لا يمكن وصفه بأي طريقة كانت، حتى العلم عجز عن وصفه، لكن يبقى موجودًا ومؤثرًا ليس مجرد نظريات.

كنت أتمنى أن يعانقني جونسون، أن يعانقني فقط، هذا الشعور الذي كنت أريده حقًّا، كان شعورًا سيئًا لدرجة كبيرة، إنه لم يفعل ذلك لكن لا أستطيع أن ألقي باللوم عليه، تحديدًا وهو فاقد للذاكرة.. الأمر مختلف عندما يتعلق بالمشاعر، سوف تلقى اللوم على الأوراق التي تساقطت في فصل الخريف لأنها علقت

بقدميك وجعلتك تتأخر ثوانٍ عن رؤية من تحب، في المشاعر الزمن يسير شعورًا بشعور وليس ثانية بثانية.. أمر معقد!

قام العم سام بكتابة رسالة إلى الجهات المختصة أبلغ فيها عن شخص مفقود ثم ذهب ليضعها في صندوق البريد الخاص بالحي، انتظرته على الباب ودّعته وذهب.. كانت الشمس ساطعة، أشعلت سيجارتي ونظرت للأعلى إلى قرص الشمس، أشعر بحرارتها على وجهي وأتنفس بهدوء، أحدهم مر من أمامي وتحدث معي يسألني عن أمر ما.. قال: يا سيدتي، ما اسم هذا الشارع؟ كرر السؤال ثلاث مرات وأنا أنظر إلى الشمس ثم نظرتُ إليه وأجبته: اعذرني يا سيدي لم أنتبه لك، هذا الشارع اسمه «لوكسري» وهذا المنزل رقم ٦، هل تبحث عن أحدهم؟ رد: شكرًا جزيلًا. وذهب... لحظات من الصمت بعدما رحل ذلك الرجل الذي كان يستقل دراجته ويسأل كل من في طريقه كأنه فقد أحدهم. عاد العم سام من جديد يتكئ على عصاه ويسير بهدوء كعادته يرتدي قبعته ويتنفس بصعوبة لا يبدو عليه أنه سعيد. أخبرته ماذا بك عم سام؟ هل أنت بخير؟

قال: نعم أنا بخير، لكن جونسون ذهب من مستشفى سبرينج قبل أن يتم إخلاؤه ولا أحد يعلم أين ذهب، لكن الشرطة سوف تبحث عنه بكل تأكيد، الآن علينا الذهاب للكنيسة عزيزتي. حسنًا عم سام.

الجزء الرابع

(جونسون)

هـذه الأمـور لا تحـدث يـا سـيد جونسـون، لا يوجـد أحـد لم تعطِـه الحيـاة درسًـا، لم يمـر بالتجـارب السـيئة، لم يشـعر بالخـذلان.. قبـل أربعـة أشـهر كنـت هنـا في نيويـورك بصحبـة السـيدة جـين عرضـت لوحتـين فقـط ثـم بعدهـا أنـت تجلـس أمامـي، جونسـون ديفلوفيـك، الرجـل المقـرب للسياسـيين وكبـار المسـؤولين.. هـذا التحـول ليـس بـدون سـبب، لديـك مـاضٍ سيء أنـا أعلـم ذلـك والجميـع يعلـم ويغـض الطـرف عـن هـذا الأمـر.. أصبحـت تمتلـك ثـروة طائلـة، قمـت بـشراء الفنـدق مـن ورثـة السـيد أليكـس لكـن مـا زلـت غـير سـعيد، أنـت السـيد جونسـون الـذي رأيتـه في أغسـطس المـاضي لديـه بقـع سـوداء تحـت عينيـه وحـزن شـديد يعتـصر قلبـه وكآبـة في وجهـه، مـا زلـت كـما أنـت... مـا زلـت كـما أنـا لأنني مـا زلـت أمتلـك الأخـلاق فقـط... توقـف عـن رؤيـة العـالم مـن خـلال لوحاتـك، الألـوان أيضًـا لا تحـب بعضهـا البعـض، الجميـع ينـام لكـي يحلـم بـما هـو أفضـل ليـس للراحـة، بوسـع البـشر العمـل مئات السـاعات دون كلـل أو ملـل إذا كان ذلـك سـيصلح الأمـور، توقـف عـن رؤيـة العـالم مـن منظـورك السـخيف، أنـت أيضًـا تعرّضـت لتجـارب سـيئة، فقـدت الوطـن والعائلـة وكل شيء، حتـى شـهيتك للقهـوة فقدتهـا، لذلـك سـأطلب مـن النـادل أن يُحـضر لنـا القهـوة ريثـما تفكـر فيـما قلـت. لا شـكرًا لـك، سـوف أذهـب الآن. سـيد جونسـون، تذكـر أيضًـا، البعـض يذهـب بنفسـه إلى الهاويـة. عندمـا

أذهب إلى الهاوية سوف أقوم بإمساك يد الجميع. مَن خذلوك؟..
الجميع. تصحبك السلامة.

الواحد والثلاثون من ديسمبر

اليوم الأسوأ على الإطلاق، المطر لا يتوقف، الجميع يرتجف لكن أنا لا اشعر بشيء، لقد ولدتُ في هذا اليوم لذلك اعتدتُ على هذا الطقس منذ الصغر.. عيد الميلاد المصاحب للذكريات السيئة والألم.

بيتر يمتلك الكثير من الصواب والكثير من الخطأ، إن الحياة قاسية حقًّا، لكن الأخلاق تُحدد كل شيء، لقد كان هنري ميللر أحد أكبر الروائيين في العالم، لا يمتلك الأخلاق، كتب عن الجنس كثيرًا حتى أصبحت رواياته لزجة، قام بمضاجعة آلاف النساء في رواية واحدة، الأمر الذي يجعل القارئ يصاب بالاشمئزاز.. إن كان للحياة مقياس أن تكون مشهورًا وتمتلك الكثير من المال فهذا المقياس خاطئ؛ الأخلاق تُحدد من أنت وإيمانك يحدد هويتك.. أربعة أشهر كانت فاصلًا ما بين الماضي والحاضر؛ الماضي التعيس الذي لا أعلم عنه الكثير سوى أوراق كتبها السيد أليكس ووضعها في خزانته بجانب علبة السيجار وبعض الأقلام الخشبية وقنينة عطر فارغة وبعض الأموال ومنديل ورقي عليه بعض من أحمر الشفاه كأنها أحد الأحجيات الخاصة بالمنجمين.. هراء شديد أن يحدد مصيرك بعض الأوراق كتبها أحد المعتوهين بعد ليلة قضاها في الحانة، شرب حتى ثمل ولم يعد يرى شيئًا حوله. أصبحت جين الآن مدير الفندق الجديد، قمتُ بتغيير كل

شيء فيه، الأرضيات والستائر والطاولات في المقهى والغرف وكل شيء، في محاولة لطمس الماضي، سبع سنوات قضيتها كأنها يوم واحد فقط مع اختلاف الأحداث. أصبح الفندق خمس نجوم بعد أن تغير اسمه إلى «فندق ديفلوفيك».. وهذه ليست النهاية، فما زلتُ الرجل التعيس كما قال بيتر، الرجل الذي يبحث عن ماضٍ لعين كُتب على أوراق أحدهم، الرجل الذي لم يعد يصدق أي شيء سوى اللحظة التي يعيشها الآن، الظل يُلاحقني في كل مكان، هذا الحلم الوحيد الذي رأيته أصبح كابوسًا يسبب الإزعاج لي في كل ليلة، أصبح أمرًا روتينيًّا على حدّ وصف جين، فإن الفتاة التي أشاهد ظلّها هي ماري، لكن عند رؤيتي لماري كان لدي شعور ذكوريًّا بالرغبة في فتاة تمتلك جسدًا مثيرًا فقط، لم أشعر نحوها بأي عاطفة، وهذا يؤكد ما كتبه السيد أليكس، أن هذه الفتاة ليست ماري أو أنني أكون قد فقدت ذاكرة القلب أيضًا، كما أنها تصرفت معي بقسوة ووقاحة، لا أعتقد أنني سأحب فتاة بهذه الصفات.

مضى أربعة أشهر، تغيّر كل شيء، تنقّلت ما بين واشنطن ونيويورك ولوس أنجلوس، والتقيتُ كبار السياسيين، رسمت زوجة الرئيس وابنة وزير المالية، أصبحت أعظم رسام في أمريكا، وقد أكون في العالم قريبًا، وهذا لا يعني أن أكون أمهرهم، الأمر فقط أنني مقرب من السلطة وهذا يحدث دائمًا. قالت جين إن كل ذلك سوف يحدث لأنها تُدرك حقائق لا أدركها، كانت تُحب أحد السياسيين لكنها اكتشفت أنه فاسد وسيء ومنحطّ على حد وصفها له، وعندما قررت أن تبتعد عنه حاول أن

يضعهـا في السـجن لكـن حالفهـا الحـظ ومـات في الحـرب قبـل أن يفعـل ذلـك، ثـم أردفـت قائلـة: إن هـذا العـالم مختلـف تمامًـا عـن العـالم الـذي نعيشـه، كأنـك تقـف عـلى حافـة الهاويـة وتتلـذذ بذلـك وفي كل لحظـة أنـت عـلى وشـك السـقوط لكـن البقـاء لمـن يحافـظ عـلى اتزانـه عـلى الحافـة لكـي يحصـل عـلى المزيـد مـن المتعـة التـي سـتذهب بـه إلى القـاع في كل الأحـوال حتـى وإن طالـت مـدة اتزانـه.

أنهيـتُ حديثـي مـع بيـتر وذهبـت مـن جديـد إلى الفنـدق.. الطريـق مختلـف أم أننـي أشـعر بذلـك لأننـي أمتلـك سـيارة؟! المطـر جعـل أعمـدة الإنـارة تتوقـف، الضبـاب يسـيطر عـلى الطقـس ومـا زال الرجـل نفسـه يركـض تحـت المطـر يحـاول أن يسـتقل تاكـسي لكـن لا أحـد يقـف لـه كأن لا أحـد يـراه، والفتـاة التـي تجلـس بمفردهـا بجانـب نافـذة زجاجيـة في أحـد المقاهـي وتقـوم بعـدّ قطـرات المطـر التـي سـقطت عـلى الزجـاج ويظهـر عليهـا الهـدوء والـدفء.. في كل يـوم أشـاهد هـذه الأمـور منـذ أن أتـى ديسـمبر. قمـتُ بدفـع الكثـير مـن الأمـوال للسـيد روبـن الـذي كان يعطينـي السـيجار والنبيـذ باسـتمرار بـدون مقابـل هـو بـدوره قـام بترميـم واجهـة المتجـر وقـام بـشراء متجـر آخـر وأصبـح يعلـق لوحًـا خشـبيًّا مكتوبًـا عليـه: «خصـم لنـزلاء فنـدق الرسـام ديفلوفيـك». طلبـتُ مـن أحـد السياسـيين أن يقـوم بتغيـير نشـاط مصنـع إعـادة تدويـر المعـادن مـع الحفـاظ عـلى العاملـين بـه. وافـق عـلى الفـور وقـام محافـظ لـوس أنجلـوس بافتتـاح مصنـع لصناعـة العطـور، وفي أول أيـام العمـل قـام العـمال بكـسر أغلـب الزجاجـات وتوقـف العمـل لأيـام حتـى يتـم تدريبهـم عـلى كيفيـة التعامـل مـع الزهـور وزجاجـات العطـر..

لا أعلـم هـل أسـديت لهـم خدمـة أم أن العمـل في المعـادن المنصهـرة كان أبسـط بالنسـبة لهـم؟ عـلى أي حـال أصبـح الوضـع أفضـل هنـا، انتهـت الفـوضى، الطريـق للفنـدق أصبـح أكثـر الطـرق إنـارة في الحي وأنظفهـم فيـما أصبـح الفنـدق مكانًـا مخصصًـا لإقامـة الشـخصيات البـارزة في المجتمـع، لكـن بقيـت غرفـة واحـدة كـما هـي لا أسـمح لأحـد بالدخـول إليهـا، لقـد أحببـتُ الفـوضى داخلهـا ورائحـة الألـوان والـورق الممـزق والملابـس المتسـخة، إنهـا المـكان الوحيـد الحقيقـي الآن. عـدتُ إلى الفنـدق مـن جديـد، الفتـاة التـي تجلـس في الريسبشـن تُدعـى لـورا، تبـدو أنيقـة المظهـر، تتحـدث قليـلًا، لديهـا مظهـرًا يليـق بقيمـة الفنـدق الآن، طـوال الوقـت تهتـم بالريسبشـن، تتحـدث مـع النـزلاء بهـدوء، لا تُدخـن وتكـره المدخنيـن، أعتقـد أنها مـن أسرة أرسـتقراطية، عندمـا سـألت جـين عنهـا قالـت إنهـا فتـاة جيـدة في ربيعهـا الأول وليـس لهـا علاقـات عاطفيـة سـابقة وتبغـض الرجـال كثـيرًا لكـن لا تُظهـر ذلـك.. عندمـا صافحتهـا للمـرة الأولى كانـت تنظـر إلى الأرض وتجنبـت النظـر إلي، ممـا أثـار فضـولي في معرفة مـا يـدور داخلهـا. وصلـتُ إلى بـاب الفنـدق، أقـف وأنظـر إليهـا تتحـدث مـع أحـد النـزلاء وتبتسـم ابتسـامة مصطنعـة، ترتدي فسـتانًا أزرق وعليـه دوائـر بيضـاء وبـه شريـط يلتـف حـول خصرهـا، تمتلـك بـراءة غريبـة تجعـل فضـولي يـزداد. أسـير إليهـا بهـدوء وأنظـر إليهـا وهـي لا تكـترث لكـوني أقـف أمامهـا ثـم أبادرهـا بالحديـث: «مسـاء الخـير، كيـف حالـك اليـوم؟». تـرد وهـي تنظـر لبعـض الأوراق في يدهـا: أنـا بخـير، كيـف حالـك سـيد جونسـون؟.. أتمنـى أن تسـير الأمـور بشـكل جيـد. نعـم نعـم كنـتُ أقـوم بترتيـب بعـض الأوراق

لأقدمهـا للآنسـة جـين لتقـوم بمراجعتهـا والآن سـأقوم بمراجعـة كشـف النـزلاء. حسـنًا، أنـا سـعيد بهـذا النشـاط لكـن أريـد أن تنظـري إلي. حسـنًا سـيد جونسـون، أنـا أنظـر إليـك، هـل هنـاك خطـب مـا؟!.. لا لا ليـس هنـاك أي شيء، لكـن أود ذلـك فقـط، سـوف أصعـد إلى غرفتـي الآن، في الصبـاح يمكـن أن نتحـدث لكـن بـدون الاهتـمام بكـوني مالـك الفنـدق وكونـك عاملـة فيـه، أتمنـى أن يكـون ذلـك مفهومًـا، يمكننـا أيضًـا أن نتحـسي القهـوة سـويًّا هنـا ثـم تعـاودي العمـل. يسـعدني ذلـك سـيد جونسـون، أتمنـى لـك نومًـا هادئًـا. حسـنًا، إلى اللقـاء.

مـضى وقـت طويـل لم أقُـم بزيـارة غرفتـي، لم يعـد الـدرج يـؤلم قدمـاي فقـد قمـت بترميمـه أيضًـا، مـا زال كل شيء في الغرفـة كـما كان، اللوحـات القديمـة والأوراق والألـوان والفرشـاة وملابـسي القديمـة معلقـة عـلى عمـود خشـبي والفـراش غـير منظـم ويظهـر عليـه بعـض الدوائـر والنقـاط التـي سـقطت مـن الفرشـاة وأنـا أقـوم بالرسـم، والحـذاء المهـترئ مـا زال في مكانـه خلـف البـاب، وخزانـة الملابـس التـي لا يوجـد بهـا بـاب، وسـبع لوحـات للسـيدة إيزابيـل يتشـابهون في كل شيء باسـتثناء نظـرة العـين فهـذا الأمـر مرتبـط بـما أشـعر بـه عندمـا أقـوم بالرسـم، ولأننـي أؤمـن أن العـين متصلـة بالـروح فـكل مـا في داخـل الـروح يظهـر في العـين.. أصبـح المشـهد أفضـل مـن السـابق، النافـذة الآن تطـلّ عـلى مصنـع لإنتـاج العطـور لكـن مـا زالـت رائحـة غرفتـي سـيئة فلـم يقُـم أحـد بتنظيفهـا طـوال الأربعـة أشـهر التـي مضـت.. الآن وأنـا أرتـدي هـذه الملابـس الفاخـرة سـوف أجلـس عـلى الكـرسي الخشـبي مـن جديـد بجانـب

النافـذة وأعيـد ترتيـب أوراقـي، فمـن أيـن أبـدأ؟ لقـد حصلـت عـلى شيء تقريبًـا، هـل أقـوم بالبحـث عـن المـاضي أم أمـضي نحو المسـتقبل وأنظـر للحـاضر فقـط؟ عـلى أي حـال لـن أخسـر الحـاضر حتـى وإن كنـت سـأبحث عـن المـاضي، والبحـث بدايـة من سـبرينج والمستشـفى ومركـز الشرطـة، عـلي أن أبحـث عـن مـاري، سـوف يكـون البحـث أبسـط عندمـا أطلـب مـن رئيـس شرطـة لـوس أنجلـوس ذلـك، أظـن أننـي رسـمتُ لـه زوجتـه مـن قبـل ولـن يرفـض طلبـي بمعرفـة مـكان مـاري.. إذن أيـن الهاتـف؟ أعتقـد أن الهواتـف لم تعـد تتعطـل فقـد ذهـب أليكـس اللعـين إلى الجحيـم. جـين، أنـا جونسـون. لا لا، أنـا في الفنـدق في غرفتـي، أريـد فقـط رقـم السـيد ويليمـز.. نعـم نعـم أعلـم أنـه رئيـس شرطـة المدينـة.. حسـنًا أنـا في انتظـارك.

جـين تمتلـك سرعـة غريبـة في الصعـود عـلى الـدرج والوصـول إلى غرفتـي. حسـنًا أنـا قـادم. جونسـون لقـد مـضى وقـت طويـل، اسـمح لي بالدخـول. عزيـزتي اشـتقتُ إليـك حقًّـا. مـا زلـتِ كـما أنـتِ لكـن توقفـي قليـلًا عـن التدخـين فبالـكاد تسـتطيعي التقـاط أنفاسـك. أووه جونسـون تبـدو أجمـل مـن السـابق، لقـد مـضى أربعـة أشـهر لم أرك فيهـا، اشـتقتُ إليـك. أنـا أيضًـا اشـتقتُ إلى الجميلـة جـين، هـل حصلتـي عـلى رقـم السـيد ويليمـز؟.. نعـم نعـم، إنه معـي، لكـن لماذا تريـده؟.. جـين أنـا أفكـر في أمـر مـا، يمكـن أن أطلـب منـه أن يبحـث عـن مـاري. جونسـون مـا زلـت تفكـر في المـاضي! انظـر حولـك لقـد قمـت بإنجـازات عظيمـة، لا تمتلـك سـببًا واحـدًا للتفكـير في المـاضي، لقـد أخبرتـك بـكل شيء حتـى تهتـم بالحـاضر والمسـتقبل. أنـتِ قلـتِ ابحـث خلـف ماضيـك. كان ذلـك لتعلـم الحقيقـة فقـط، أنـت الآن

أعظم رسام، جون لا تنظر إلى الخلف مجددًا، تريد التحدث إلى ويليمز لك ذلك لكن لا تدمر كل ذلك من أجل الماضي، سوف أذهب جونسون لدي بعض الأعمال أقوم بها، أريد رؤيتك في الصباح، سوف نتحدث في الأمر، اشتقت إليك كثيرًا، إلى اللقاء عزيزي.

***

الظل من جديد، أصبح أمرًا روتينيًّا.. الطقس بارد جدًّا، الساعة السابعة صباحًا، الغيوم تحجب شمس لوس أنجلوس، وكما اعتدت سوف أنزل إلى المقهى لاحتساء قهوتي، كل شيء يسير بشكل روتيني.. لدينا خمسة نزلاء يجلسون في الريسبشن، لم أشاهد هذا الأمر من قبل.. ما زالت لورا تقوم بعملها بكل نشاط وتبتسم للنزلاء ابتسامتها المعتادة المصطنعة في أغلب الوقت... لقد مر وقت طويل سيد جونسون حتى نسيت مقدار السكر في قهوتك. عزيزي فلويد كيف حالك؟ من جديد أنا أفضل القهوة بدون إضافة سكر. حسنًا سيد جونسون تسعدني عودتك. هل يحدث ذلك كل يوم؟.. ماذا يحدث؟.. الحضور في الريسبشن بهذا العدد. نعم منذ أن قمت بشراء الفندق الأمر اختلف. أعتقد أنك معجب بالعمل الذي تقوم به لورا. أنا أهتم لرأيك فلويد، نعم صحيح أنا معجب بما تقوم به لكن عند التحدث معها لا تنظر إلي، هل تعلم لماذا؟.. أعتقد أن لديها قناعة بأنك شخص فاسد سيد جونسون. لماذا؟.. لأن كل المقربين من السلطة فاسدون. أحب صراحتك فلويد. أقدّر لك ذلك سيد جونسون، لكن عليك أن تُحدّثها عن ماضيك، أنا

أعلـم أن كل مـا حـدث لـن يغـير كونـك رجـلًا نبيـلًا تمتلـك أخلاقًـا. بالحديـث عـن المـاضي فلويـد، هـل تعلـم شيء عـن المـاضي الخـاص بي؟ هـل كان السـيد أليكـس صـادق فيـما كتـب؟.. السـيد أليكـس كان يفعـل كل شيء سيء لكـن لا يكـذب، كان لديـه معـدن طيـب لكـن مـا تعـرض لـه في حياتـه جعلـه لا يكـترث لأي شيء سـوى السـهر في الحانـات، لكـن أؤكـد لـك أن مـا كتبـه كان صحيحًـا. حسـنًا فلويـد، سـوف أذهـب الآن، يمكـن أن نكمـل حديثنـا فيـما بعـد، أريـد التحـدث مـع لـورا قليـلًا قبـل أن تنشـغل مـن جديـد مـع النـزلاء. أتمنـى أن تنظـر لـك هـذه المـرة سـيد جونسـون. أنـا أيضًـا، إلى اللقـاء.

مـا زالـت لـورا لديهـا بعـض النـزلاء تتحـدث معهـم وأثنـاء حديثهـا تختلـس النظـر إلي مـن بعيـد. ترتـدي فسـتانها الأسـود بشريـط أحمـر يلتـف حـول خصرهـا، تضـع أمامهـا بعـض الزهـور التـي تُبدّلهـا كل يـوم، تعلـم أننـي أنظـر إليهـا وأطيـل النظـر لكـن لا تكـترث، هـي فقـط تقـوم بعملهـا.. الآن ذهـب أغلـب النـزلاء وجلسـت عـلى كرسـيها المصنـوع مـن الجلـد بعـد أن كانـت واقفـة تتحـدث مـع أحدهـم، نظـرت إلي لأول مـرة منـذ أن عملـت في الريسبشـن وقالـت: سـيد جونسـون، لـدي شيء مـن أجلـك. ذهبـت مسرعًـا إليهـا: صبـاح الخـير لـورا، كيـف حالـك اليـوم؟.. أنـا بخـير، بالأمـس عندمـا صعـدت إلى غرفتـك جـاءت إلى هنـا فتـاة تدعـى مـاري وطلبـت منـي أن أعطيـك هـذه الورقـة، لكنهـا كانـت في عجلة مـن أمرهـا فلـم تنتظـر حتـى أخـبرك. شـكرًا لـكِ لـورا، أنـتِ تقومـي بعمـل رائـع هنـا، لقـد ذهـب كل النـزلاء الآن، يمكـن أن تأخـذي

قسـطًا مـن الراحـة ونحتـسي شـيئًا معًـا. حسـنًا سـيد جونسـون، سـأعتبر أن هـذا تصريـح منـك لأن الآنسـة جـين تغضـب عنـد رؤيتـي متوقفـة عـن العمـل ولـو لوقـت قصـير. لا عليـكِ سـوف أخبرهـا أننـي أعطيتـك قسـطًا مـن الراحـة، الآن سـوف أذهـب إلى المقهـى، أنتظـرك. حسـنًا أنـا قادمـة.

***

فلويـد، أريـدك أن تجهـز لي أفضـل طاولـة عنـدك وضـع عليهـا بعـض الزهـور، لديـك بضـع دقائـق لعمـل ذلـك. حسـنًا سـيد جونسـون لقـد كنـت أعلـم ذلـك، الطاولـة جاهـزة بالفعـل.

كيف حالك فلويد؟.. آنسة لورا، أنا بخير، أشكرك.

اتركنـا بمفردنـا قليـلًا فلويـد. حسـنًا سـيد جونسـون، أتمنـى لكـما وقتًـا ممتعًـا.

***

مـن أيـن نبـدأ لـورا؟.. كـما تشـاء سـيد جونسـون. أعلـم أنـكِ لا تعلمـين مـن أنـا. لا، أنـا فقـط أرى صـورك في الصحـف كل صبـاح. سـأروي لـكِ مَـن أنـا مـن البدايـة. كُلّي آذان صاغيـة.

قبـل أربعـة أشـهر كان الوضـع مختلفًـا تمامًـا، كنـت رجـلًا بائسًـا يعيـش هنـا في هـذا الفنـدق اللعـين، لقـد تعرضـتُ لـشيء مـروّع في حيـاتي جعلنـي أفقـد الذاكـرة وعائلتـي أيضًـا، عشـتُ هنـا لسـبع سـنوات، الفتـاة التـي أحببتهـا لا أعلـم عنهـا شـيئًا حتـى الآن، قالـت جـين إنهـا قـد تكـون ماتـت، كانـت تدعـى مـاري لكـن ليسـت ماري التـي تـأتي إلى هنـا لأن السـيد أليكـس قـال إن التـي تـأتي إلى هنـا هـي فتـاة تنتحـل شـخصية مـاري فقـط، وكل ذلـك كان قبـل أربعـة أشـهر

حتى عرضت علي جين فكرة أن أقوم برسمها وهي عارية وأعرض اللوحات في معرض دُعيتُ له في نيويورك، حققت اللوحتين نجاحًا باهرًا وبيعتا بمبلغ كبير من المال واشتريت الفندق من ورثة السيد أليكس وبعد ذلك ذهبتُ إلى واشنطن في معرض آخر، التقيتُ أغلب الشخصيات السياسية ورجال الأعمال والمحافظين وكبار رجال الشرطة وقمتُ برسمهم ورسم ذويهم وأصبحت جونسون الرجل المقرب من السلطة لذلك تقرأين اسمي في الصحف كل يوم، لكن بالرغم من كل ذلك ما زلت الرجل الذي لا يعلم شيئًا عن ماضيه، بالأمس اقترحتُ على جين أن أقوم بالبحث من جديد عن ماري، أقصد ماري الحقيقية وليس التي جاءت إلى هنا... سيد جونسون عذرًا على المقاطعة، لكن أريد أن اخبرك بشيء نسيت أن أخبرك به: عندما جاءت ماري إلى هنا وقبل أن تعطيني الورقة ذهبت إلى مكتب جين وظلّت معها لفترة قصيرة يتحدثون في أمر ما، وعند مغادرتها أعطتني الورقة وذهبت.. حسنًا سوف أسأل جين عن الأمر. لا سيد جونسون، لا أريدها أن تعلم أنني أخبرتك، بعد قراءة ورقة ماري بكل تأكيد ستعلم سبب زيارتها لجين في مكتبها لذلك ليس هناك داعٍ لأن تخبر جين بالأمر. حسنًا والآن لورا ما رأيك في كل ما أخبرتك به؟ هل أبدو إنسانًا سيئًا أم جيدًا؟

***

الأمور لا تقاس هكذا يا سيد جونسون، عندما تجلس في زاوية الغرفة بجوار الباب سوف تشاهد كل الغرفة، لكن إن اعتدت

أن تجلس في هذا المكان سيأتي يوم وتظن أن الغرفة بدون باب وبعدها يتملكك شعور بالسجن وقد يدفعك ذلك إلى الانتحار، لكن إن جلست في الزاوية المقابلة للباب سيأتي يوم وتظن أن الغرفة ليس بها إلا الباب مصدر للهواء وبعدها يتملكك شعور بأن تفتحه أو تختنق في حين أن الغرفة بها شرفة كبيرة مفتوحة دائمًا يدخل منها الهواء.. أنت من تحدد بأي زاوية تريد أن تكون، كنت فقيرًا فأردت أن تكون في زاوية الأغنياء لكن رؤيتك للماضي جعلتك تختنق وتهمل الحاضر وتسجن نفسك داخل الماضي، تسجن روحك داخل ماري، وإذا استمر هذا الشعور سيأتي يوم وتفقد الحاضر أيضًا، لذلك سيد جونسون لك الحق في أن تعلم ما هو الماضي لكن لا تسجن نفسك داخله، خذ من الماضي الجيد فقط، إن كنت أحببت ماري حقًّا لا بد أن تبحث عنها فلا شيء أكثر قدسيه في هذه الحياة من الحب، وأنت كونك لست كثوليكيًّا فلن أطلب منك أن تبحث عن كلمة الحب في الكتاب المقدس يكفي أن تعلم أن كل الرسامين على مر العصور دفعهم الشعور بالحب إلى رسم لوحات ما زالت تُعرض حتى الآن في أعظم متاحف العالم بعد مرور مئات السنين على رسمها.. إن كنت لن تبحث عن ماري فلا داعي لتذكر الماضي لكن عليك أن تتأكد مَن جاءت إلى هنا هي حقًّا ماري التي أحببتها أم التي تنتحل شخصيتها؟ كما أنني أريد أن أخبرك بشيء مهم عندما فقدت ذاكرتك ألم تتعاطَ أي دواء لتعود إليك ذاكرتك؟ أخبرتني أنه فقدان ذاكرة مؤقت كيف استمر سبع سنوات؟!

أعتقد أنه نتيجة صدمة عصبية وليس خللًا ما في وظائف مخك، هذا يعني أنه لا بد أن تعود إليك ذاكرتك شيئًا فشيئًا.. والدي طبيب تخصص في علاج أمراض المخ كان يخبرني ذلك دائمًا أن الخلل الوراثي أو أثناء الولادة أو الناتج عن حادث ليس له علاج لكن الخلل المؤقت يمكن علاجه.. على أي حال يمكننا زيارته ليقوم بفحصك وإن نجح في إعادة ذاكرتك فإن الأمور كلها ستُحسم وستكون رؤيتك للماضي والحاضر واضحة، حينئذ لن تضطر للبحث عن ماري، يكفي أنك تعرف ملامحها، يمكنك رسمها من ذاكرتك وتقديم الرسمة للشرطة للبحث عنها وستنتهي معاناتك، لذلك أول خطوة تقوم بها هي أن تُعيد ذاكرتك والأهم الآن أن تتبع إحساسك لأنه سوف يقودك إلى الحقيقة في كل الأحوال، فإن كنت فقدت الذاكرة فما زلت تمتلك الشعور.. قرر ماذا تريد سيد جونسون؟ أردتُ فقط أن أعطيك رأيًا لكن الأمر برمّته يعود لك، تذكر أن لا تقف في زاوية واحدة. لورا أريد أن أخبرك بشيء آخر، في كل ليلة أشاهد حلمًا يحاصرني منذ سبع سنوات لم أحلم من قبل إلا به، أشاهد ظل فتاة على حائط عليه لافتة محطمة تبقّى منها حرف إل ورقم المنزل ٦ ثم يظهر الظل ويأخذني بعيدًا، هل ذلك له علاقة بالماضي أيضًا. سيد جونسون، كل شيء له علاقة بالماضي لكن الأحلام التي تراود الإنسان كل ليلة هي جزء من الواقع بكل تأكيد، يوجد عدة شوارع هنا في الحي والأحياء المجاورة جميعًا تحمل حرف إل في بداية اسمها، يمكنك أن تذهب لكل شارع بسيارتك وتقف وتحاول تمثيل حلمك من جديد لعله

يقـودك إلى شيء، كأن الـرب يريـد أن يخـبرك بـشيء لذلـك يجعلـك تشـاهد حلمـك كل ليلـة، ولـو أنـه مـن صنـع عقلـك فـإن عقلـك يريـد أن يخـبرك شـيئًا أيضًـا.. أعتقـد أن هـذا الشـارع والمنـزل يحـاول عقلـك اسـتعادتهم مـن الذاكـرة المفقـودة، لـو بحثـت عـن هـذا المـكان سـوف يسـاعدك الأمـر عـلى التذكـر. أيـن يعمـل والـدك لـورا؟.. لديـه عيادتـه الخاصـة في حـي سـبرينج. حسـنًا لنذهـب إليـه الآن. لكـن العمـل سـيد جونسـون، لا يمكـن أن أتـرك الفنـدق. لقـد أعطيتـك عطلـة لأجـل غـير مسـمى، يمكننـا أن نذهـب الآن.

***

فلويـد... فلويـد.. أنـا هنـا سـيد جونسـون، هـل أخدمك بـشيء؟.. عندمـا تـأتي جـين أخبرهـا أننـي أعطيـت للآنسـة لـورا عطلـة لأجـل غـير مسـمى حتـى تعـود إلى الفنـدق، أنـا ذاهـب الآن، أخبرهـا أيضًـا أن تمـارس عملهـا السـابق حتـى تعـود لـورا. حسـنًا سـيد جونسـون كـما تريـد.

***

ذهبـت أنـا و لـورا إلى عيـادة والدهـا الدكتـور ألفريـد التـي تقـع في ميـدان حـي سـبرينج قريـب مـن مستشـفى سـبرينج بعـض الـشيء. في الطريـق طلبـت لـورا أن أقـوم بقـراءة الورقـة التـي كتبتهـا مـاري لكـن أنـا رفضـت، أخبرتهـا أننـي سـوف أقرأوهـا عندمـا نعـود إلى الفنـدق حتـى يكـون ذلـك في وجـود جـين. كانـت العيـادة ممتلئـة بالمـرضى، فهـو كـما وصفتـه ابنتـه طبيـب ماهـر جـدًّا. جلسـتُ في غرفـة الانتظـار، جميـع الحضـور مصابـون بالزهايمر وفقـدان الذاكـرة المؤقت وأمـراض المـخ، لا أحـد يتحـدث مـع أحـد، الجميـع نـسي الجميـع،

يبتسمون فقط في وجوه بعض.. عندما تكون فاقدًا للذاكرة سيكون كل مَن حولك تعرفهم ولا تعرفهم لذلك أنت تبتسم للجميع لأنك تخشي أن يكون من يقف أمامك فرد من أسرتك وأنت نسيت مَن هو حتى وإن كنت تراه للمرة الأولى في حياتك. اعتذرت لورا من الممرضة التي تنظم دور المرضى في العيادة لأننا لا نريد أن ننتظر كثيرًا. دخلنا سويًّا إلى غرفة الفحص حيث كان الدكتور ألفريد يجلس مع أحد أصدقائه، صافحتهم وقبل أن أعرّف عن نفسي قال الدكتور ألفريد: بالطبع أنا أعرفك، من في أمريكا لا يعرف الرسام المبدع جونسون ديفلوفيك؟!.. ثم أردف قائلًا: لقد رأيت أحد لوحاتك في مكتب مستشار الأمن القومي، كان يضعها بجانب صورة الرئيس، كنتُ في زيارة له، فهو صديق مُقرّب. قاطعته لورا قائلة: «أبي، يريد جونسون أن يخبرك بشيء». يقاطعها صديق والدها ويوجه كلامه إلي مباشرةً:

سيد جونسون، أعتقد أنني رأيتك من قبل. بالتأكيد رأيتني في إحدى الصحف. لا لا ليس في إحدى الصحف، أنا رأيتك من قبل في مكان ما لا أذكره، كان يبدو عمرك أصغر من ذلك. حسنًا، أين من فضلك؟ أخبرني، فأنا لدي فقدان في الذاكرة. سيد جونسون هل فقدت أحدهم في الحرب؟.. نعم نعم، فقدتُ عائلتي. سيد جونسون، أقدم لك نفسي، أنا الدكتور توماس، كنتُ طبيبك المعالج في مستشفى سبرينج قبل سبع سنوات وأنت كان لديك حالة فقدان ذاكرة مؤقت وتعالجت بعد مرور أسبوع واحد فقط وذهبت إلى ميناء لوس أنجلوس فكيف تقول الآن أنك فاقد للذاكرة! أنت تعالجت بالفعل. صديقي توماس،

أن لا أفهم شيئًا، أنت تعرف السيد جونسون من قبل؟!.. نعم دكتور ألفريد، لكن السيد جونسون يبدو أن ذاكرته لم تعُد له لكن أنا أؤكد لك أن ذاكرته عادت له، كيف فقدها من جديد؟!.. أنت طبيب وتعلم أن فقدان الذاكرة المؤقت لا يدوم طويلًا. حسنًا دكتور توماس، أطلب منك بمساعدة الدكتور ألفريد فحصي من جديد كمريض للمرة الأولى يزور عيادتكما. سيد جونسون، ما حدث شيء غير معقول! هل تتعاطى أي عقاقير بشكل يومي؟.. لا أتعاطى أي شيء. نتائج الفحص أظهرت أنك تتعاطى دواء يساعد على حالة فقدان ذاكرتك بشكل يومي وهذا ما رأيته وما يراه الدكتور ألفريد أيضًا. ما هو الشيء الذي تتعاطاه يوميًّا حتى لا تعود إليك ذاكرتك، أنت تتعاطى هذا الشيء منذ سبع سنوات، شيء ما مثل المخدر أو نوع من المهدئ لأعصاب المخ يجعل عقلك لا يُعيد ترميم نفسه مما يجعل هناك صعوبة في عودة ذاكرتك، أخبرني سيد جونسون إن كنت تتعاطى أي نوع من المخدر يمكننا مساعدتك أنا والدكتور ألفريد. أنا حقًّا لا أتعاطى أي شيء، ما أقوم به يوميًّا هو التدخين وشرب القهوة، ليس لدي عادة يومية أخرى أقوم بها. سيد جونسون، هل تحتسي القهوة من مكان واحد؟.. نعم، لدي في الفندق مقهى أحتسي به القهوة في كل صباح. حسنًا لا بد أن هذه القهوة تحتوي على شيء ما يمنع عودة ذاكرتك، يمكن أن تتأكد من ذلك بنفسك، توقف عن احتساء القهوة لمدة أسبوع واحد فقط سوف تعود إليك ذاكرتك تدريجيًّا وسوف يقوم الدكتور ألفريد أيضًا بإعطائك دواء يقوم بتنشيط أعصاب المخ لديك،

سـوف تسـتعيد ذاكرتـك بعـد سـبعة أيـام لكـن الـشيء المهـم الآن هـو أن تتوقـف عـن احتسـاء القهـوة في هـذا المـكان وأن تزوّدنـا بعينـة منهـا لفحصهـا، الآن الأمـر سـيتحول لجريمـة إن أثبـت المختـبر أن القهـوة بهـا مخـدر مـا، يمكنـك أن تُقـاضي الشركـة المصنعـة لهـا أو مـن يقدمهـا لـك. حسـنًا دكتـور تومـاس، لكن أريـدك أن تخـبرني كل شيء تعلمـه عنـي. سـيد جونسـون لقـد مـر سـبع سـنوات وأنـا بالفعـل لا أتذكر التفاصيـل لكـن مـا أتذكـره أنـك فقـدت عائلتـك وأصبـت بصدمـة عصبيـة تسـببت لـك في فقـدان ذاكـرة، لم يسـأل أحـد عنـك وقتهـا سـوى فتـاة تُدعـى مـاري، كانـت قـد فقـدت أمهـا أيضًـا قبـل ذلـك بأيـام. هـل تعلـم أي شيء عـن مـاري؟.. لا سـيد جونسـون، كنـتُ فقـط الطبيـب المعالـج لوالدتهـا. حسـنًا دكتـور تومـاس، أنـا أشـكرك كثـيرًا، في القريـب العاجـل سـوف أرسـل لـك عينـة مـن القهـوة التـي أحتسـيها كل صبـاح، سـوف أتابـع الأمـر مـع الدكتـور ألفريـد بـكل تأكيـد، لكـن أودّ منـك كتابـة تقريـر بنـاء عـلى الفحـص والتوقيـع عليـه أنـت والدكتـور ألفريـد لأن هـذا الأمـر مهـم بالنسـبة لي. حسـنًا سـيد جونسـون.

أصيبت لورا بحالة من الذهول بعد خروجنا من العيادة، أخبرتني أن هناك شيئًا ما يحدث لا أفهمه، في طريق العودة إلى الفندق قمتُ بقراءة الورقة التي كتبتها ماري.. قالت فيها إنها تريد أن نلتقي، وتركت رقم هاتفها أسفل الورقة، لكن قبل كل ذلك لا بد أن أعلم ما الذي يحدث ولماذا أفقد ذاكرتي كل يوم.

عُدنا إلى الفندق من جديد، جين تجلس في الريسبشن تستشيط غضبًا وتنظر إلينا أنا ولورا ويظهر في عيونها حالة من الخوف الممزوجة بالغضب، ما إن وصلنا إليها حتى قالت: آنسة لورا، عودي إلى عملك.. ثم أردفت: سيد جونسون، أريد أن نتحدث على انفراد. كان حديثها يحمل الكثير من الرسمية والسخط على ما حدث. أشار إلي فلويد مبتسمًا لكن لم أفهم ماذا يقصد من هذه الابتسامة، أدرت وجهي لأجد جين تسير أمامي مسرعة كأنها تريد أن تخرق الأرض بخطواتها، سرت خلفها بهدوء شديد، عندما وصلنا إلى مكتبها أغلقت الباب بعنف شديد وقالت: جونسون، أين كنت ولماذا ذهبت لورا معك؟.. جين كنت في سبرينج أقابل أحد الأصدقاء واصطحبت معي لورا لأنني أردت أن يكون أحد معي وأنتِ كنتِ خارج الفندق، كما تعلمين جين لا بد أن يكون أحد معي فأنا فاقد للذاكرة. هذا هراء، هذه الفتاة لا نعلم عنها شيئًا، لا يصحّ أن تضع العاملين لديك في مكانة الأصدقاء، هل هذا واضح جون؟.. جين

استفيقي من سباتك العميق، أنتِ أيضًا عاملة لدي وتتحدثي معي بدون ألقاب، لا أحد يحاسب جونسون على أفعاله، أنا هنا أمتلك هذا البلد بأكمله بلوحاتي، أنا جونسون ديفلوفيك الرجل الذي يحترمه الجميع، عندما تتحدثي معي لا بد أن تتحلي ببعض من الاحترام وإلا فليذهب الجميع إلى الجحيم، هل كان ذلك واضحًا؟.. حسنًا سيد جونسون، لكن لا تنسى أنا ساعدتك للوصول إلى هذه المكانة. أنا فاقد للذاكرة، لا أتذكر شيئًا، أليس هذا ما حدث؟ سوف أصعد إلى غرفتي، لا أريد إزعاجًا، لا أريد اتصالًا على الهاتف، لا أريد أي شيء.. حين لا تذهبي بنفسك إلى الهاوية، كل شيء قد تغير، أوراق السيد أليكس اللعين لا تهمني، لا يهمني مَن أكون وما هو الماضي، كل ما أريده هو أن أبقى الرسام العظيم جونسون فقط، هذه الاعتبارات السخيفة التي تتحدثين عنها هي في الأصل وقاحة.. أنتِ هنا في هذا الفندق بسبب يد جونسون التي رسمت والتي يمكنها أن ترسم أي فتاة أخرى عارية والحصول على المزيد من المال والشهرة، هذا هو القانون والمقياس، أن تبقى بدون أخلاق، بدون قيم، أن تبقى سيئًا ووقحًا ومنحطًا، لكن تمتلك الكثير من المال.. أليس هذا ما أخبرتيني به قبل أن نذهب إلى نيويورك؟ أليس هذا ما احتفظتي بأوراق أليكس من أجله؟ فليذهب هو وأوراقه، وأقسم بكل الآلهة التي لم ولن أؤمن بها أنني أريد أن أخرج جثمانه من قبره وأحرقه وأنثر رماده على شاطئ لوس أنجلوس حتى يتفرق جسده اللعين ولا يصعد للسماء.. إن كنتِ تريدين محاسبة أحدهم على أفعاله فاذهبي إلى السيد أليكس في

قـبره وأخبريـه أنـه أخطـأ عندمـا كتـب قصـة حيـاتي، عندمـا ضيّـع سـبع سـنوات مـن عمـره في هـراء للبحـث عـن مـاضي جونسـون.. سـوف أذهـب جـين وعليـكِ أن تقومـي بعملـك هنـا فقـط، لا تتحدثـي لأحـد، أنـتِ هنـا لإدارة هـذا الـصرح الـذي جعلتـه أنـا ذو قيمـة في هـذه المدينـة البائسـة.. يمكنـك عقـد الصفقـات المشـبوهة مـع النـزلاء المقيميـن هنـا ومضاجعـة كبـار المسـؤولين والتـودد لهـم لكـن ابتعـدي عـن طريقـي فأنـا لم أعـد بحاجـه للمزيـد مـن الخيبـات.
حسـنًا جونسـون، لـك ذلـك.

***

فلويـد.. فلويـد.. أنـا هنـا سـيد جونسـون، لمـاذا تـصرخ هكـذا؟! هـدئ مـن روعـك!.. أريـد رؤيـة علبـة البـن الـذي تعـد لي القهـوة منـه. حسـنًا حسـنًا سـيد جونسـون، هـل هنـاك خطـب مـا؟.. لا تناقشـني في شيء، فقـط ضعهـا أمامـي هنـا عـلى الطاولـة وانـصرف. حسـنًا سـيد جونسـون، هـذا هـو البـن الـذي أعـدّ لـك القهـوة منـه. مـن أيـن تحصـل عليـه؟.. لا أشـتريه، الآنسـة جـين تشـتريه وتضعـه هنـا في المقهـى دائـمًا وتخـبرني أن أعـدّ لـك القهـوة منـه فهـو النـوع المفضـل لديـك. حسـنًا فلويـد، ومـن أيـن تحصـل عليـه جـين؟.. لا أعلـم مـن أيـن تحديـدًا، لكـن مـدوّن عـلى العلبـة الشركـة المنتجـة وهـذا نـوع جيـد مـن البـن أغلـب المقاهـي في لـوس أنجلـوس تسـتخدمه. حسـنًا أريـد ورقـة وملعقـة، سـوف آخـذ القليـل منـه ولا تعـدّ لي القهـوة لمـدة أسـبوع حتـى وإن طلبـت منـك ذلـك قـم بالرفـض عـلى الفـور. حسـنًا سـيد جونسـون، كـما تريـد. لا تُخـبر جـين بهـذا الأمـر، وإن سـألتك أخبرهـا أنـك تعـد لي القهـوة كل

صباح كعادتك، أعلم أنك تريد أن تفهم ماذا يحدث لكن سوف أخبرك فيما بعد، الآن ضع العلبة في مكانها المعتاد، سوف أصعد إلى غرفتي، لا تسمح لأحد في الريسبشن باستخدام الهاتف والاتصال بي وإزعاجي حتى وإن كانت الآنسة لورا. حسنًا سيد جونسون، أتمنى لك نومًا هادئًا.

***

الغرفة هي المكان الوحيد الصالح للتفكير بعيدًا عن هذا العالم المليء بالنفاق، هنا حيث حقيقتي التي أخفيها خلف ملابسي الفاخرة والقبعات المصنوعة من الجلد والسيجار الفاخر، غرفتي الفوضوية التي أتعلق بها أكثر من أي شيء.. الأمر أصبح أكثر تعقيدًا يومًا بعد يوم، إن صحت نظرية الدكتور توماس فإن القهوة التي أحتسيها أحدهم يضع بها بعض عقار ما يفقدني ذاكرتي باستمرار أو يحول بيني وبين استعادة ذاكرتي المفقودة. قال فلويد إن مَن يشتري البن هي جين وإنها تقوم بتوصيته أن يُحضر لي القهوة من هذا النوع تحديدًا، على الجانب الآخر ماري التقت بجين لسبب ما لا أعلمه ثم بعدها طلبت ماري أن نلتقي وهي تنتظر اتصالًا هاتفيًّا مني لكي أخبرها بمكان اللقاء، في حين أن أليكس اللعين كتب هذه الأوراق وبعدها قُتل، ولو أنه على قيد الحياة لكان اختلف الأمر، لكن هنا السؤال المهم الذي يراودني: لماذا لم يصرح أليكس عن أوراقه وهو على قيد الحياة؟ أو يخبرني بأي شيء؟! أعتقد أن بدايتي بالبحث لا بد أن تكون عن السبب الذي يربط جين بماري، خاصة أن من المفترض أن جين تعلم حقيقة ماري.

عـد للـماضي القريـب جونسـون، لـو أنني مـن اليـوم الأول تذكرت كل شيء مـاذا كان ليحـدث وقتهـا، لـو أننـي لم أحتـسِ القهـوة كل صبـاح مـاذا كان ليحـدث؟.. كان السـيد أليكـس سـيكون عـلى قيـد الحيـاة وجـين سـتظل عاملـة الريسبشـن وأنـا سـأذهب لأبحـث عـن مـاري وأغـادر الفنـدق عـلى الفـور وسـتظل الأمـور كـما هـي ويظـل الفنـدق سـيئًا كـما هـو. مَـن المسـتفيد الأكـبر مـن كل ذلـك؟ ولمـاذا جـاءت مـاري إلى هنـا؟ لمـاذا لم تضـع فرضيـة أنني تذكـرت كل شيء وغـادرت الفنـدق؟ مَـن الـذي أخبرهـا أننـي مـا زلـت هنـا بعـد سـبع سـنوات مـن الغيـاب؟ وهـل أصـدق مـا كتبـه أليكـس كلـه أم أكذّبـه كلـه؟... أصبـح الأمـر لغـزًا محيّرًا أصعـب مـن اكتشـاف كولومبـس لأمريـكا. حسـنًا إن صدّقـت مـا كتبـه أليكـس فنحـن الآن أمـام ثـلاث قضايـا لا بـد أن تحلهـا الشرطـة؛ قضيـة مقتـل أليكـس وقضيـة اختفـاء مـاري وقضيـة انتحـال لوجينـا ديـران لشـخصية مـاري. وإن كذبـت مـا كتبـه أليكـس فهنـا أنـا لا أعلـم مَـن أنـا وأيـن هـي عائلتـي ومـن أيـن أتيـت، لكـن تبقـى الحقيقـة الوحيـدة أنني فاقـد للذاكـرة والألم الـذي في قلبـي، الألم الـذي كلـما نسـيته أجـده أمامـي في الذكريـات وداخـل روحـي وقلبـي وفي الجـزء المتبقـي مـن العقـل وفي رائحـة الطرقـات ولوحـاتي وفي صـوت الفرشـاة عندمـا أحركهـا عـلى القـماش ورائحـة الألـوان وفي مـذاق القهـوة التـي أحتسـيها كل يـوم.. كل ذلـك يحمـل الألم والقـادم قـد يكـون أسـوأ، القـادم الـذي لطالمـا حلمـتُ بـه كـما قالـت لـورا، أنـا في زاويـة صعـب وصفهـا أهـي في السـماء أم عـلى الأرض أم في الحفـلات الفاخـرة أم في غرفتـي بـين لوحـاتي والفـوضى... المـال والشـهرة لم يغـيرا أي شيء، كـما

قيـل التـاج الذهبـي لـن يمنـع أن يصـاب الملـك بـآلام الـرأس ولـن يعطيـه تفكـيرًا نـيّرًا، كـما أنـه لـن يعطيـه المزيـد مـن سـنوات عمـره. في خضـمّ كل هـذه الأحـداث أنـا لا أشـعر بالحنـين لمـاري، كأن قلبـي فقـد ذاكرتـه أيضًـا، وهـذا الأمـر مـا يجعلنـي أتهـم أليكـس بالكـذب، لـو كنـتُ أحـب مـاري حقًّـا لشـعرتُ بالحنـين، لشـعرت بأنني لسـت متزنًـا، ينقصنـي شيء كبـير، لشـعرت بالـبرد في قلبـي حتـى وإن كنـت أجلـس أمـام المدفـأة في ليلـة مـن ليـالي أغسـطس الـسيء... أنـا فقـط لـدي حنـين لـشيء لا أعلمـه كأننـي أريـد العـودة للطفولـة وأبكـي كثـيرًا حتـى يحتضننـي أحدهـم فقـط. شـعور بالسـوء والغضـب والكراهيـة لـكل شيء لذلـك سـيبقى الحـال كـما هـو عليـه حتـى الصبـاح مـع بدايـة العـام الجديـد.

الواحد من يناير عام ألف وتسعمائة وستة وعشرون

عام جديد قد يكون الأفضل أو يشبه ما قبله من الأعوام السبعة. استيقظتُ على صوت جرس الهاتف، كانت لورا تخبرني أن لدينا موعدًا اليوم مع والدها الدكتور ألفريد لإعطائه العينة التي طلبها من البن لكي يقوم بإرسالها إلى المختبر. ارتديت ملابسي وتركت غرفتي كما هي في حالة الفوضى المعتادة وذهبت. كانت جين تجلس في المقهى تدخن بشراهة وأمامها كأس النبيذ كعادتها، تبدو مرهقة وعيونها متورمتين كأنها لم تنم الليلة الماضية، تنظر إلي باستحقار وأنا اقف وأتحدث مع لورا وأتجاهل نظراتها كأنها غير موجودة، بالرغم من ذلك كنتُ منزعجًا من نظراتها لكن لم أرِد الاصطدام معها مجددًا حتى لا تخطط لشيء ما يغير ما يحدث، لكن يبدو أن فلويد لم يخبرها بأمر البن.. لم تمر لحظات حتى سقط الكأس من يدها على الأرض فتحطم وتناثرت قطع الزجاج وقطرات النبيذ، لم تتفوه بأي كلمة فقط أشعلت سيجارتها حتى إنها لم تنظر إلى الأرض كأنها لا تكترث لما حدث وأنا أيضًا فعلت الأمر نفسه، لقد سمعت صوت ارتطام الكأس بالأرض ولم أنظر إليها وقد علمت ما حدث، فيما تعجبت لورا ونظرت في دهشة وفزع، فيما ابتسم فلويد وقال بهدوء:

«لا عليكِ آنسة جين، سوف أنظف ذلك، هل أقدم لكِ كأسًا آخر؟».

قامت بهز رأسها بنعم دون أن تتفوه بكلمة.. أشارت إلي لورا بنظراتها تتساءل ماذا يحدث، ابتسمت من تصرفها الذكي وقلت لها لنذهب الآن. في الطريق أخبرت لورا عن الحديث الذي دار بيني وبين جين بالأمس، كانت تستمع ولا تعلق على أي شيء، ثم قالت: لقد قسوتَ عليها سيد جونسون، كان من الممكن أن توضح ما تريد توضيحه دون استخدام هذه القسوة، أعتقد أنها أرادت لفت انتباهك عندما كنت في الفندق، أسقطت الكأس لكي تنظر إليها وتتحدث معها.. لا عليك، لا تفكر في شيء الآن، عندما نعود إلى الفندق تحدث معها من جديد وحاول أن تكون لطيفًا هذه المرة. حسنًا.

***

وصلنا إلى عيادة الدكتور ألفريد وقد كانت ممتلئة كالعادة، قمت بإعطائه العينة التي أخذتها من البن وقام هو على الفور بإرسال العينة إلى المختبر الذي بدوره أرسل له تقريرًا عن النتيجة. أمسك الدكتور ألفريد الورقة التي تحتوي على تقرير المختبر ومسح العرق عن جبينه وارتدى نظارته ثم قال: يتضح أن البُن يحتوي على مادة تُضعف أعصاب المخ مما يجعل عودة الذاكرة أمر صعب، لكن الغريب في الأمر أن التقرير ذكر أن هذه المادة تمت إضافتها بعد صناعة البُن وليس أثناء التصنيع، فهي تظهر بالعين المجردة ولم تختلط بالبُن بشكل جيد.. أقترح عليك سيد جونسون أن تبلغ الشرطة للتحقيق في الأمر. جاء

ردي بالرفض على الفور، فأنا أفضّل أن أكتشف الأمر بنفسي، فيما أيّدت لورا رأيي وقالت لا بد أن تكتشف بنفسك من يفعل هذا ثم بعدها تبلغ الشرطة لأن التحقيق في الأمر سوف يؤثر على مكانتك وقد تصل الأخبار إلى الصحافة التي بدورها سوف تكتب عن الموضوع لجذب القراء وهذا الأمر سوف يؤثر عليك، تخيل أن الرسام جونسون لديه اضطراب في عقله أو يتعاطى المخدر، سوف تكون نهايتك وسقوطك إن حدث ذلك. لم يقتنع الدكتور ألفريد بكلام ابنته لكنه اكتفى بأن يقدم لي التقرير لاستخدامه عندما تحقق الشرطة في الأمر.

لم يأخذ الأمر سوى بضع ساعات ثم عدنا إلى الفندق من جديد، تسألت لورا ماذا سوف أفعل؟ أخبرتها أن الأمر لا بد أن يتم التحقيق حوله دون أن يشعر أحد سوى أنا وأنتِ وأن فلويد قال إن جين هي من تشتري هذا البُن وبناءً على تقرير المختبر فإن المادة وُضعت بعد صناعة البن وليس قبله، وهذا ما يجعل أصابع الاتهام تشير إلى جين مباشرةً. إن وضعت فرضية أنها تفعل ذلك لا بد أن أعلم ما هو الدافع لفعل ذلك، لكن قبل أن أحقق في الأمر علي لقاء ماري، أريد أن أعرف لماذا تريد رؤيتي وما الذي يربط بينها وبين جين؟ هذه هي البداية لورا، كل شيء سيكون أوضح عندما أعلم الرابط بينهم حتى لا أخدع مرة أخرى.. أنا أهتم بالدواء الذي قدمه لي والدك وبعد أسبوع سوف تعود لي ذاكرتي تدريجيًّا، لا بد أن أعلم كل الحقيقة قبل أن تعود ذاكرتي، أول خطوة سوف تقومي بافتعال خلاف مع جين وتطلبي منها راتبك لأنك تريدين ترك العمل في الفندق،

لا تهتمـي للراتـب سـوف أعطيـكِ أضعافـه في سـبيل مسـاعدتي في هـذا الأمـر، أريـد أن أفسـح المجـال أمـام جـين لتتـصرف كـما تشـاء وأن تظـن أنـه لم يعـد أمامـي غيرهـا. حسـنًا سـيد جونسـون، سـوف أقـوم بذلـك مـن أجلـك، لكـن مـا هـو الخـلاف الـذي سـوف أقـوم بافتعالـه؟.. قـولي لقـد أضعتـي أوراق كانـت عـلى مكتبـي وهـي اليـوم تريـد افتعـال الخلافـات في كل الأحـوال بسـبب حالتهـا النفسـية السـيئة، كـوني حريصـة وأنـتِ تتحدثـي معهـا وأنـا سـوف أراقـب الموقـف مـن المقهـى وسـوف أتدخـل في الوقـت المناسـب. الآن اجلـسي عـلى الكـرسي وقـولي أيـن الأوراق التـي كانـت عـلى مكتبـي بصـوت مرتفـع، سـتخرج هـي مـن مكتبهـا عـلى الفـور لتقـوم بتوبيخـك، وهنـا سـوف يحـدث الخـلاف وأنـا أجلـس في المقهـى أتابـع وسـوف أتدخـل وأقـول لـكِ لقـد اسـتغنيتُ عـن خدماتـك في الفنـدق، وقتهـا سـوف تذهبـي إلى الخـارج، سـأترك بـاب السـيارة غير مقفـل، تصعـدي إلى السـيارة وتنتظرينـي قبـل أن أصعـد إلى السـيارة سـوف أتحـدث مـع مـاري وأطلـب منهـا أن نلتقـي فقـط.

***

كـما خططـت.. حـدث الخـلاف بـين لـورا وجـين وعـلى الفـور تدخلـت وأخـبرت لـورا أن تذهـب فنحـن لم نعـد بحاجـة لهـا، قامـت بإمسـاك منديلهـا الورقـي ومسـحت عـلى عينيهـا كأنهـا تبكـي وذهبت مسرعـة إلى خـارج الفنـدق وصعـدت في السـيارة، قلـت لجـين الأمـر انتهـى، هدئـي مـن روعـك سـوف نـأتي بفتـاة غيرهـا في أقـرب وقـت لإدارة أمـور النـزلاء، الأمـر الـذي جعلهـا سـعيدة أنهـا تخلصـت مـن لـورا. عـادت جـين إلى مكتبهـا تمـشي بهـدوء وبخطـوات بطيئـة تشـعر

بلـذة الانتصـار، مـا إن أدارت وجههـا وذهبـت حتى أمسكت بالهاتف واتصلـت بـماري وأخبرتهـا أننـي في انتظارهـا في المقهـى الـذي بجـوار متجـر السـيد ألـبرت وأجلـس عـلى الطاولـة نفسـها التـي جلسـنا عليهـا مـن قبـل.. ثـم خرجـت مـن الفنـدق إلى السـيارة، قالـت لـورا كان أداء مبهـرًا سـيد جونسـون، كان لا بـد أن تكـون ممثـلًا، فضحكنـا سـويًّا ثـم أردفـت قائلـة: مـا هـي الخطـة الآن؟ مـاذا سـوف نفعـل؟.. الخطـة كالتـالي لـورا: سـوف نذهـب إلى المقهـى القريـب ننتظـر مـاري، سـأقوم بوضـع السـيارة بجـوار النافـذة الزجاجيـة حتـى أراهـا عندمـا تقـترب مـن المقهـى عـبر مـرآة السيارة، عندهـا سـوف تذهبـي وتجلسـي عـلى الطاولـة التـي خلفنـا حتـى لا تـراكِ مـاري، أريـد أن تسـمعي مـاذا نقـوم وتقومـي بتدوينـه في ورقـة حتـى لا أنسـاه، أريـد كل حـرف سـوف يخـرج مـن فمهـا، حتـى تعابـير وجههـا وملامحهـا اكتبيهـا، بعدهـا سـأدع مـاري تذهـب بمفردهـا ونناقـش الأمـر سـويًّا، عندمـا تذهـب لا تنسـي أن تكتبـي في الورقـة أن هـذه لوجينـا ديـران وليسـت مـاري حتـى لا يختلـط علينـا الأمـر فيـما بعـد واتركـي لي مسـافة فارغـة أسـفل الورقـة لأقـوم برسـمها بعدمـا تذهـب، هـذا مـا سـنقوم بـه في البدايـة.. هـا قـد وصلنـا لـورا، علينـا الجلـوس هنـا فأنـا أخبرتهـا أني سـأكون عـلى هـذه الطاولـة.. يبـدو أنهـا آتيـة، كـوني متيقظـة لـورا لـكل شيء.

***

جـاءت مـاري المزيفـة التـي هـي في الأصـل لوجينـا ديـران، قامـت بخلـع قفازهـا وصافحتنـي وقالـت: هـل تسـمح لي بالجلـوس؟ أشرتُ لهـا بنعـم. أشـكرك سـيد جونسـون، كيـف حالـك؟ أنـا

سعيدة بالنجاح الذي حققته في الفترة الماضية، كل يوم كنت أتابع الصحف لأقرأ عنك وعن إنجازاتك، أعتقدت أنك ستكون منشغلًا جدًّا ولن تتصل بي. لا، لدي بعض الوقت للأصدقاء القدامى، لكن ما سبب هذا اللقاء آنسة ماري، هل هناك خطب ما؟.. أردت فقط تهنئتك بإنجازاتك العظيمة. كان يمكن فعل ذلك عبر الهاتف. سيد جونسون، الإنسان الذي بعظمتك لا يصح إلا أن نعطيه قدرًا كبيرًا من الأهمية، لهذا جئت الآن نشرب نخب إنجازاتك سويًّا. أنا ممتن لكِ جدًّا لكن الطبيب منعني من شرب النبيذ أو الويسكي. هل منعك عن القهوة أيضًا؟.. لا، أنا أحتسي القهوة كل صباح في الفندق كما اعتدتُ أن أفعل، فهي تزيد من تركيزي أثناء الرسم. حسنًا هذا جيد، أتمنى أن تكون موفقًا فيما هو قادم سيد جونسون، سوف أذهب الآن على أمل أن نلتقي في المستقبل عندما يكون لديك بعض الوقت. لم تخبريني أنسه ماري أين رأيتي لوحتي التي كُتب عليها عنوان الفندق وهاتفه؟.. أخبرتك ذاك اليوم، رأيت إحدى لوحاتك في معرض في نيويورك. آنسة ماري، أنا لم أشارك في معارض من قبل سوى من أربعة أشهر فقط، قبل ذلك لم أشارك أبدًا في أي معرض، يمكنك الانصراف وسوف نؤجل الحديث في هذا الأمر لوقت آخر. حسنًا سيد جونسون، إلى اللقاء. تصحبك السلامة.

***

قمتي بعمل جيد لورا، الآن سوف نذهب إلى سبرينج، يجب أن أوصلك إلى المنزل وبعدها سأعود للفندق لرسم ماري، يمكن أن نلتقي هنا غدًا لنتناقش في الأمر. حسنًا سيد جونسون.

ذهبت إلى سبرينج لتوصيل لورا إلى منزلها ثم عدتُ إلى الفندق من جديد، كانت جين تجلس في الريسبشن تستشيط غضبًا بدون سبب. صعدت إلى غرفتي وبدأت برسم ماري وقراءة ما كتبته لورا على الورقة، تبدو نظراتها تحمل الكثير من الشر، كما أن تجاعيد وجهها تبدو أكبر من عمر ماري فلو افترضت أن ماري الحقيقية قريبة من عمري فهذا يعني أن هذه الفتاة تكبرها بخمس سنوات على الأقل، كما أنها لا يمكن أن تكون ممرضة في مستشفى لأن لديها تشققات في وجهها مما يعني تعرضها لأشعة الشمس لفترات طويلة، كما أنها من المستحيل أن تكون لوجينا ديران فعلى حد وصف أليكس قال إن ماري سقطت أثناء الحادث ثم قامت لوجينا بسرقة أوراقها لانتحال شخصيتها في حين أن السيدة التي رأيتها اليوم لديها عيب ما في قدمها يجعلها لا تستطيع أن تنحني وتأخذ شيئًا من على الأرض فهي ترفع قدمها بصعوبة أثناء صعودها على سلم المقهى الذي هو قريب من الأرض بشكل كبير، كأنها أصيبت بشلل الأطفال من قبل لكن حصلت على بعض الأدوية التي جعلتها تبدو طبيعية. اعتقدت جين أنني لم ألاحظ كل هذه الأمور لكنها أهملت كوني رسامًا أنظر دائمًا إلى التفاصيل التي لا ينظر إليها أحد أو أنها اعتقدت أن فقداني للذاكرة يجعل عقلي يتوقف تمامًا عن التفكير، لا أعلم هل كان ذلك غباء من جين أن تخبرني بأوراق أليكس أم ذكاء منها لتحصل على شيء ما؟.. على أي حال لا بد أن أعيد ترميم علاقتي بجين فهي مفتاح القفل العالق في قلبي يكاد يقتلني. اصبحت صورة ماري أو لوجينا ديران أو الفتاة المجهولة

جاهـزه الآن. في طريقـي للفنـدق قمـت بـشراء زجاجـة عطـر كهديـة لجـين.. أيـن الهاتـف؟.. جـين أنـا جونسـون، أنتظـرك في غرفتـي، لدي شيء مـن أجلـك، حسـنًا حسـنًا لا تتأخـري. قبـل أن تصـل جـين إلى غرفتـي لا بـد مـن إخفـاء صـورة مـاري وترتيـب الفـراش بشـكل جيـد مـن أجـل هـذه الليلـة البـاردة.. حسـنًا أنـا قـادم. مرحبًـا سـيد جونسـون، كيـف حالـك؟.. أنـا بخـير، تفضـلي بالدخول. لمـا اتصلت بي، هـل هنـاك خطـب مـا؟.. نعـم نعـم، لقـد جلبـت لـكِ هـذه الهديـة. أووه! شـكرًا لـك سـيد جونسـون. جـين أردت أن أعتـذر لـكِ عـن مـا بـدر مني، أنـا فقـط كنـت متوتـرًا بعـض الـشيء هـذا اليـوم، اشـتقت إليـكِ. لا عليـك جونسـون، أردت فقـط أن تعلـم أننـي أهتـم لأمـرك عندمـا سـألتك أيـن ذهبـت؟.. حسـنًا جـين، هـذه زجاجـة عطـر، أريـد أن أعـرف كـم هـي جميلـة عندمـا يختلـط العطـر برائحـة جسـدك. جونسـون اشـتقت إليـك. جـين أنـا التقيـت مـاري اليـوم. حقًّـا! أيـن وكيـف حـدث ذلـك؟.. كانـت هنـا وتركـت ورقـة مـع لـورا كتبـت فيهـا أنهـا تريـد رؤيتـي وتركـت رقـم هاتفهـا والتقينـا بالمقهـى المجـاور لمتجـر الياهـودي. عـن مـاذا تحدثتـم أخـبرني؟.. قالـت إنهـا تريـد تهنئتـي فقـط بالإنجـازات التـي حققتهـا ثـم بعدهـا انصرفـت ووعدتنـي بلقـاء آخـر عـما قريـب. جونسـون هـي تريـد أن تتأكـد أن ذاكرتـك لم تعُـد لـك كـما أخبرتـك مـن قبـل، لذلـك لا تهتـم لرؤيتهـا. أنـا غـير مهتـم، أردت فقـط إخبـارك بالأمـر لأنـكِ تعلمـين كل أسراري مـع مـاري. أنـا أحبـك حقًّـا جونسـون.

الجزء الخامس

(ماري)

بعد عودتنا من الكنيسة أنا والعم سام كان هنا أحد المحققين يقف أمام منزلنا يقوم بالطرق على الباب، قال له العم سام هل هناك خطب ما فحدّثه أن هناك سيدة تُدعى لوجينا ديران جاءت إلى مركز الشرطة وقالت إنها حصلت على أوراق السيدة ماري، كانت قد أضاعتها عندما سقطت في المستشفى لكنها احتفظت بها حتى تسلّمها للشرطة وجئت إلى هنا لأبحث عن الآنسة ماري. أخبرته أنني ماري وهذه هي أوراقي ودعوته لاحتساء القهوة معنا لكنه رفض وقال سوف أعود إلى عملي. ابتسم العم سام وقال هذا أمر جيد، فقد بحثتُ عن أوراقك ولم أجدها.

دخلنا إلى المنزل، كان الطقس دافئًا بعض الشيء، جلست إلى جوار نافذتي من جديد أراقب شعاع الشمس وأفكر في عودة جونسون، فيما جلس العم سام على كرسيه من جديد يتصفح الجريدة، بعد ذلك بدقائق رن الهاتف قام العم سام من على كرسيه ببطء شديد وأمسك سماعة الهاتف ويديه ترتعش وأنا أقف على السلم الخشبي أنظر إليه.. ثم قال: حسنًا حسنًا، أنا قادم. ذهبتُ إليه مسرعة وأخبرته أين ستذهب؟.. قال: أحدهم شاهد جونسون عند الميناء وأخبر مركز الشرطة وأنا الآن ذاهب حتى ألتقي به. حسنًا سوف أذهب معك. حسنًا لنذهب، لكن لا أريدك أن تتحدثي مع المحققين، فقط انتظري حتى نعلم ماذا حدث. حسنًا عم سام، لكن بعد ذلك سنذهب إلى الميناء نبحث

عـن جونسـون. لنسـتمع أولًا لـرأي رجـال الشرطـة ثـم نقـرر حينئـذ مـاذا سـوف نفعـل، هدئـي مـن روعـك يـا ابنتـي. حسـنًا حسـنًا، لكـن علينـا البحـث عنـه في كل الأحـوال.

***

ذهبـتُ أنـا والعـم سـام إلى مركـز الشرطـة، كان هنـاك رجـل كبير في العمـر يجلـس مـع أحـد رجـال الشرطـة، عنـد سـؤاله عـن جونسـون قـام بوصفـه وصفًـا دقيقًـا، كانـت دقـات قلبـي تتسـارع والرجـل يتحـدث عنـه. عندهـا سـأل رجـال الشرطـة هـل هـذه مواصفـات الشـاب الـذي تبحثـون عنـه فسـارعت بالـرد «نعـم»، نظـر إلي الرجـل الـذي يبـدو كأنـه يبلـغ مـن العمـر سـبعين عامًـا أو أكثـر وقـال متسـائلًا: أنـتِ مـاري؟.. نعـم أنـا مـاري. لقـد سـأل عنـكِ الشـاب، كان لا يسـتطيع التحـدث ويتمتـم بكلـمات غـير مفهومـة، لم أسـتطع أن أفهـم سـوى أنـه يريـد رؤيتـك، اعثـري عليـه يـا ابنتـي، يبـدو أنـه لا يعلـم شـيئًا عـن نفسـه أو عـن قسـوة العـالم. حسـنًا هـذا مـا جئـت لأجلـه، بـكل تأكيـد سـوف أعثـر عليـه.

نظـر العـم سـام إلى الشرطـي وسـأله مـا الـذي سـوف نفعلـه الآن؟ أخـبره الشرطـي أننـا يمكـن أن نذهـب معهـم للبحـث عنـه وهـذا سـيكون أفضـل حـل لكـي نعثـر عليـه سريعًـا. وافقنـا عـلى الأمـر وذهبنـا في سـيارة الشرطـة للبحـث عنـه في الميـنـاء أو بجوارهـا. عنـد وصولنـا سـأل المحققـون العديـد مـن النـاس في محيـط المينـاء عـن مـا إن كان أحدهـم شـاهد شـابًّا بهـذه المواصفـات، حتـى أخبرنـا أحدهـم أنـه كان عـلى أحـد السـفن التابعـة لقـوات الحلفـاء لكـن هـذه السـفينة انتهـت مـن أعـمال الصيانـة وذهبـت. ظلـت سـيارة الشرطـة تجـوب

الميناء وما حولها حتى انقطع الأمل وأخبرنا الشرطي أنه من المرجح أن يكون ذهب مع السفينة التي كان عليها، وبناء عليه فإن ملف العثور على جونسون أغلق إلى هنا. كانت دموعي لا تتوقف، والعم سام يحاول تهدئتي لكن بدون فائدة.. لماذا ذهبت يا جونسون؟ لماذا لم تنتظرني؟ هنا حيث ميناء لوس أنجلوس آخر أرض كان يمشي عليها، هنا آخر مكان شاهد وجه جونسون، انقطع الأمل وأنفاسي ورؤيتي للمستقبل وكل شيء.

كانت عودة مؤلمة إلى المنزل، جلستُ لساعات وساعات أنظر إلى السماء من خلال نافذتي، كان العم سام يجلس على كرسيه الخشبي كعادته يدخن بشراهة دون أن يفعل أي شيء، كانت نظراته تعبر عن اليأس أيضًا، لم يتفوه بأي كلمة، ساعات وساعات أنظر إلى السماء حتى إنني لم ألاحظ أن المساء قد حل وعمّ الظلام على أرجاء الحي.. طرق العم سام باب غرفتي وجلس بجواري وقال: «كل شيء مقدر يا ابنتي». نظرتُ إليه ولم أتفوه بأي كلمة ثم أردف قائلًا: تحدثت معي العمة ماجدولين وهي تريدنا أن نذهب إليها حتى تستقر الأوضاع هنا، فما رأيك؟.. كما تريد عم سام، لم أعد في حاجة للتواجد هنا. حسنًا يا ابنتي سوف أقوم بترتيب أمر السفر، غدًا سأذهب لحجز أقرب رحلة إلى فرنسا، ماري أريدك أن تتحلي بالقوة، الجميع فقد شخصًا عزيزًا عليه، لا أريد أن ترى ماجدولين ابنة أخيها بهذا الحزن، سنغادر في أقرب وقت، احتفظي بما شئتي من الذكريات لكن لا تجعليها تقتلك يا ابنتي، كل هذا سيمضي. حسنًا عم سام، أنا بخير. أتمنى ذلك ابنتي وأتمنى لكِ نومًا هادئًا أيضًا.

السابع والعشرون من نوفمبر

لقد مضى ثلاثة أيام على رحيل جونسون. قام العم سام بتجهيز كل شيء للسفر، الجميع يشعر بالسعادة عندما يتعلق الأمر بالسفر، لا سيما إن كان ذاهبًا إلى فرنسا، لكن كل لحظة تُقرّبني من ترك لوس أنجلوس، كل لحظة تقربني من البعد عن سبرينج، كل لحظة تجعلني أتخلى عن ذكرياتي هنا تقتلني.. لقد مضى ثلاثة أيام وعيناي لا تجفّ من البكاء لكن كما قال العم سام كل شيء مقدّر.

طرق العم سام الباب مجددًا وأخبرني أن علينا تجهيز الحقائب فنحن سوف نغادر بعد ساعات من الآن، كانت الساعة السابعة صباحًا، لم أرِد أن أصطحب معي أي شيء سوى أغراض إيزابيل واللوحات التي رسمها جونسون والمراسلات التي بيننا والزهور التي ذبلت وكل ما هو متعلق بذكرياتي التي سأتخلى عنها وأتخلى عن وعدي لجونسون أنني سأنتظر عودته.

أخبرت العم سام أن حقائبي أصبحت جاهزة، فقال سنغادر لوس أنجلوس الساعة الحادية عشر ومنه إلى نيويورك ثم نتوجه من مطار نيويورك إلى باريس، ثم جلس مجددًا على كرسيه الخشبي لكنه لا يُدخّن كأنه يفكر في أمر ما، فنظرتُ إليه وسألته: عم سام، في ماذا تفكر؟.. لا شيء ماري، فقط أمر السفر. هل كل شيء على ما يرام؟.. نعم عزيزتي، أريدك أن تتوقفي عن البكاء قليلًا، لا أريد أن تراكِ عمتك ماجدولين بهذا

الشـكل. سـأحاول عـم سـام. والآن يـا ابنتـي لنغـادر. حسـنًا، لكـن متـى سـوف نعـود؟.. عندمـا تسـتقر الأوضـاع هنـا مـاري.

***

الثامن والعشرون من نوفمبر

كانـت رحلـة طويلـة وشـاقة، لقـد قطعنـا الكثـير مـن الطـرق بالسـيارة حتـى نصـل إلى مطـار نيويـورك، صعدنـا إلى الطائـرة، الأجـواء كانـت ضبابيـة، كنـتُ أنظـر إلى لـوس أنجلـوس مـن السـماء كأن عينـي لا تشـاهد سـوى الطرقـات التـي سِرنـا فيهـا... منزلنـا، مستشـفى سـبرينج، المقاهـي التـي جلسـنا فيهـا سـويًّا، حتـى بائعـي الحلـوى والكتـب والدخـان.. رأيـتُ كل شيء للمـرة الأخـيرة، كانـت الأمـور تصغـر أمـام عينـي مـن نافـذة الطائـرة لكنهـا تكـبر داخـل قلبـي مـع تسـارع نبضاتـه، شـعرتُ مجـددًا أننـي أريـد البـكاء فأمسـك العـم السـام بيـدي وشـدّ عليهـا وقـال: سـتكوني بخـير يـا ابنتـي، كـما أخبرتـك كل ذلـك سـيمضي. لم أشـعر بعدهـا سـوى بالعـم سـام يتحـدث إلي مجـددًا قائـلًا: لقـد وصلنـا مطـار باريـس يـا ابنتـي. نظـرتُ إليـه مسـتغربة، قـال: ألم أخـبرك أن كل ذلـك سـيمضي، لقـد مضـت السـاعات سريعًـا ونحـن الآن في باريـس، دقائـق وتهبـط الطائـرة.

***

كانـت العمـة ماجدولـين تنتظرنـا في صالـة الوصـول، مـا زالـت ترتـدي الأسـود منـذ أن مـات زوجهـا، حتـى ابنهـا الدكتـور ليـون يرتـدي الأسـود، كانـت توبّخـه كعادتهـا لأنـه أهمـل أن يسـأل موظـف المطـار عـن الموعـد الدقيـق لوصـول طائرتنـا.. بعـد دقائـق مـن

توبيخها له وضع العم سام يده على كتفها وقال: لا لم تتغيري أبدًا ماجدولين. فصاحت: أووه! سام أشكر الرب أنكم بخير. ثم عانقتني بشدة وقالت: ابنتي ماري، لقد اشتقتُ إليكِ، كل شيء سوف يكون على ما يرام يا ابنتي. كانت تعانقني بحرارة كبيرة وتحاول أن تسيطر على نفسها حتى لا تبكي، لكن محاولتها فشلت عندما أخبرتها أن إيزابيل كانت تحدثني عنها كثيرًا طوال السنوات الماضية، عندها انفجرت في البكاء وقالت: لتخلد روحها في سلام، كنتُ أحب إيزابيل أكثر من أبيكِ الذي هو أخي. ثم أشارت إلى ليون أن يحمل الحقائب إلى السيارة الذي كان يبدو عليه الامتعاض لكن لم يتفوه بأي كلمة، ثم قالت لسام أن يجلس إلى جوار ليون في السيارة فهي تريد أن تظل بجواري طوال الوقت، لم يكن الطريق طويلًا إلى «حي دارنسي» الذي تسكن به العمة ماجدولين، فهو قريب من المطار لكنه من أبرد الأماكن، كنتُ أرتعش طوال الطريق، لكن لم تنتبه العمة ماجدولين حتى خرجنا من السيارة، كدتُ أموت من برودة الطقس فأشارت إلى ليون وأخبرته أننا سندخل إلى المنزل سريعًا وعليه أن يأتي هو والعم سام بالحقائب، قالت ذلك في عجالة ثم عمّ الصمت لحظات فصرختُ في وجهه: ألا تستوعب ما قلت؟! ماري ترتعش من البرد، تحرك أيها الأحمق. فأخذ يتذمر ويلقي بالحقائب من السيارة فيما وقف العم سام يضحك وقال له: يا عزيزي، هي تفعل ذلك منذ أن كنت أنت طفلًا في بطنها، فقد كانت تقول تحرك يا ليون، لماذا لا تريد أن تتحرك في رحمي؟ لا عليك. عندها قامت العمة ماجدولين بفتح باب المنزل وقالت:

سأشعل لكِ المدفأة. كعادة عائلة والدي لديهم، ذوق رفيع في اختيار أساس المنزل، فهنا في منزل ماجدولين كل قطعة أثاث قامت باختيارها بعناية شديدة، لقد تغلّب اللون البني على المنزل حتى يعطي شعورًا بالدفء، حتى قطع الأثاث كانت مرصعة باللون البني وصُنعت جميعًا من خشب ناعم الملمس، غرفة الاستقبال تبدو صغيرة لكن يوجد بها كل القطع اللازمة للعيش، طاولة طعام حولها ٦ كراسٍ ومنضدة للجلوس، والمدفأة والسلم الخشبي وبعض زجاجات الخمر والكؤوس معلقة على الحائط في تجويف بسيط حوله بعض الضوء الخافت.. كل شيء هنا يعطيك شعورًا بالدفء والطمأنينة.

ماجدولين بالرغم من قسوتها إلى أنها تمتلك قلبًا يفيض حبًّا للجميع، لقد أخبرني أبي أنها كانت بمثابة أم له ليست فقط شقيقته الكبرى.. دخل ليون إلى المنزل وهو يحمل الحقائب وقال: ماجدولين، أين أضع الحقائب؟.. فقالت: ليون، أرجوك فكّر قليلًا، أين سوف تضعها بحق الجحيم! بالتأكيد في الطابق العلوي. فذهب وهو يتمتم ببعض الكلمات وأخذ العم سام يضحك من جديد.

أشارت إلي العمة ماجدولين وقالت: ماري، لنذهب إلى الأعلى، أريدك أن تتعرفي على منزلي الصغير. فصعدنا سويًّا إلى الأعلى، كانت تُعلّق الكثير من اللوحات، توقفتُ أمام لوحة فسألتها: مَن رسم هذه اللوحة؟.. عمّ الصمت للحظات فقالت: هذه اللوحة يا عزيزتي أهدتها لي إيزابيل وقالت: لقد رسمها شاب موهوب يدعى جونسون.

لم أتمالك دموعي وبكيت حتى احتضنتني ماجدولين من جديد، كأن القدر مُصرّ أن يجعلني أتذكر الألم في كل لحظة حتى وإن غادرت لوس أنجلوس. قالت ماجدولين: سأتركك حتى تستريحي بعض الوقت حتى أقوم بإعداد العشاء.

***

لم أشعر بأي شيء سوى ليون يقف أمامي لا يتفوّه بأي كلمة وينظر إلي، كنتُ مستلقية في فراشي فنظرتُ إليه لبعض الوقت وقلتُ له: ليون، هل هناك خطب ما؟ فتحدث وقد بدا عليه التوتر وقال: نعم، ماجدولين قامت بإعداد العشاء ونحن في انتظارك.. ثم انصرف مسرعًا. كان تصرفه غريبًا! تركتُ فراشي وقمتُ بارتداء بعض الملابس بشكل أدق، الكثير من الملابس لأن الطقس كان باردًا جدًّا، كانت هذه الغرفة في الأساس مخصصة لتخزين أدوات الصيد، فزوج العمة ماجدولين كان مولع بالصيد لذلك لم يهتم بشكلها، لكن ماجدولين قامت بتجميلها ببعض الزهور وقامت بتنظيفها بشكل جيد لكن ما زالت غير جميلة.. ألوان رمادية وقطع أثاث قديمة كأنها غرفة لسجين في سجن إنجليزي.

قمتُ بالنزول على السلم الخشبي، كانت المدفأة تعمل في الأسفل، لقد شعرتُ ببعض الدفء، وقفتُ قليلًا أنظر أين مائدة الطعام فقالت ماجدولين ماري نحن هنا إلى جانب السلم الخشبي، ذهبت في اتجاه صوتها حتى رأيت ماجدولين تجلس على رأس المائدة ويجلس في الجهة المقابلة العم سام وبجواره ليون. الجميع ينظر إلي وأنا أنظر إلى كل شيء حولهم، لقد كان مكانًا

دافئًا جدًّا بجانب المدفأة، وشجرة عيد الميلاد قديمة ولوحات على الحائط خلف مائدة الطعام وأضواء خافتة.. لم يكن المكان حول مائدة الطعام كبيرًا، فهو جزء صغير جدًّا بجانب السلم الخشبي، قد يبدو أسفل السلم. قالت ماجدولين بنبرة صوت مرتفعة متوجهة بالحديث إلى ليون: تحرك يا ليون من مكانك حتى تمر ماري إلى جواري، تحرك مسرعًا لا تنظر إلي دون التفوّه بكلمة.

بعد لحظات استوعب ليون ما تقول فقام من مكانه حتى أستطيع المرور والوصول إلى ماجدولين، جلست بجوارها فقامت على الفور بإمساك يدي لكي تتلو صلاتها قبل الطعام، كانت المرة الأولى التي أفعل فيها هذا الأمر، لقد تمتمتُ بكلمات من الكتاب المقدس ثم تضرّعت إلى الرب حتى يعود جون إلي، حتى إنني سمعتُ قرقعة المعالق في أطباقهم وأنا ما زلت أتلو صلاتي حتى وضعت ماجدولين يدها على شعري فتوقفت ونظرت إليهم فقالت: لنأكل ماري.

كما وصفها العم سام، ماجدولين أفضل مَن يطهو الطعام. لم نتبادل الكثير من الأحاديث على مائدة الطعام، كانت ماجدولين تنظر إلى العم سام وتبتسم ابتسامة ليس لها معنى وبدون سبب، كان يبتسم لها بالطريقة نفسها، لم يمضِ وقت طويل حتى قالت ماجدولين أنها ستذهب للأعلى بصحبة العم سام ليقوموا بالحديث عن ذكريات الماضي.

كنت مدركة ما يحدث جيدًا لكنه ليس الوقت المناسب لمثل هذه الأفعال، فجلست أمام المدفأة وكان ليون ما زال يجلس على

المائـدة، ظـلّ الوضـع هكـذا لسـاعات حتـى اعتقـدتُ أنـه قـد ذهـب لكــن مــا إن أدرت وجهــي حتــى رأيتــه مــا زال يجلــس دون التفــوّه بكلمـة فقلـت لـه: ليـون، ألا تشـعر بالـبرد؟ فقـال: نعـم أشـعر بالـبرد لكـن اعتـدتُ عـلى هـذا الطقـس. إذن لمـاذا لا تجلـس أمـام المدفـأة؟.. قالـت ماجدولـين عـلي ألا أزعجـك بـأي طريقـة. ليـون لـن أصـاب بـأذى عندمـا تجلـس بجـواري أمـام المدفـأة. حسـنًا. ألا تريـد أن تقـول شـيئًا؟.. نعـم نعـم، كنـت أنتظـر قدومـك. لمـاذا؟.. لا أعلـم، كنـتُ قلقًـا بشـأنك فقـط. ليـون لمـاذا تبـدو مرتبـكًا؟.. لا أنـا بخـير. أنــا أعلــم كــم أنــت خجــول وهــذا أمــر جيــد لكــن ليــس بالنســبة لشــاب في عمــرك لا ســيما إن كان طبيبًــا، كيــف تناقــش المــرضى وأنــت خجــول لهــذه الدرجــة؟!.. الأمــر يختلــف مــع المــرضى. اشرح لي كيـف ليـون؟.. هـذا عمـلي في كل الأحـوال. ألا تجـد الأمـر غريبًـا عندمــا تكــون طبيــب أمــراض تناســلية وخجــول!.. أنــا فقــط أبــدو متوتـرًا عندمـا أتحـدث معـك لكـن أنـا لسـت خجـولًا، هـل فهمـتِ مــاري؟.. كلا لم أفهــم، اشرح أكثــر. لقــد أجــرى العــم ســام اتصــالًا مــع ماجدولــين قبــل أن تــأتي إلى فرنســا وشرح لهــا كل شيء والأمــر الــذي تمرّيــن بــه. أمــر مــاذا؟.. أمــر جونســون. مــاري أنــا لا أكــترث ســوى لمــا تشــعرين بــه، هــل تذكريــن العطلــة الصيفيــة التــي قمنــا بهــا؟ هــل تذكريــن مــاري؟.. نعــم أذكــر كان ذلــك قبــل خمســة عــشر عامًــا، هــل تذكــر أن ماجدولــين صفعتــك عــلى وجهــك عندمــا أردت تقبيــلي؟.. نعــم أذكــر، منــذ ذلــك الحــين أتلقــى الصفعــات الواحــدة تلــو الأخــرى، لم أرِد أن أكــون طبيبًــا، لم أحــب مظهــري وملابــسي، لم أقُــم باختيــار أي شيء عــلى الإطــلاق، ماجدولــين تقــرر دائــمًا ولم نتفــق

أبـدًا. ليـون هـذا أمـر طبيعـي. حسـنًا مـاري، سـوف أذهـب للنـوم، لـدي عمـل شـاق غـدًا. حسـنًا، طابـت ليلتـك.

يبـدو الأمـر معقـدًا.. ليـون تحـدث بغضـب نابـع مـن تراكـم لمواقـف عديـدة حدثـت مـن قبـل لكنـه ليـس خجـولًا كـما ذكـر، كل مـا في الأمـر أنـه قليـل الـكلام، كـما أنـه صرح عـن مشـاعره بشـكل غـير مبـاشر، أراد أن يقـول شـيئًا مـا بداخلـه.

أول ليلـة في باريـس.. المزيـد مـن المتاعـب، أخـبرني العـم سـام أنهـا ليسـت لـوس أنجلـوس، كـما أنـه أخـبرني أن عـلي أن أحـاول نسـيان جونسـون وأتوقـف عـن التفكـير في الأمـر، أردت ذلـك لكـن قلبـي لا يريـد، لعلهـا بدايـة جديـدة لحيـاتي في باريـس. الطقـس بـارد جـدًّا، لا حـلّ سـوى الذهـاب إلى الفـراش.

الثلاثون من نوفمبر

استيقظتُ على صوت ماجدولين؛ فصوتها مرتفع طوال الوقت، كانت تقول ماري إنها السابعة صباحًا، هيا يا عزيزتي، لقد قمتُ بإعداد القهوة وأنتظرك في الأسفل أمام المدفأة. نزلت إلى الأسفل، كان الجميع ينتظرني كما العادة، جلستُ على مقعدي، أخذت ماجدولين تتلو صلاتها حتى انتهت وقدمت لي القهوة وقطعة من المخبوزات الفرنسية، كان ليون يجلس كعادته لا يتحدث، يرتدي بدلة العمل ويحمل بعض الأوراق والمعطف الأبيض، يبدو أكثر أناقة اليوم، حتى رائحة عطره كانت مميزة.. شربت أول رشفة من القهوة، كانت بدون سكر، فظهر على وجهي علامات الامتعاض، قالت ماجدولين: ماذا حدث؟ أخبرتها أن القهوة بدون سكر فقالت: يبدو أنه فنجان ليون، لم أنتبه، اعطِه له. فقمنا باستبدال الفناجين ثم نظرتُ إليه وسألته لماذا تشرب قهوتك بدون سكر؟ فقال: السكر يسبب أغلب الأمراض، سوف أذهب للعمل. كان يظهر عليه أنه لم يكترث لسؤالي وأن هذا ليس السبب الحقيقي، ثم ذهب مسرعًا قبل أن أناقشه في الأمر لكنه توقف قليلًا خلف النافذة الزجاجية للمنزل لينظر إلي، كنت أعلم أنه يفعل ذلك لكن دون أن يلاحظ، وقف لبضع دقائق ثم ذهب.

قالت ماجدولين إن ليون دائمًا يشرب القهوة بدون سكر، يعتقد

أن النـاس يموتـون بالسـكر، كأنـه لا يعلـم أن هنـاك حربًـا عالميـة تقتل الآلاف كل يـوم. ابتسـم العـم سـام وقـال هـذا ليـس شـأنه أنـه طبيـب يعلـم مـاذا يقـول، توقفـي عـن إحباطـه ماجـي. لم تـرد عليـه وذهبـت وهـي تحمـل بعـض الأطبـاق ثـم توجـه بالحديـث إلي قائـلًا: كيـف كانـت ليلتـك مـاري؟.. ليلـة بـاردة مثـل ليـالي نوفمـبر التـي مضـت. هـل تحدثتـي مـع ليـون؟.. نعـم تحدثنـا بالأمـس، ألم تـرِد ذلـك، لا أعلـم بـماذا تفكـر؟ لكـن أعلـم أنـك انصرفـت مـع ماجدولـين كـي أتحـدث مـع ليـون. مـاري أنـتِ تعلمـين، لا أفـرض عليـكِ شـيئًا. أعلـم عمـي سـام لكـن مـا زال الوقـت مبكـرًا. حسـنًا يـا ابنتـي لا أتمنـى سـوى أن تكـوني بخـير.

الجزء السادس

(جونسون)

الثاني من يناير

كانت ليلة أخرى لكي أقوم بإصلاح علاقتي مع جين، استيقظت أم تكون في فراشي؟ غادرت غرفتي قبل أن أستيقظ حتى تعود للعمل في الريسبشن بعدما قامت بتركه بالأمس.

يوم بارد جديد، النافذة تفوح منها رائحة العطر باستمرار وهذا يجعلني أتركها مفتوحه لكن ليس في يناير مع هذا البرد القارص. ارتديت ملابسي ثم قمت بمراجعة الأدوية التي من شأنها أن تعيد لي ذاكرتي تدريجيًّا ثم توجهت إلى الريسبشن كما فعلت في السنوات التي مضت، كانت جين تجلس على الكرسي الخشبي الذي ظننت أنها ابتعدت عنه إلى الأبد، وكان فلويد كعادته مصفف شعره يقوم بوضع الكؤوس في أماكنها، جلست أمامه فقال في صوت منخفض: «هل أحضر لك القهوة؟». أخبرته أن لا يسألني مرة أخرى عن هذا الأمر لكن يكتفي بجلب فنجان به ماء، عندها قمتُ بأخذ جرعة الدواء وتظاهرت كأنني أحتسي القهوة ثم نظرتُ إلى جين، كانت تتحدث مع أحد النزلاء حتى انتهت، ذهبتُ إليها كانت تبتسم وتنظر إلي في إعجاب كبير وقالت: إلى أين وجهتك اليوم جون؟ أخبرتها لدي بعض الأعمال علي القيام بها، قالت تصحبك السلامة، ثم انصرفتُ متوجهًا إلى المقهى المجاور، احتسيتُ القهوة ثم تحدثت مع لورا عبر هاتف المقهى لكي نلتقي، كانت مستيقظة تنتظر اتصالي كعادتها، أحببت رؤيتها كل صباح وصوتها وابتسامتها

وهـذا أمـر لا يحـدث كثـيرًا أن أحـب رؤيـة أحدهـم عنـد الصبـاح. قالـت إنهـا سـتصل في أقـرب وقـت، انتظرتهـا بعـض الوقـت حتـى جـاءت؛ ترتـدي فسـتانها الأحمـر، تسـير في هـدوء كعادتهـا معلقـة في رقبتهـا قـلادة ذهبيـة، كعادتهـا جلسـت أمامـي وابتسـمت دون أن تتفـوّه بكلمـة، قالـت: كيـف حالـك اليـوم سـيد جونسـون؟ أردتُ أن أخبرهـا أنـه الصبـاح الوحيـد الـذي يضمـد جراحـي بعـد السـبع سـنوات لكـن أخبرتهـا أنـني بخـير وعـمّ الصمـت للحظـات فقالـت: مـا هـي الخطـة اليـوم؟.. لا أعلـم، أردت فقـط رؤيتـك. حسـنًا سـيد جونسـون، أنـا هنـا الآن، مـاذا تحـب أن تخـبرني؟.. القـلادة.. أي قـلادة سـيد جونسـون؟.. القـلادة التـي في رقبتـك أردت أن أعـبّر عـن إعجـابي بهـا عـدة مـرات لكـن كان هنـاك شـئ يمنعنـي. إنهـا هديـة مـن والـدتي وهـي بالطبـع مميـزة بالنسـبة لي. حسـنًا لـورا، اليـوم سـنذهب لرئيـس شرطـة لـوس أنجلـوس لكـي أعطيـه الصـورة التـي قمـتُ برسـمها لمـاري بالأمـس، لكـن قبـل هـذه الخطـوة سـوف نذهـب للسـيدة دوونـا أرملـة السـيد أليكـس لكـي أسـألها مـا إن كانـت تعلـم بشـأن الأوراق التـي كتبهـا قبـل موتـه. هـذه خطـوة جيـدة، لنذهـب.

***

وصلنـا إلى منـزل السـيد أليكـس، كانـت هنـاك فتـاة تقـف أمـام بـاب المنـزل فأخبرتهـا: هـل سـيدة دوونـا في الداخـل؟.. نعـم يـا سـيدي، هـي في الداخـل، هـل أخدمـك في شيء؟.. لا، أخبريهـا فقـط أن السـيد جونسـون يـودّ رؤيتهـا. حسـنًا تفضّـل بالدخول سـأخبرها. مرحبًـا سـيدة دوونـا، كيـف حالـك؟.. أنـا بخـير سـيد جونسـون،

لقد مرّ وقت طويل لم أرَك. نعم صحيح، منذ أربعة أشهر عندما قُمنا بإبرام عقد بيع الفندق. نعم صحيح. أُقدّم لكِ لورا، تعمل معنا في الفندق. تشرفتُ بكِ آنسه لورا. أخبرني سيد جونسون، ما سر الزيارة؟ هل هناك خطب ما بشأن الفندق؟.. لا يا سيدتي أردت أن أسأل فقط عن أمر ما. وما هو؟.. علمت أن السيد أليكس كان قد كتب بعض الأوراق عن الماضي الخاص بي فأردتُ أن أسألك عن ما إذا كان لديكِ علم بهذا الأمر؟.. نعم صحيح هذا حدث، لكن أليكس كان لا يُجيد الكتابة كما تعلم، لذلك كنتُ أكتب له كل ليلة ما يخبرني به، انتظر قليلًا لقد وضع الأوراق في خزانته. أووه حسنًا. هذه هي الأوراق سيد جونسون، المعذرة، إن فاجعة موت أليكس جلعتني أنسى أمر الورق. لقد كتب أليكس كل شيء بشأن حياتك السابقة لكن مَن أخبرك عن الأمر؟! لقد كان سرًّا بيننا. أخبرتني جين بالأمر، لا بد أنها كانت على علم به. حسنًا، أتمنى أن لا تفقد عزيزًا مرة أخرى سيد جونسون، أنت تستحق ما وصلت إليه لكن تمسّك به حتى لا تفقده، لا تنظر خلفك، ما مضى فهو ماضي. أنا ممتن لك جدًّا سيدة دوونا وأتمنى أن تنعم روح أليكس في السماء، يمكنني رؤيتك عما قريب في الفندق فهو كان وما زال الصّرح الذي شيّده السيد أليكس. هذا كرم منك سيد جونسون، بالتأكيد سوف نلتقي هناك يومًا ما. حسنًا، لدي بعض الأعمال لأقوم بها، لذلك سأنصرف الآن. حسنًا، فرصة سعيدة آنسة لورا. ممتنة لكِ سيدتي.

.***

سيد جونسون لم أعد أفهم شيئًا.. عندما نقرأ الأوراق لورا سوف نعلم كل شيء، يبدو أن جين قامت بكتابة الأوراق التي قدمتها لي بناءً على ما روى لها أليكس، كأنه كان يريد أن يكون أحدهم على علم بالأمر غيره هو وزوجته، بعد ذلك يمكننا عمل مقارنة وسيتضح الأمر لنا. حسنًا أين سوف نذهب الآن؟.. إلى المقهى لورا من جديد، نحن بحاجة لقسط من الراحة والتركيز والمزيد من القهوة، كما شاهدتي لم تقدم السيدة دوونا لنا أي شيء سوى الأوراق. نعم لاحظتُ الأمر، إنها كاثوليكية فهم لا يقدمون الطعام والشراب بعد فقدان عزيزهم إلا بعد مضي سنة على موته. أنا أبغض هذه التعاليم، لا تُذكريني بها. حسنًا حسنًا سيد جونسون، ها قد وصلنا للمقهى، لنقرأ أوراق أليكس وسأقوم بتدوين الاختلاف بين أوراقه وأوراق جين. كل شيء متطابق تقريبًا عدا هذه الفقرة. دوّنيها لورا. حسنًا سيد جونسون، اقرأها بصوت مرتفع.

***

عندما وقع الحادث في مستشفى سبرينج سقطت الأوراق من ماري وقامت إحدى الممرضات بالاحتفاظ بها حتى سلّمتها للشرطة بعد ذلك بإيام ثم عملتُ أن ماري غادرت لوس أنجلوس ولكن لم أعلم إلى أين ذهبت حتى الآن؟

***

ماذا يعني ذلك سيد جونسون؟.. يعني أن جين اختلقت قصة لوجينا ديران الممرضة، فهي حسب ما ذكره أليكس بريئة من انتحال صفة ماري، لقد أعادت الأوراق إلى الشرطة التي بدورها

سلّمتها لماري بالتأكيد قبل أن تغادر لوس أنجلوس، هذه هي الحلقة المفقودة لورا، إذن هنا لا بد أن نتساءل من الذي قتل أليكس؟.. بالتأكيد جين أو الفتاة المجهولة التي تأتي إلى الفندق منتحلة شخصية ماري، لكن السؤال الأهم الآن: ما دوافع جين لفعل كل ذلك؟.. علينا أن نتوجه إلى رئيس شرطة لوس أنجلوس على الفور، لا بد أن نعلم هوية الفتاة المجهولة التي تأتي إلى الفندق بعدها نتفرغ لجين.

***

بماذا تفكر الآن سيد جونسون؟.. بدون سيد لورا. حسنًا جونسون، لماذا تصمت أغلب الوقت؟.. يبدو أنني كنت بائسًا إلى حد كبير، لم يذكر أليكس أنه كان لي صديق أو رفيق درب يبدو أنه لم يتغير شيء عن السابق، كل ما حدث هو أن مكاني تغيّر، لكن ما زلت وحيدًا، عن ماذا أبحث بحق الجحيم؟ عن فتاة لا أظن أنها تبحث عني؟! أليس هذا غباء لورا؟ بمفردي الآن وكنت كذلك في السابق، ويبدو أن هذا سوف يستمر، كل الطرق تؤدي إلى الظل الأسود أو الرمادي، لا جانب مشرق في حياتي حتى الألوان باهتة في عيني، هي فقط مصدر لجلب المال، أنا أتذكر شيئًا فشيئًا.. كان هناك كرات ثلج في الطريق كنت أركلها، تذكرتُ هذا الأمر، يبدو أنني أتذكر طفولتي، لكن كنت أركلها بمفردي، كنت ألهو مع الثلج دون النظر حولي حتى إلى قرص الشمس الذي سيذيب الثلج وعندما ينتهي الأمر أعود إلى المنزل، لا أتذكر وجه أمي حتى الآن، لكن ما زلت أشعر بدفء صوتها وهذا الأمر الوحيد الذي أشعر به، كل

ما علمته من أوراق أليكس لم يغير شيئًا في مشاعري تجاه الماضي سوى صوت أمي، كأنني كنتُ أكره المجتمع في كل الأحوال ولا أريد أن أنتمي إليه، جونسون يعيش داخل عقل جونسون فقط. جونسون الأمر يستحق العناء، أنت الآن في فترة تعافي، لا بد أن تختلط المشاعر لديك، أمامك أسبوع لعودة ذاكرتك، لم تبقَ سوى خطوة واحدة على استرداد حقك في أن تعيش حياة طبيعية، توقف عن النظر للجانب المظلم فقط. حسنًا لورا، علينا الآن الذهاب، كم الساعة الآن؟.. إنها الثانية ظهرًا. لكنها تظهر في ساعتي الخامسة!.. جونسون لقد لاحظت أن ساعتك متوقفة دائمًا، عليك الاعتناء بها. حسنًا لنذهب.

***

ذهبتُ أنا ولورا إلى رئيس شرطة لوس أنجلوس، لم تتفوّه بكلمة طوال الطريق كانت تُحدّق بي فقط إلى أن وصلنا قالت إنها ستنتظرني في السيارة فأخبرتها أن تواجدها ضروري.. دخلنا إلى مكتب ستيوارت، كان منذ أربعة أشهر، محقق في الشرطة لكنه رجل وصولي وفاسد لذلك تمت ترقيته ليصبح مدير الشرطة في المدينة، كان غير متواجد، انتظرنا بعض الوقت، المكان هنا فوضوي، الكثير من بقايا السيجار على مكتبه وأوراق مبعثرة وخزانة أموال، أنا أقسم أن بها بعض زجاجات الخمر المسروق ولا تحتوي على أموال أو أوراق مهمة.. لم يمر الكثير من الوقت حتى جاء جلس على الكرسي أمامنا، لقد تغيّرت هيئته، أصبح فاسدًا لكن ذو منصب أعلى، السيجار لا يغادر فمه الكريه ولديه بقع سوداء حول عينيه من أثر شرب المخدر باستمرار، رحّب

بي وهـو ينظـر إلى لـورا نظـرة إعجـاب.. مرحبًـا رسّـامنا العظيـم، كيـف حالـك؟.. بخـير سـيد سـتيورات، لـورا صديقتـي. يُسـعدني التعـرّف عليـكِ سـيدتي. مـا سر الزيـارة السـعيدة سـيد جونسـون؟ قبـل أن تخـبرني نتحـسي شـيئًا نخـب رؤيتـك اليـوم. لا ليـس الآن، سـوف نحتـسي مـا تريـد لكـن بعـد أن تقـوم بتنفيـذ مـا سـوف أطلبـه منـك. حسـنًا سـيد جونسـون كـما تريـد، مـاذا تريـد أن تطلـب؟ أنـت تعلـم أنـا لا أسـتطيع أن أرفـض طلبـك. انظـر إلى هـذه الصـورة، إنهـا لفتـاة أريـد أن أعلـم مَـن هـي وأيـن تعيـش وكل شيء يتعلـق بهـا. حسـنًا سـيد جونسـون، هـل الأمـر يتعلـق بجريمـة مـا؟.. لا لا، إنـه شيء شـخصي، أريـد فقـط الوصـول إليهـا في أقـرب وقـت. حسـنًا الأمـر بسـيط، سـوف أخـبرك عـبر الهاتـف. حسـنًا، والآن سـأنصرف، يمكننـا أن نلتقـي في الفنـدق متـى أردت. حسـنًا سـيد جونسـون، أود رؤيتـك مـرة أخـرى آنسـه لـورا، سـعيد برؤيتـك. أشـكرك.

جونسـون هـل تثـق في هـذا الرجـل؟.. لا، لكـن هـي محاولـة. يبـدو أنـه يتعاطـى المخـدرات. ليـس هـذا فقـط، يتعاطـى المخـدرات ويـشرب الكثـير مـن الكحـول والتبـغ المغشـوش ولديـه عـين لا يـرى بهـا جيـدًا ويـداه ترتعـش طـوال الوقـت ولا يسـتطيع أن يقـف لفـترة طويلـة، أنـا أعـرف عنـه كل هـذه الأمـور، كـما أننـي أعلـم أنـه قـذر إلى درجـة كبـيرة لكـن هـو متقـن لعملـه. هـل تتوقـع أنـه سـيحصل عـلى معلومـات صحيحـة؟.. هـو سـيحصل عـلى معلومـات لكـن أمـر صحتهـا غـير مضمـون. إذن لمـاذا تعتمـد عليـه؟.. لأنـه الوحيـد القـادر عـلى اسـتخدام أسـاليب غـير شرعيـة للحصـول عـلى معلومـات نضطـر أحيانًـا لاسـتخدام وقاحـة البعـض للحصـول

على ما نريد. حسنًا جونسون، لكن أنا لا أثق به. لننتظر بعض الوقت، والآن هل سنعود للمقهى؟.. لا، انتهى يومنا، سأعود للفندق لكن قبل ذلك سنذهب إلى سبرينج. جونسون ليس هناك حاجة لذلك سوف أكون بخير. وأنا سوف أكون بخير عندما تصلي إلى منزلك وأنا معك. كما تريد.

***

عدتُ من سبرينج متوجهًا إلى الفندق من جديد، ليس لدي أعمال أقوم بها لكن أردت أن أكون بمفردي، كانت جين تباشر عملها في الريسبشن، لم تستوقفني ولم تتحدث معي كعادتها، حتى أنا لم أنظر لها.. صعدت إلى غرفتي فقط، أبدو مشوشًا بعض الشيء كأنه من أثر الدواء كما أخبرني الدكتور ألفريد، ما زال اليوم طويلًا وليس لدي شيء أفعله، لقد مر وقت طويل ولم أقُم برسم شيء، أحاول أن أتذكر وجه ماري، لدي بعض الصور المشوشة في ذاكرتي، الوجوه تختلط داخل عقلي، أحيانًا تبدو فتاة جميلة وأحيانًا قبيحة، لا أعلم متى يمكنني رؤيتها بشكل صحيح لكن أعلم أنها بمكان ما داخل ذاكرتي، لم تتوقف لدي آلام الرأس لكن أحاول أن أظهر أنني بخير، كنتُ على وشك أن أخبر لورا أنني سأتوقف عن تناول الدواء لكن لديها صدق يجعلني أتوقف عن قول ما أريد. توقعت أن صدقها سوف يجعلها توبخني بطريقتها المنمقة المعتادة سوف تصمت بعض الوقت ثم تقوم بتوبيخي في هدوء، وأنا أعترف أنني لا أستطيع الرد على صدقها الذي يجعلها واثقة مما تقول. يطرح علي عقلي فكرة التخلي عن كل ذلك، التوقف عن المحاولة والنظر

للمستقبل فقط، يطرح علي عقلي أفكارًا جنونية دائمًا، كان لا بد أن أقتل أليكس بيدي حتى أتخلص من هذا الهراء، كان لا بد أن أوقف هذه الحماقة، لا يهم من أين أتيت، لا يهم ما كتبه أليكس، قد يكون محض خيال، رجل في العقد الأخير من حياته، لا يهم أي شيء، قد يكون الشيطان ضاجع إحدى فتيات الليل فكانت النتيجة جونسون، قد أكون لست جونسون، حتى هذا الاسم ليس لي، عقلي يصارعني كل ليلة كأنني أنقسم؛ الرجل الخجول الذي يبكي دائمًا يرتدي ملابس ممزقة دائمًا يرتجف من الخوف ويلفّ نفسه بزراعيه، يجلس في زاوية الغرفة ويخشى التحدث إلى الرجل الغاضب، دائمًا الذي يقف أمام النافذة يدخن بشراهة ويغضبه كل ما يشاهده لا يتحدث كثيرًا، ينظر إليهم الرجل الهادئ الذي يجلس أمام لوحاته دائمًا يقوم بالرسم، يحتسي القهوة لا يكترث لأي شيء سوى الخطوط والألوان والأماكن الفارغة في لوحته.. في لحظة ما يستعيد عقلي كامل تركيزه فيعود كلّ منّا في مكانه، أعود جونسون.. والآن أيها الأحمق إلى النوم.

الثالث من يناير

ألم شـديد في رأسي، كأن أحدهـم ممسـك بمطرقـة يـضرب رأسي بهـا، حتـى إنني غـير متزن وأفقـد رؤيتـي الواضحـة للأشـياء من حـولي.. أيـن الهاتـف اللعـين؟ مرحبًـا دكتـور ألفريـد، أنـا جونسـون.. لسـت بخـير لـدي ألم في رأسي.. لا لـن أسـتطيع القـدوم اليـوم، بالـكاد أسـتطيع الوقـوف.. حسـنا أنـا في انتظـارك.

سـوف يـأتي الدكتـور ألفريـد لفحـصي لكـن لدينـا مشـكلة وهـي جـين، بالتأكيـد سـوف تسـأل مَـن يكـون ومـا علاقتـي بـه، أتمنـى أن لا تقـوم بالتحـدث معـه عندمـا يـأتي فهـي تقـوم باسـتجواب كل مـن تخـطّ قدمـاه الفنـدق، لكـن كيـف سـأقوم باسـتقباله في غرفتـي الفوضويـة، الأمـر يتطلـب الكثـير منـك عندمـا تكـون مشـهورًا لكـن هـذا لـن يحـدث، الحقيقـة أهـم بكثـير مـن مظهـري الخارجـي لذلـك سـوف أسـتقبله هنـا، عليـه أن يتقبّـل ذلـك وعـلى الجميـع أن يتقبّـل ذلـك.. مَـن عـلى البـاب؟.. جونسـون، أنـا جـين. مـاذا تريـدي بحـق الجحيـم؟.. جونسـون إن صوتـك مرتفـع، مـا الـذي يحـدث في الداخـل، لقـد أخـبرني أحـد النـزلاء أنـه سـمع صـوت ارتطـام شيء مـا بالحائـط قـادم مـن غرفتـك، هـل أنـت بخـير جـون؟.. نعـم أنـا بخـير، أنـا متوتـر فقـط. حسـنا لمـاذا تُغلـق البـاب؟.. تفضـلي بالدخـول جـين. جـون، أنـت تبـدو متعبًـا، مـا الـذي يحـدث لـك؟.. أنـا فقـط أعـاني مـن بعـض الأم في رأسي. هـل احتسـيت قهوتـك

اليـوم؟.. نعـم نعـم لقـد احتسـيتها اليـوم في المقهـى كعـادتي. حسـنا جونسـون، فقـط عليـك أن تسـتريح لبعـض الوقـت. سـأعود لمتابعـة أمـور النـزلاء. جـين سـوف يـأتي صديـق قديـم لزيـارتي اليـوم، هـو في الطريـق إلى الفنـدق الآن. حسـنًا سـوف أصطحبـه إلى غرفتـك. شـكرًا لـكِ. أتمنـى أن تكـون بخـير!

***

لم تمـضِ بضـع سـاعات حتـى حـضر الدكتـور ألفريـد، وكـما توقعـتُ، جـين تحدثـت معـه قبـل أن يصعـد إلى غرفتـي لكـن اتصلـتُ بـه قبـل أن يصـل إلى الفنـدق لأخـبره أن لا يخـبر جـين بـشيء، فقـط يخبرهـا أنـه صديـق قديـم. قـام بفحـصي وقـال إن الأعـراض التـي أعـاني منهـا هـي بسـبب انخفـاض المـادة المخـدرة في جسـمي وإن هذه الأعـراض (يقصـد آلام الـرأس) سـوف تسـتمر وتتصاعـد حدّتهـا في الأيـام القادمـة؛ لذلـك عـليّ التحمـل، وقـام بإعطائـي بعـض المهدئات ومسـكنات الألم ثـم أخـبرني أن عـلي أن أحصـل عـلى هـواء نقـي بعيـدًا عـن الفنـدق والغرفـة، ولا أعتقـد أن رائحـة الغرفـة الكريهـة هـي مـا جعلتـه يقـول ذلـك، فهـو كان يتحـدث بشـكل جـدّي عـن هـذا الأمـر، ثـم انـصرف سريعًـا، قـال إن عليـه أن ينجـز بعـض الأعـمال، أخبرتـه أننـي سـأصطحبه معـي بالسـيارة إلى عيادتـه ثـم أذهـب للشـاطئ لأحصـل عـلى هـواء نقـي، فقـال هـذه فكـرة سـديدة.

عندمـا رأتنـا جـين معًـا كنـتُ أشـعر أن الغـدة المسـؤولة عـن الفضـول لديهـا تـكاد أن تنفجـر، كـما أنهـا كانـت تريـد أن تقـول شـيئًا لكـن انصرفنـا سريعًـا.

ظـل الدكتـور ألفريـد طـوال الوقـت صامتًـا لا يتحـدث في شيء ثـم

سـألته: هـل تريـد أن تعرف مـا هي قصتـي؟.. لا يهم سـيد جونسـون، لـكل إنسـان قصتـه الخاصـة التـي لا يحـب أن يطّلـع عليهـا أحـد، مـا يهـم هـو مَـن أنـت الآن؟.. حسـنًا دكتـور ألفريـد، أنـت الشـخص الوحيـد الـذي لم يتحمـس لسـماع قصتـي. سـيد جونسـون أنـت تريـد أن يعطيـك أحدهـم إجابـات لعـدة أسـئلة تـدور في رأسـك ليـس أكثر كـما أنـك تمتلـك إجاباتـك الخاصـة لكنـك غـير مقتنـع بهـا، سـوف أسـهّل عليـك الأمـر. لـورا أخبرتنـي بـكل شيء وأنـا أرى أن ماضيـك يسـتحق هـذا العنـاء، عندمـا يتعلـق الأمـر بـالأسرة والعائلـة والفتـاة التـي تحبهـا، فهـم وطنـك الصغـير قبـل الوطـن الكبـير الـذي نعيـش فيـه وأنـا أعتقـد أنـك تُفضّـل البحـث عـن هـذا المـاضي، لكـن كـما أخبرتـك تريـد فقـط مـن يشـد عـلى يـدك لفعـل ذلـك، ولـدي قناعـة أنـه لـو كان الـرب لا يريـد أن تعلـم هـذه الحقائـق لمـا حـدث كل مـا حـدث.. انظـر حولـك، كل شيء يسـير دون تدخـل منـك، كل هـذا كان مشـيئة الـرب، لا أعلـم إن كنـتَ تؤمـن أم لا؟.. لا أؤمـن سـوى بلوحـاتي، سـوف أتـرك فرشـاتي وأقلامـي ولوحـة بيضـاء وأطلـب من الـرب أن يُرسـل أحـد ملائكتـه ليقـوم بالرسـم عنـي، إن حـدث ذلـك سـوف أؤمـن. الأمـر معقـد بالنسـبة لـك سـيد جونسـون، لـن نتناقش فيـه الآن، هـا قـد وصلنـا، عندمـا تتعـافي وتعـود إليـك ذاكرتـك سـوف أصطحبـك معـي إلى الكنيسـة لعـل وقتهـا تكـون تراجعـت عـن أفـكارك. أتمنـى لـك وقتًـا ممتعًـا دكتـور ألفريـد. وأنـا أيضًـا، إلى اللقـاء.

***

يُحدّثنـي عـن الـرب ولا يحدثنـي عـن مدينـة الملائكـة التـي دمرتهـا

الحـرب وعـن الأحيـاء التي تـم إبادتهـا وعـن آلاف الأبريـاء الذيـن قتلـوا بفعـل الجنـون الـذي خاضـه العـالم لسـنوات والـذي سـوف يتكـرر إلى مـا لا نهايـة، يحدثنـي عـن ضرورة أن تعود لي ذاكـرتي وهو لا يحـترم عقلـه الـذي يؤمـن بالخرافـات، كل شيء يسـير في اتجـاه واضح، لا يـد خفيـه تُحـرك الأحـداث، نحـن مـن نتحكـم في الأحـداث، نحـن مـن نقـرر مـاذا نفعـل؟ نحـن مـن قررنـا أن نخـوض حربًـا جنونيـة وأن نقتـل الآلاف لكـي يعيشـوا في نعيـم في الوقـت نفسـه ولا تسـأل كيـف يحـدث هـذا؟! إن سـألت أي قائـد عسـكري لمـاذا خضـت الحـرب سـوف يخبرك أنـه يريـد تحقيـق الرخـاء لوطنـه، وطنـه الـذي دمرتـه الحـرب التـي خاضهـا هـو بكامـل إرادتـه.. أليـس هـذا جنونًـا؟!

إنهـم يسـخرون مـن عقولنـا بحديثهـم عـن هـذا الهـراء، الـرب والملائكـة والكنيسـة والتـضرع والتوسـل وإشـعال الشـموع.. الشـموع التـي تمـلأ الكنائـس وهنـاك مـدن بأكملهـا مظلمـة.

وصلـتُ إلى شـاطئ لـوس أنجلـوس، كان هنـاك القليـل مـن النـاس، توقفـتُ قليـلًا لأستنشـق بعـض الهـواء النقـي، كان هنـاك رجـل في الخمسـين مـن عمـره تقريبًـا يقـوم بالتوسـل للمـارة وطلـب المـال والطعـام، جـاء بجانـب نافـذة سـيارتي وقبـل أن يتحـدث قمـتُ بإعطائـه خمسـين سـنتًا ذهبًـا مسرعًـا وقـام بـشراء بعـض الطعـام وجلـس عـلى الطريـق يأكلـه، كان يبـدو عليـه أن الجـوع يفتـك بأحشـائه، تأملـت للحظـات مـاذا لـو أن السـيد أليكس لم يكـن يمتلـك فندقًـا؟ مـاذا لـو لم نلتـقِ؟ كنـت الآن أجلـس إلى جـوار ذلـك

الرجـل نتقاسـم القليـل مـن الطعـام الـذي بالـكاد يجعلنـا عـلى قيـد الحيـاة فقـط.

كنـتُ أريـد أن أمكـث الكثـير مـن الوقـت أمـام الشـاطئ لكـن نفـد الوقـود مـن سـيارتي وعـلي الذهـاب لأقـرب محطـة لتزويـد السـيارة بالوقـود، لا أعلـم هـل الوقـود المتبقـي يجعلنـي أصـل إلى المحطـة القريبـة أم لا، لكـن الأمـر يسـتحق المحاولـة، وإذا تعقـدت الأمـور سـوف أسـتأجر تاكـسي إلى الفنـدق.

قمـتُ بسـؤال أحـد المـارة: أيـن تقـع أقـرب محطـة وقـود؟ فأخـبرني أنهـا عـلى بعـد كيلـو شرق الشـاطئ.. هـذا المكـان لم أقُـم بزيارتـه عـلى الإطـلاق. قـال إنهـا في حـي ديامونـد، لا أعلـم لمـاذا تضـع الحكومـة محطـة وقـود في هـذا الحـي الفقـير! هـذا يقـع ضمـن الحلـول العبقريـة لحكومـة الولايـات المتحـدة الأمريكيـة، أن تقـوم بإنشـاء محطـة وقـود في حـي فقـير غالبيـة سـكانه لا يملكـون سـيارات مـن الأسـاس.. حسـنًا عـلي الذهـاب في كل الأحـوال.

قمـتُ بالتوجـه شرقًـا إلى ديامونـد وبعـد معانـاة مـع الطرقـات الضيقـة والغـير مسـتوية وصلـتُ إلى محطـة وقـود ديامونـد والتـي كان بهـا زحـام ملحـوظ، فأغلـب مَـن يسـكنون في الأحيـاء المجـاورة قامـوا بالمجـيء إلى هنـا.

هنـاك فتـاة تقـوم بخدمـة الزبائـن يعمـل معهـا شـاب.. تحركـت السـيارة تلـو الأخـرى حتـى وصلـت أمـام الفتـاة، قمـتُ بفتـح النافـذة، لم تنظـر لي، قالـت أعطنـي مفتـاح السـيارة مـن فضلـك وأخـبرني كـم لـتر تريـد؟ أخبرتهـا بـما أريـد فقامـت بتوصيـل خرطـوم الوقـود بالسـيارة ثـم جـاءت إلى جـوار النافـذة تطلـب المـال، نظـرت

إليهـا وإذا بالمفاجـأة، إنهـا الفتـاة التـي تنتحـل شـخصية مـاري.. عنـد رؤيتـي لهـا ارتبكـت وأرادت الانـصراف مـن أمامـي مسرعـة لكننـي قمـتُ بفتـح بـاب السـيارة ولحقـتُ بهـا حتـى أمسـكت يدهـا وقلـت لهـا: لمـاذا انصرفتـي مـن أمامـي؟.. سـيد جونسـون، سـأشرح لـك كل شيء. لمـاذا تبديـن متوتـرة، مـا الأمـر مـاري؟.. حسـنًا، سـأخبرك لكـن انتظـرني حتـى تنتهـي سـاعات العمـل. لا لـن أنتظـرك، سـوف نذهـب الآن. حسـنًا حسـنًا سـيد جونسـون.

صعـدت إلى السـيارة، كانـت لا تريـد النظـر إلي، عـمّ الصمـت لفترة طويلـة، قمـت بإشـعال سـيجاري وعرضـت عليهـا واحـدة فقامـت بأخذهـا وإشـعالها، كانـت يدهـا ترتجـف وجبينهـا يصـبّ عرقًـا ولا تريـد النظـر إلي.

منـذ متـى تعملـين في محطـة الوقـود؟.. منـذ سـنوات. ولمـاذا تبديـن متوتـرة؟ هـل العمـل في محطـة الوقـود يسـبب الخـزي؟.. لا سـيد جونسـون. كـم هـو راتبـك مـاري؟.. أربعمائـة دولار. حسـنًا لـدي عـرض عمـل لـكِ، هـذا العـرض بأكثـر مـن ذلـك بكثـير، لكـن يتطلـب شرطًـا واحـدًا. ومـا هـو العمـل والـشرط؟.. العمـل سـوف تسـمعي مـا أقـول وتعطينـي إجابـات عليـه، والـشرط أن تكـوني صادقـة. سـيد جونسـون، أنـا لم أخطـط لـكل ذلـك. هـا قـد بـدأ العمـل. ومـن المخطـط مـاري؟.. جـين خططـت لـكل شيء، كان علينـا أن نخدعـك وكان عـلي أن أقـوم بالـدور الـذي أخبرتنـي بـه جـين حتـى أحصـل عـلى ألـف دولار، وقمـت بالـدور عـلى أكمـل وجـه وحصلـت عـلى نقـودي. حسـنًا ومـا هـو اسـمك الحقيقـي؟.. اسـمي بيرثـا. حسـنًا بيرثـا، نحـن الآن سـنتوجه إلى مركـز الشرطـة،

ستكونين قيد التحقيق ويوجه إليكِ عدة اتهامات وقد يصل الأمر إلى السجن لسنوات، يمكنك تفادي كل ذلك إذا قمتي بإخباري بكل شيء وإذا شعرتُ بشيء من الكذب أو الخداع سوف نذهب إلى مركز الشرطة لكن إن كنتي صادقة فيما تقولين سوف أقدم لكِ ألف دولار ولن نذهب إلى مركز الشرطة، هل لدينا اتفاق؟.. حسنًا سيد جونسون، لدينا اتفاق.

***

كان ذلك في الخامس عشر من أغسطس العام الذي مضى، جاء السيد أليكس إلى محطة الوقود وكان زبونًا دائمًا لدينا لكن هذه الليلة كانت مختلفة، حيث كانت معه جين في سيارته لكنها لم تذهب معه، أخبرته أنها تريد احتساء القهوة في مكان قريب من المحطة، بعدما رحل السيد أليكس بسيارته وقفت جين أمامي وقالت: هل تريدي الحصول على عمل بسيط مقابل ألف دولار؟ فأخبرتها نعم بالتأكيد، فقالت حسنًا غدًا في الساعة السابعة صباحًا سوف تأتي إلى الفندق، وقامت بإعطائي عنوان الفندق. في اليوم التالي ذهبتُ إليها كما طلبت، عندما التقيت بها قالت ما رأيك في هذا الصرح الكبير؟ أخبرتها أنه مكان مميز حقًّا لكنه بحاجة إلى بعض الاهتمام، قالت نعم لكن صاحب الفندق لا يريد الاهتمام به، فبادرت بالسؤال: ما هو العمل الذي سأقوم به؟ توقعت أنها تريد مني أن أنظّف الفندق لكنها قالت سوف أخبرك قصة وأخذت تخبرني بقصتك وقالت هناك شاب يمكث في الفندق فاقد للذاكرة، قام أليكس بتبنّيه وهو يعتزم أن يكتب هذا الفندق باسمه ويعطيه كل إرثه لأنه لا يملك ورثه.

لقد شيّدت هذا الفندق مع أليكس وقمت بالاعتناء به لسنوات وهو يريد أن يقدمه لشاب فاقد للذاكرة دون أن يبذل أقل جهد، أليس هذا غير عادل؟ هذا الشاب الذي يمكث في إحدي الغرف في الأعلى لا يعلم من هو أو أين عائلته؟ وكان يحب فتاة إن استطعنا أن نجعله ينشغل بالفتاة مجددًا وأن يبحث خلف ماضيه سوف يتوقف عن الحديث مع أليكس كل يوم وهذا ما أريده الآن فقط. حسنًا آنسة جين، لم أعلم ما هو دوري حتى الآن. بيرثا سوف تكونين هذه الفتاة التي يبحث عنها، سوف تأتين إلى الفندق وتخبريه أنك شاهدتي إحدى لوحاته في أحد المعارض في نيويورك وتطلبين منه لوحة جديدة، وإن طلب منكِ مالًا في المقابل سوف أعطيكِ إياه وبعد ذلك سوف تتقربين منه. لكن آنسة جين، أليكس سوف يكشف الأمر برمته. أليكس لن يكون موجودًا وقتها، قومي بما أطلبه منكِ فقط واحصلي على الألف دولار. حسنًا.

وماذا بعد بيرثا، من الذي قتل أليكس؟.. سيد جونسون أنا لا أعلم شيئًا عن مقتل أليكس، عندما جئت إلى الفندق وطلبت منك اللوحة التقيت بالسيد أليكس لكن بعد ذلك قرأت في إحدى الصحف المحلية أنه قُتل، ذهبت ذاك اليوم إلى جين أسألها عن هذا الأمر قالت إنها لا تعلم والتحقيقات جارية حتى الآن وكانت تبكي وتبدو حزينة، هذه كل الحقيقة سيد جونسون. وهي من طلبت منك القدوم لتهنئتي على إنجازاتي؟.. لا سيد جونسون، لقد ذهبت إلى الفندق هذا اليوم، كنت أريد أن التقي بك لأخبرك بكل شيء بعدما رأيت صورتك في الصحف أردت

أن أخـبرك بحقيقـة مـا حـدث، لكـن جـين تحدثـت معـي وقامـت بتهديـدي إن جئـت مـرة أخـرى سـوف تخـبر الشرطـة، لذلـك قمـت بكتابـة رقـم هاتفـي وإعطـاءه لعاملـة الريسبشـن التـي بدورهـا سـلّمته لـك لكـي تتصـل بي ونلتقـي.. ولمـاذا لم تخبرينـي عندمـا التقينـا في المقهـى؟.. لقـد كنـت فظًّـا معـي وغاضـب حتـى إنـك لم تتحـدث معـي الكثـير مـن الوقـت وانصرفـت. حسـنًا بيرثـا، الأمـور أصبحـت واضحـة الآن وهـذه الألـف دولار لـكِ لكـن لـدي اتفـاق آخـر وأنـتِ لسـتِ مجـبرة عـلى الموافقـة عليـه، هـو اختيـاري إذا أردتي. مـا هـو سـيد جونسـون؟.. أريـد منـكِ مسـاعدتي لكشـف جـين، لا بـد أن أعلـم مَـن الـذي قتـل أليكـس أولًا ثـم أعلـم حقيقـة قصتـي. حسـنًا سـيد جونسـون، سـوف أسـاعدك في هـذ الأمـر وبـدون مقابـل فأنـا أريـد أن أصلـح الخطـأ الـذي ارتكبتـه. هـذا جيـد، سـوف أخـبرك، لكـن علينـا أن نتوجـه إلى المقهـى نحتسي بعـض القهـوة لتهدئـي مـن روعـك ونتحـدث عـن الأمـر بالتفصيـل.

الجزء السادس

(ماري)

الواحد والثلاثون من ديسمبر عام ألف وتسعمائة وخمسة وعشرون

(بعد مرور سبعة أعوام)

تبقى على العام الجديد يوم واحد فقط، مضت السنة تلو الأخرى لم أشعر بهم.. أندريه توقف عن شدّ شعر أختك، لوسيان توقفي عن البكاء، ليون هل ما زلت نائمًا؟.. لا ماري، أنا مستيقظ، لا يمكن أن أنام في كل هذه الضجة، لماذا تبكي لوسيان؟.. قام أندريه بشدّ شعرها، لا بد أن تضع حدًّا لتصرفاته. حسنًا حسنًا ليس الآن ماري، إنها السابعة صباحًا. اتصلت ماجدولين وقالت إنها في انتظارنا لقضاء عطلة عيد الميلاد معًا، لا بد أن تستيقظ. حسنًا حسنًا، ها أنا مستيقظ. سوف أقوم بتحميم الأطفال حتى تقوم بتجهيز السيارة والحقائب، لن نحتسي القهوة هنا لأن ماجدولين تنتظرنا. حسنًا.

المسؤولية أصبحت أكبر من السابق، كانت مسؤوليتي الوحيدة ما يدور في رأسي فقط قبل سبع سنوات، كما توقعت أن يحدث بعد مرور عامي الأول في باريس تزوجت ليون، إنه كسول بعض الشيء لكنه زوج صالح، لم أتخذ هذا القرار إلا عندما تأكدت أن أمر رجوع جونسون أصبح مستحيلًا، كان علي أن أعيش ما تبقى من عمري كما أردت أيضًا، حصلت على وظيفة في متحف اللوفر وبعد مرور سنة على زواجنا جاء عطاء الرب وهو

طفلين، واقترحت ماجدولين أن نسميهم على الطريقة الفرنسية ولم تعطِنا حرية الاختيار في الأمر، لم أهتم كثيرًا لكن ليون كان مهتمًّا، سألني عدة مرات بعدما أنجبتهم بأيام: ماذا سوف يكون اسم الصبي؟ كرر هذا السؤال كثيرًا، لقد اعتقد أني سوف أقترح عليه أن نسميه جونسون، أراد أن يتأكد من حبي له، هل ما زال في قلبي بعد مرور سنة من زواجنا أم لا؟ أجبته إن الأمر برمته يعود له.

لقد كان مضت السنوات سريعًا حتى إنني نسيت كل التفاصيل التي رأيتها في وجه جونسون، لم يخال لي أن هذا الأمر سيحدث في يوم من الأيام، لقد فعلت ذلك بإرادتي حتى يُمحى من ذاكرتي إلى الأبد. بعد مرور عدة أشهر على زواجي من ليون كان يتصيّد الكلمات حتى أنطق اسم جونسون في أي نقاش أو أثناء نومي أو حتى في مخيلتي، حتى إنه مزق اللوحات التي كنت أحتفظ بها، حتى اللوحات التي لم يرسمها جونسون، أصيب بخوف وهلع يسمى جونسون، لم أكن أتوقع أن تكون هذه تصرفات ليون، حسبته رجلًا بسيطًا وهادئًا لكن فيما بعد اكتشفت أنه سريع الغضب وحادّ ويعلم جيدًا ما يقول، والأهم أنه ليس خجولًا، أعتقد أن ماجدولين كانت تطغى عليه فقط وتؤثر على شخصيته حتى إن أندريه يشبهه كثيرًا، إنهم في عامهم الخامس الآن، إنهم أفضل ما قدمه لنا الرب، لقد نسيت معهم كل ما مضى، كل الأمور السيئة التي مررت بها، عندما أستيقظ كل صباح تكون لوسيان نائمة بجواري تعانقني على الرغم من أنها تمتلك فراشًا خاصًّا بها، لكن تُفضّل أن تنام إلى جواري في

كل ليلـة، وهـذا الأمـر يزعـج ليـون كثـيرًا ويجعلـه يستشـيط غضبًـا ويرتفـع صوتـه وتـزداد حدّتـه، غضـب قائـلًا: إنهـا كـما توقعـت ماجـي الصغـيرة تفعـل مـا تريـد فعلـه فقـط لا تكـترث لأحـد. فتنظـر لـه لوسـيان وتنطـق بكلـمات غـير مفهومـة ثـم تعانقنـي وأنـا أشـعر بـما تقـول حتـى وإن كانـت لا تسـتطيع التحـدث بشـكل واضـح، وفي هـذه اللحظـة يستسـلم ليـون لهـا ويصمـت ويُهـدئ مـن روعـه ثـم يحـاول أن يـشرح لهـا أن عليهـا أن تنـام في فراشـها كل ليلـة كـما يفعـل أندريـه لكنهـا لا تقتنـع وتهـز رأسـها بـلا وكأن هـذا الأمـر الوحيـد الـذي تفهمـه مـن الموقـف برمتـه، ثـم أنفجـر في الضحـك وأخـبره أن يستسـلم ولا يحـاول في الأمـر، فكـما قـال: هـذه ماجـي الصغـيرة لا تفعـل سـوى مـا تريـد فعلـه فقـط.

منزلنـا بسـيط وقريـب مـن منـزل ماجدولـين، فهـو بجانـب النهـر أيضًـا، قمـت باختيـار كل شيء فيـه بعنايـة، وكان هـذا الأمـر يزعـج ليـون لكـن الحقيقـة أن ماجدولـين لم تعـارض هـذا التـصرف لكـن الـشيء الوحيـد الـذي اتفقـا عليـه هـو عـدم تعليـق أي لوحـات في المنـزل، إنـه أمـر جنـوني أليـس كذلـك؟!

الآن ليـون يدعونـا أن نخـرج مـن المنـزل ويصيـح بصـوت مرتفـع، يركـض أندريـه نحـو السـيارة بينـما لوسـيان تنتظـرني حتـى أغلـق بـاب المنـزل بإحـكام، تقـف بجـواري ممسـكة بطـرف الفسـتان وتنظـر إلي حتـى أقـوم بحملهـا عـلى يـدي والذهـاب بهـا إلى السـيارة. الآن يقـول ليـون اربطـوا أحزمـة الأمـان يـا سـيدات. فنحـن نجلـس في الكـرسي الخلفـي لأن السـيد أندريـه لا يريـد مغـادرة المقعـد بجـوار والـده.. في كل مـرة يحـدث هـذا الأمـر، أقـول لـه «النسـاء أولًا».

فتقـوم لوسـيان بتحريـك رأسـها بالموافقـة عـلى كلامـي دون أن تفهـم مـا أقـول.

ينطلـق ليـون الآن بالسـيارة التـي لـن تسـير بنـا مسـافة طويلـة لكـن هـي فرصـة جيـدة لرؤيـة النهـر والمسـاحات الخـضراء حولـه عـبر زجـاج السـيارة، مـا زال الطقـس بـاردًا وممطـرًا جـدًّا.

***

وصلنـا إلى منـزل ماجدولـين، كانـت قـد قامـت بإعـداد الفطـور، جلسـنا سـويًّا عـلى مائـدة الطعـام، لوسـيان تجلـس بجـواري كعادتهـا بينـما تفـرض ماجدولـين عـلى أندريـه أن يجلـس عـلى كـرسي خـاص بـه حتـى يتعلـم أن يتحمـل مسـؤولية نفسـه.. هـي تفعـل معـه كـما فعلـت مـع ليـون مـن قبـل كـما أعتقـد. كنـا ننتظـر العـم سـام حتـى نتلـوا صلاتنـا، نـزل مـن عـلى السـلم الخشـبي وقـام بتقبيـل لوسـيان قائـلًا: مـاري الصغـيرة، اشـتقتُ إليـكِ. وقامـت هـي بنطـق كلـمات غـير مفهومـة، كان ينظـر إليـه أندريـه ينتظـر أن يصافحـه بحـرارة لكـن العـم سـام لم يفعـل ذلـك وقـال لـه: «السـيد أندريـه، سـعيد برؤيتـك»، في إشـارة منـه إلى أنـه أصبـح شـابًّا كبـيرًا لكـن يبـدو أن أندريـه لم يعجبـه هـذا الأمـر فأخـذ يتلـو صلاتـه والجميـع فعـل ذلـك.. عرضـت ماجدولـين أن نقـوم برحلـة إلى النهـر بعـد احتسـاء الطعـام، كان ليـون ممتعضًـا مـن هـذا الاقـتراح لكنـه اضطـر إلى الموافقـة وبالفعـل ذهبنـا نسـير إلى جانـب النهـر، أمسـك العـم سـام بيـدي وقـال: المعـذرة ماجدولـين، أريـد أن أتحـدث مـع مـاري عـلى انفـراد، سـوف نسـير أمامكـم وأنتـم اتبعونـا. فأشـارت ماجدولـين إلى ليـون حتـى يعطـي الإذن للعـم سـام الـذي بـدوره قـام بهـز رأسـه

موافقًا على الأمر.

ما الأمر عمي سام هل هناك خطب ما؟.. لا عزيزتي، أردت فقط أن أسألك عن حياتك كيف تسير؟.. أووه عم سام لقد مضى سبع سنوات، ما هو سبب السؤال الآن؟!.. لا أعلم، كل ما أريده أن تكوني بخير. حسنًا أنا بخير، الأمور على ما يرام. هل ما زال ليون يفكر في أمر جونسون؟.. لا، الموضوع انتهى من السنة الأولى في زواجنا. حسنا هذا جيد. وأنتِ؟.. لم أعد أفكر في الأمر عمي سام، كما أخبرتك مضى سبع سنوات، لا أتمنى سوى أن يكون جونسون بخير أو تنعم روحه في السماء فقط، عم سام هل هناك خطب ما؟.. لا عزيزتي ليس هناك شيء. هل لديك أي معلومات عن جونسون؟.. لا، فأنا لم أعُد إلى لوس أنجلوس منذ سبع سنوات كما تعلمين. حسنًا. ماري، أتمنى أن تكون السبع سنوات كافية لشفاء هذا الجرح، لديكِ الآن أطفال وزوج، عليكِ الاعتناء بهم، لا تنظري للماضي. حسنًا عم سام، هذا ما أقوم به. لنعُد لهم، فعمتك ماجي لديها فضول قد يجعلها تلقي بنفسها في النهر. حسنًا.

الواحد من يناير عام ألف وتسعمائة وستة وعشرون

انتهت العطلة وعُدت إلى العمل في المتحف، كل شيء هنا جميل، اللوحات العريقة وجدران المتحف والزائرين والأضواء الخافتة التي فوق اللوحات، لدي شغف كبير لرؤية كل شيء يتعلق بالفنون.. كان هنا على هذا الحائط إحدى اللوحات التي أحب رؤيتها، كانت لفتاة تقوم بغرس سنبلة قمح في التربة لكن إدارة المتحف قامت بإزالة اللوحة لصيانتها حيث إنها أصيبت ببعض الخلل الناتج عن عبث الزوار بها لا سيما الأطفال، لذلك قامت إدارة المتحف بتعيين بعض المراقبين لمراقبة الزوار وأنا منهم، إنه لأمر صعب أن تتحمل هذه المسؤولية، لكن كل شيء يسير على ما يرام باستثناء ذلك الشاب الذي يأتي كل يوم ينظر إلى اللوحة نفسها لبعض الوقت ثم يذهب، أردت أن أتحدث عدة مرات معه وأسأله عن هذا التصرف.. كان يفعل ذلك طوال السبع سنوات التي مضت وقد يكون من قبل ذلك أيضًا، في إحدى المرات قامت الجهات المسؤولة عن أمن المتحف بالتحقيق معه، ربما ظنوا أنه يخطط لأمر ما أو يريد سرقة اللوحة، لكن بعد مرور بعض الوقت عاد ينظر إلى اللوحة من جديد، ما يعني أن التحقيقات أسفرت عن لا شيء. في كل مرة يغادر فيها المتحف أقف وأنظر إلى اللوحة وأدقق النظر فيها، إنها ليست مثيرة،

فقط فتاة تسير وتدير ظهرها. يبدو أن الرجل الغامض يرى فيها ما لا آراه، في كل الأحوال سوف أسأله اليوم عن هذا الأمر.. لقد تأخر اليوم، لديه موعد ثابت. حسنًا ها هو يدخل من باب المتحف يسير في هدوء كعادته، ينظر إلى الأرض، يرتدي قبعته البنية ومعطفة الصوف، يدخن السيجار ويُخرج الدخان من فمه دون أن يلتقط السيجار بيديه وملامحه غير واضحة من كثرة الدخان حوله والقبعة التي تغطي عينيه، يقف أمام اللوحة ويمسك السيجار بيديه يُخرجه من فمه ويرفع قبعته إلى الأعلى ووجهه أيضًا وسيظل على هذه الحالة لساعة على الأقل لا يلتفت حوله حتى وإن تعالت ضحكات الزوار أو أصوات الأطفال، لكن اليوم سوف أذهب إليه وأتحدث معه. ها أنا أسير تجاهك أيها الرجل الغامض.

***

عِمت صباحًا يا سيدي. صباح الخير. هذه اللوحة جيدة فعلًا، لكن هل تستحق كل هذا الاهتمام؟.. سوف أفترض أن فضولك ما دفعك للحديث معي وليس أن أحد رجال الأمن طلب منكِ ذلك. لا لا هو الفضول فقط، أنا أعمل في المتحف منذ سنوات وكل يوم أراك تقف أمام هذه اللوحة لذلك أردت أن أسألك ما هو المميز بها، قد تشاهد شيئًا أنا لم أشاهده بها. ما اسمك سيدتي؟.. ماري. حسنًا سيدة ماري، لا تؤخذ الأمور على هذا النحو، أنا لا أشاهد اللوحة من جانب فني، إن هذه اللوحة رسمتها فتاة كنت أحبها كثيرًا وكانت آخر شيء رسمته قبل أن تغادر هذه البلاد، لذلك أنا أنظر إليها كل يوم فقط، لقد جاءت

إلى هنا بعد انتهاء الحرب وكُتب عليها أنه عُثر عليها تحت ركام أحد المنازل وعثر على من رسمها وقد فارق الحياة، لكن الجيد في الأمر أن الرسام كان قد كتب اسمه عليها، من هنا علمتُ أنها هي من رسمتها وأنها فارقت الحياة. أنا حزينة لسماع ذلك وأعلم أن الأمر صعب فقد عشت قصة مشابهة. في رأيك سيدة ماري، لماذا جاءت اللوحة إلى هنا؟ ولماذا علمت بالأمر كله؟ كان من الممكن أن أنظر إلى اللوحة ولا أنتبه لما كتب عليها وأمرّ من أمامها دون أن أتذكر الألم الذي أشعر به، لكن الحياة تجعلنا دائمًا نشعر بالأسوأ ثم الأسوأ، الحياة تسير عكس ما نريد، كل شيء يسير عكس إرادتنا، الفتاة الجيدة سوف تتزوج رجلًا سيئًا والرجل الفقير سوف يهدم منزله فيزداد فقرًا، سوف يتغير الطقس عكس ما ترتدي من ملابس، والرجل الذي يمتلك ابنًا واحدًا سوف يموت من لدغة بعوضة، ومن يعمل في تجارة القطن في روما سوف يحترق قطنه لو أشعل أحدهم سيجاره في لندن، والمرأة التي لا تنجب سوف تتزوج شابًّا لا ينجب حتى يُقتل الأمل لديها، وسوف تنجب كل الفتيات المقربين منها وبكثرة.. إن أحببت أحدهم ستجد أن كل الطرق التي تؤدي إليه مقطوعة وسيقرر قادة الحرب خوض حربهم في الطريق بينك وبينه وداخل قريته، إن كرهت إنسانًا سوف تشاهده في طريقك وفي الصحف وفي لافتات الشوارع واسمه على الجدران، وقد تراه أثناء نومك، إذا أحببت طعامًا فستقرر الحكومة منعه من الأسواق بدون سبب منطقي، حتى إن حيوانك الأليف سوف يصاب بمرض نادر ليس له علاج وسوف يتسبب ذلك في موته.. الحياة ستأخذ منك

ما تريد لكنها لن تعطيك ما تريد، وليس هذا كل شيء بل إنها سوف تذكرك بكل شيء لا تريد تذكره وكل شيء قد يؤلمك تذكره وعلينا جميعًا احترام رغبتها وعلينا أن نتحمل مضي الوقت بدون من نحب، وعلينا أن نتحمل اللحظات والثواني والدقائق والأيام والسنوات ولدينا عزيز بعيدًا عنّا، كل ذلك يحدث وسيحدث حتى ينتهي بنا الحال في مكان ما لا نعلم عنه شيئًا سوى أنه قد يكون مظلمًا وقد نسمع بكاء من حولنا على فراقنا فقط.

سيده ماري، أعلم أن ما قلته هو الصواب وأعلم أنكِ تشعرين بالرغبة في البكاء وأعلم أنه يوجد شيء ما في أعماق قلبك لكن أيضًا الحياة لا تقرر شيئًا عبثيًّا؛ فالطريق الذي تظنين أن المضي فيه هو عين الصواب قد يكون غير ذلك، كما أن حديثنا الآن ليس عبثيًّا.. سوف أنصرف الآن، يمكننا أن نتحدث غدًا، بالتأكيد تعلمين موعد زيارتي للمتحف. بكل تأكيد سيدي، لكن ما هو اسمك؟.. غير مهم الآن. حسنًا، تصحبك السلامة.

الثاني من يناير

بعد عودتي إلى المنزل بالأمس جلستُ وحيدة أفكر في كلام الرجل الغريب، لقد أيقظ الجرح الذي بداخلي لكن الأمر مضى عليه سبع سنوات، حتى إن ليون قد شعر بشيء ما غريب في سلوكي معه، فيما جلست لوسيان إلى جواري ووضعت رأسها على قفصي الصدري كأنها كانت تشعر بالشيء الذي سكن قلبي لسنوات، لكن انقطع تفكيري في الأمر عندما اتصلت ماجدولين وأخبرتنا أن العم سام مريض بعض الشيء، هرعنا إلى منزل ماجدولين، كان العم سام في الفراش لا يستطيع التنفس بشكل جيد، قام ليون بفحصه وقال إن حالته غير مستقرة، لا بد أن يُنقل إلى المستشفى، عندما سألته عن مرضه شعرت أنه يتنصل من الإجابة عن السؤال وقال إنه سوف يكون بخير. اصطحبنا ليون للمستشفى بسيارته وقام بإبلاغ قسم الطوارئ بالحالة التي يعاني منها، وقام بدوره تحدث مع الأطباء عبر الهاتف واستدعاء فريق من الأطباء. كانت ماجدولين صامتة على غير عادتها وكان ليون يتحدث مع الأطباء في أمر ما، شعرت بالكثير من الارتباك في المستشفى حتى أصبت بالتوتر. بعدما قام الأطباء بفحص العم سام تحدثوا مع ليون بصوت خافت ثم ظهرت عليه آثار التوتر وبدأ جبينه يتصبب عرقًا ثم عاد إلينا وقال إنه سوف يظل في المستشفى لبعض الوقت، لم تسأل ماجدولين عن السبب، كان يظهر عليها حالة من الهدوء لكنها رفضت أن تغادر المستشفى

حتى تستقر حالة العم سام لكن ليون أصرّ على أن نغادر حتى أنه أظهر وجهًا غاضبًا وكانت هذه المرة الأولى التي أشاهد فيها ليون بهذه الحالة، لم يمضِ الكثير من الوقت حتى انتهى النقاش الحاد بينه وبين ماجدولين وقال سوف أصطحبكم إلى المنزل وغدًا سنأتي للاطمئنان على حالة العم سام، كان يبدو غاضبًا بشدة وكانت ماجدولين تمارس الصمت على غير عادتها، رافق ذلك الخوف على العم سام.

وصلنا إلى المنزل، جلس ليون على كرسي العم سام الخشبي الذي جانب المدفأة يفكر في أمر ما فيما كنت أنا أقوم بإطعام الصغار وكانت ماجدولين تجلس إلى جواري، ثم قالت في صوت خافت: لقد أصيب عمك بمرض الأنفلونزا المنتشر في البلاد وأظن أن الأطباء أخبروا ليون أنه لا أمل في نجاته، فكما تعلمين هذه جائحة عالمية وليس لها علاج حتى الآن، شعرت بالصدمة لدقائق ولم أردّ عليها وتوجهت بكلامي إلى ليون وقلت له: هل ما تقوله ماجدولين صحيحًا؟.. نعم ماري، لقد أخبرني الأطباء ذلك. وماذا سنفعل الآن، هل سنجلس ننتظر أن يخبروننا أنه قد فارق الحياة؟.. لا ماري، يحاول الأطباء معالجته، سوف يتضح الأمر غدًا إن كان يستجيب للعلاج أم لا. ليون لا تتلاعب بي، هل العم سام سوف يكون بخير؟.. نأمل ذلك ماري، علينا فقط أن نصلي من أجله. حسنًا ليون.

الثالث من يناير

ما زالت الأجواء الباردة تمارس قسوتها على أجسادنا الضعيفة، لم تكتفِ الطبيعة بما فعلته الحرب وفعله الوباء بنا.. السابعة صباحًا، الصغار ما زالوا نائمين، البخار يظهر على زجاج النوافذ كأنه سيكون يومًا ممطرًا، ليون يقوم بمراجعة بعض الأوراق، لم ينَم الليلة الماضية، كان يفكر في أمر العم سام، لم أعهده خائفًا من شيء طوال تلك السنوات التي مضت، كان الرجل القوي الذي يمتلك الصبر والشدة ولديه الكثير من العقل والقليل من العاطفة، لم أتحدث معه، أعددت له فنجان القهوة وانصرفت من أمامه حتى إنه توقف عن نظرات الإعجاب التي كان يرمقني بها والتي أعلم أنها بعيدة كل البعد عن الحب على قدر ما هي قريبة من الشهوة، أعلم يا ليون أنني كنت حلمًا بالنسبة لك أردت تحقيقه فقط، أعلم كم أنت أناني، أعلم أنك أردت أن تثبت لنفسك شيء ما يجول في خاطرك وفي نفسك المريضة، وأعلم أن صمتك ونظراتك التي تسترقها من فوق فنجان القهوة لها معانٍ كثيرة، كل ما حدث في السبع سنوات أنا أردته أن يحدث أيها الديك الفرنسي الأحمق، الآن انتهى من مراجعة أوراقه ووضع فنجان القهوة على الطاولة ووقف أمام المرآة يهندم ملابسه ويعيد تنسيق ربطة عنقه وقام بوضع بعض العطر كما يفعل كل يوم حتى يرضي بذلك مساعدته في العيادة فهي عشيقته والجميع يعلم ذلك حتى المرضى، ثم قال: سوف

أذهب إلى العمل، بعد أن أعود سوف أصطحبكم إلى المستشفى للاطمئنان على العم سام. حسنًا حبيبي، تصحبك السلامة.. ثم غادر المنزل وركب سيارته وقام بالنظر مرة أخرى إلى المرآة وانطلق إلى عمله، أو بمعنى أدق ذهب يمارس الجنس مع مساعدته في العيادة، أيقظت الصغار وذهبنا إلى منزل ماجدولين حيث كانت تجلس أمام المدفأة وقد بدا على وجهها أنه شاحب اللون كأنها خرجت من مجاعة ما أحدثتها الحرب.

كيف حالك ماجي؟.. لست بخير ماري، يبدو المنزل موحشًا بدون سام. نعم صحيح، لكن سوف نصلي من أجله، سوف يكون بخير. ماري إن سام هو ما تبقى من عائلتنا، لقد رحل الجميع، لقد تحملت فراقه لسنوات حتى عاد إلي، لكن يبدو أن القدر لم يشأ أن يظل إلى جواري سوى السبع سنوات التي مضت، لا أعلم ماذا أفعل ماري؟ الجميع يعلم أن هذا المرض قتل ملايين من البشر، كيف سيتحمله جسده الضعيف؟!.. عمتي، كل شيء سوف يكون على ما يرام، هوّني عليكِ، قال ليون إننا سنذهب إلى المستشفى عندما يعود من عمله، سوف يكون بخير.

الرابع من يناير

يبـدو ليـون متوتـرًا قبـل زيـارة العـم سـام في المستشـفى، كـما أن ماجدولـين جـاءت مسرعـة مـن منزلهـا ويبـدو عليهـا آثـار السـهر كأنهـا لم تنَـم الليلـة التـي مضـت، حتـى أنـا ظللـت طـوال الليـل أصـلي مـن أجـل العـم سـام لكـن يبـدو أن للقـدر رأي آخـر، هـذا مـا يظهـر عـلى ملامـح وجـه ليـون وتصرفاتـه لكـن بالرغـم مـن كل ذلـك أتحـلى بالهـدوء، الجميـع يلاحـظ ذلـك، هـم لا يعلمـون أن رحيـل مـن نحـب أمـر حتمـي، وأنـا اعتـدت عـلى هـذا الأمـر، إيزابيـل ثـم جونسـون ثـم الوطـن.. لا يعلمـون أن السـنوات التـي مضـت غـيّرت كل شيء، يشـير ليـون لنـا بـأن نجهـز وهـو سـوف ينتظرنـا في السـيارة، لقـد تعلـم الصمـت مؤخـرًا، تعلـم أن يقـوم ببعـض الإشـارات فقـط.. تقـول ماجـي إن كل الرجـال بعـد الـزواج يصبحـون هكـذا.

الآن نخـرج مـن المنـزل، وماجدولـين تضـع يدهـا عـلى قفصهـا الصـدري وتعانـق صليبهـا ووجههـا يبـدو شـاحبًا وتحـاول أن تسيطر عـلى شـعورها بالخـوف حتـى لا تنفجـر في البـكاء، ليـون مـا زال صامتًـا ويقـود السـيارة في هـدوء واستسـلام للأمـر الواقـع، فالجميـع يعلـم أن أمـر عودتنـا مـن المستشـفى ومعنـا تابـوت بـه العـم سـام هـو واقـع لا مفـر منـه حتـى وإن تعـددت أيـام بقـاؤه عـلى قيـد الحيـاة، أفضـل أن ينتهـي الأمـر سريعًـا حتـى تعـود حياتنـا كـما السـابق حتـى

وإن شعرنا بالحزن فالجميع راحل لا محالة.

لوسيان ممسكة بشيء في يدها تنظر إليه طوال الطريق ثم تعود وتقبض يدها عليه، حاولت أن أعرف ما هو، في النهاية استسلمت وسألتها قالت بكلماتها الغير واضحة بما يعني أن لديها ورقة شجر خضراء سوف تزرعها إن عدنا ومعنا العم سام وكان بخير.. ابتسمت ثم أخبرتها أن في كل الأحوال سوف يكون بخير يا صغيرتي.

***

وصلنا إلى المستشفى وذهب ليون للتحدث مع الأطباء وعاد وقد يبدو عليه الارتياح، قالت ماجدولين في توتر: ما الذي أخبرك به الأطباء ليون؟.. قال إن الأطباء أخبروه أن حالته مستقرة وهو يستجيب للعلاج بشكل جيد ويقاوم المرض بكل بسالة كأنه عدو استعمر جسده، أغمضت ماجدولين عينيها وأمسكت بصليبها من جديد وكانت تبكي حتى خرجت الدموع من تحت جفونها المغلقة، بادرت ليون بالسؤال: هل أخبرك الأطباء متى يمكن أن يعود للمنزل؟.. نعم، قال الطبيب المعالج في خلال أسبوع نظن أنه سوف يكون قضى على المرض فهو يقاوم ويستجيب للعلاج بسبب مقاومته المناعية له.

حسنًا ليون والآن ماذا سنفعل؟.. سوف نعود للمنزل ونقوم بالاطمئنان عليه يوميًّا حتى تنتهي فترة علاجه. حسنًا سوف أذهب إلى المتحف لدي بعض العمل، سوف أستقل سيارة أجرة، قم فقط بالاعتناء بماجدولين ولوسيان. حسنًا، تصحبك السلامة.

أفضِّل أن أذهب إلى العمل على ألا أظل معك في المنزل أنت ووالدتك الحمقاء، أعتقد أن الرجل الغريب لم يذهب إلى المتحف حتى الآن، وها قد وصلتُ إلى الصرح الكبير متحف اللوفر حيث كل شيء جميل هنا عدا بعض العاملين فهم يكرهونني فقط لأنهم يعلمون هويتي ومن أين جئت، لقد كانت مفاجأة بالنسبة لي أخلاق بعض الفرنسيين السيئة، لا سيما العنصرية الواضحة، فأول شيء قد يسألونك عنه: هل أنت كاثوليكي أم مسيحي مشرقي؟ ثم يقررون كيف يتعاملون معك، شيء بغيض.

كعادتي أقف بجانب اللوحات أراقب تصرفات الزائرين، كل شيء هنا هادئ عدا الرجل الغامض الذي لا أعلم ما اسمه حتى الآن لكن اليوم سوف أسأله، لقد خالف العم سام توقعاتنا، أتمنى أن يكون بخير حقًّا وأتمنى أن تنتهي معاناته على أي حال كان ما يكون.

حسنًا ها هو ذا الرجل الغامض يدخل من باب الفندق يرتدي قبعته ومعطفه الصوف ودخان سيجاره يلتف حوله وينظر للأسفل ولا يشاهد أحد ملامحه حتى يقترب ويقف أمام لوحته المفضلة التي يأتي وينظر إليها كل يوم، أقترب منه ولا يلتفت حتى لينظر إلي، هذا الرجل تعرض للكثير من الأمور السيئة التي جعلته لا يكترث لأي شيء حتى وإن كانت امرأة جميلة مثلي، أو من المحتمل أن أكون فقدت جزءًا كبيرًا من أنوثتي بعد الزواج.. الآن اقتربت منه حتى أصبحت بجواره، لم يتبقَّ سوى أن يلتصق ذراعي بذراعه، رفع وجهه بعض الشيء وقام برفع قبعته قليلًا وقال وهو ينظر إلى اللوحة، كيف حالك

سـيدة مـاري؟.. أنـا بخـير، هـل رأيـت شـيئًا جديـدًا في لوحتـك؟.. أخبرتـك في المـرة الماضيـة أننـي لا أنظـر إليهـا مـن جانبهـا الفنـي. نعـم نعـم أتذكـر، لكـن أسـأل لأنـه لم تُكلِّـف نفسـك عنـاء النظـر إلي وأنت تتحـدث معـي!.. وبـماذا سـوف يفيـد ذلـك؟ أنـا أسـمعك بشـكل جيـد. حسـنًا أردت فقـط أن ألقـي عليـك التحيـة. سـيدة مـاري، إلى أيـن تذهبـين؟.. إلى عمـلي. عندمـا تنظـر إلي سـوف نتحـدث. لا، انتظـري في الحقيقـة هـذه آخـر زيـارة لي للمتحـف، أردت فقـط أن أُشـبع رغبتـي مـن النظـر إلى اللوحـة. ولمـاذا هـذه آخـر زيـارة؟.. في الحقيقـة أنـا مسـافر إلى الولايـات المتحـدة لـدي بعـض الأعـمال لأقـوم بهـا. مـا هـو اسـمك يـا سـيدي؟.. اسـمي أنتـوني، لكـن الأمريـكان ينطقونهـا أنتـون. حسـنًا، لقـد علمـت أننـي أمريكيـة. نعـم هـذا واضـح بشـكل كبـير. سـيد أنتـون هـل يمكننـا التحـدث بعـد انتهـاء سـاعات العمـل؟.. نعـم يمكننـا، بجـوار المتحـف هنـاك مقهـى يمكننـا أن نلتقـي بـه، سـوف أنتظـرك. حسـنًا.

***

انتهـت سـاعات العمـل سريعًـا، خرجـت مـن بـاب المتحـف متوجهـة إلى المقهـى، كان يجلـس بجانـب النافـذة الزجاجيـة ممسـكًا بالصحيفـة يقرؤهـا وقـد خلـع قبعتـه عـن رأسـه ووضعهـا عـلى الطاولـة بجانـب مشروبـه.. عندمـا دخلـت مـن بـاب المقهـى أشـار إلي كأنـه ظـن أننـي لـن أعرفـه بسـبب خلعـه للقبعـة. مرحبًـا سـيد أنتـون مـاذا تحتسي؟.. أفضّـل احتسـاء الويسـكي دائـمًا فأنـا لا أشرب القهـوة ولا أي شيء آخـر. أووه لمـاذا؟.. إنهـا قصـة طويلـة، يمكننـي سردهـا لـكِ في وقـت لاحـق. سـيد أنتـون، هـل كنـت جنديًّـا في

الحـرب؟.. هـل تسـألين بسـبب هـذه الندبـة التـي في رأسي؟.. نعـم نعـم رأيتهـا عندمـا اقتربـت منـك. في الحقيقـة كنـت أعمـل كمرتـزق إبـان الحـرب لكـن ندمـت عـلى هـذا الأمـر فيـما بعـد. إنـه لأمـر سيء. نعـم أعلـم، لكـن القتـل يقـوم بإفـراغ الغضـب مـن داخـل الإنسـان لكنـه يقتـل بـه أمـورًا كثـيرة. في الحقيقـة سـيد أنتـون عندمـا نتحـدث يـزداد شـعوري تجاهـك بأنـك غامـض ليـس فقـط هـذا الأمـر بـل لـدي شـعور أنـك غريـب الأطـوار، دعنـي أسـألك مـا الـذي يسـببه القتـل في الإنسـان؟.. عندمـا يقتـل الإنسـان فإنـه تمـوت بداخلـه كل مشـاعر الرحمـة، كل مشـاعر الحـب، كل شيء يعـبر عـن العاطفـة والتسـامح ويصبـح صلبًـا مـن الداخـل فـلا يكسـره سـوى رصاصـة تخـترق ضلوعـه، وبالرغـم مـن ذلـك في لحظاتـه الأخـيره يصـارع المـوت والملائكـة كأنـه يخبرهـم أنهـم ليسـوا أقـوى منـه عـلى أي حـال، عندمـا أطلقـت رصاصتـي الأولى شـعرتُ بالفـزع مـن قـوة صوتهـا حتـى اعتـدت عـلى الأمـر شـيئًا فشـيئًا ثـم أصبحـت أسـتمتع بصـوت الرصـاص كأنـه أحـد الألحـان الموسـيقية، كنـتُ أسـتمع إلى صـوت كل رصاصـة عـلى حـدة لكـن الرصاصـة التـي تسـببت لي في تلـك الندبـة لم أسـمع صوتهـا، كان لـدي صديـق يقـول دائـمًا الرصاصـة التـي سـتقتلك لـن تسـمع صوتهـا لأن روحـك سـوف تصعـد إلى السـماء قبـل أن يصـل الصـوت إليـك لكـن الـرب لم تكـن هـذه مشـيئته فإصابتـي كانـت سـطحية لم تخـترق الرصاصـة جمجمتـي لعلهـا ضلـت الطريـق. سـيد أنتـون، لديـك فلسـفة غريبـة، قلـت إن الحـرب تقتـل المشـاعر لكـن أنـت تمتلـك شـعورًا تجـاه اللوحـة التـي تنظـر إليهـا لسـاعات، هـل هـذا منطقـي؟.. نعـم صحيـح،

لا أعلـم كيـف يحـدث ذلـك؟.. سـيد أنتـون، متـى سـوف تذهـب إلى أمريـكا؟.. بعـد يومـين. هـل يمكننـي أن أطلـب منـك شـيئًا؟.. بالتأكيـد. أريـدك أن تبحـث لي عـن أحدهـم، كان يقاتـل في الحـرب أيضًـا، أظـن أنـه قُتـل لكـن أريـد أن أتأكـد من ذلك، اسـمه جونسـون ديفلوفيـك، كان مقيـمًا في حـي سـبرينج بلـوس أنجلـوس. حسـنًا، هـل يمكنـك إعطائـي وصفًـا لـه؟.. نعـم، إنـه طويـل بعـض الشيء، شـعره بنـي وعينيـه أيضًـا بنّيـة، بشرتـه بيضـاء لا يوجـد عـلى جسـده أي صليـب ولا يعلقـه في رقبتـه، ذهـب إلى الحـرب عـن طريـق إحـدى السـفن التـي رسـت في ميناء لـوس أنجلـوس، كان ذلـك منـذ سـبع سـنوات. حسـنًا سـيدة مـاري، ولمـاذا ذهـب إلى الحـرب؟.. كان يعـاني مـن فقـدان مؤقـت في الذاكـرة وهـذا الأمـر جعلـه مشـتت ويبـدو أن أحدهـم أقنعـه بالذهـاب معـه. هـل تعلمـين مـا هـو رقـم السـفينة التـي كان عليهـا أو أي علامـة مميـزة بهـا؟.. نعـم، مقاتلـة في الجيـش الملكـي الإنجليـزي اسـمها «أر ٢٢»، لونهـا رمـادي وعليهـا خطّـين باللـون الأزرق وفي مقدمتهـا مـن الجهـة اليسرى كـسر جعـل الطـلاء غـير كامـل. أنـا أعـرف هـذه المقاتلـة، لقـد تـم إغراقهـا بالكامـلK لقـد قـرأت الكثـير مـن القصـص عنهـا ليـس فقـط قصتـك مـاذا قـرأت عنهـا؟.. عندمـا غرقـت هـذه السـفينة العملاقـة كنـت عـلى شـاطئ أنـا وبعـض الجنـود نبحـث عـن مـن يمدّنـا بالطعـام، بعـد سـاعات مـن البحـث ألقـى مـوج البحـر قطعًـا منهـا عـلى الشـاطئ فذهبنـا مسرعـين إلى حطامهـا لنبحـث عـن طعـام، وجـدت صندوقًـا حديديًّـا مغلقًـا بإحـكام، فقمـت بإطـلاق النـار عليـه وفتحـه، كانـت بـه بعـض النقـود وصليـب ذهبـي ومذكـرات لربـان السـفينة

كأنه كان يدوّن كل ما يحدث معه، ذكر في مذكراته الكثير من الأحداث الغريبة عن رؤيته لبعض الموتى يصعدون إلى السماء بأجسادهم، وهبوط الملائكة على شاطئ لوس أنجلوس والبرد القارص في المحيط، ظننتُ أن الحرب تسببت له في خلل عقلي لكن استوقفتني قصة لم تشغل حيزًا كبيرًا في مذكراته. وما هي هذه القصة سيد أنتون؟.. سوف أرويها لكِ.

***

منذ سبع سنوات تحديدًا في ليلة حارة من ليالي أغسطس كان هناك شاب يقف أمام السفينة ينظر لها يبدو أنه كان قد أضاع طريقه، نظرتُ إليه وقلت له: عن ماذا تبحث؟ قال لا أعلم، فأخبرته هل تريد أن تحصل على عمل فقال نعم ثم صعد إلى السفينة، كان يعمل على تنظيفها من الدماء واستمر على ذلك لبضعة أيام لكنه كان مثيرًا للتساؤلات، لقد تحدث كثيرًا إلى الجنود وأقنعهم بعبثية الحرب وتحدث إلي مرارًا وتكرارًا في الأمر نفسه، كان ذكيًّا جدًّا في الأمور التي يطرحها وكان يحمل معه لوحة لسيدة في العقد الأخير من عمرها، عندما سألته عنها قال لا يعلم مَن هي لكنه يعلم أنه هو من رسمها فطلبت منه أن يقوم برسم ابنتي فقام بذلك ببراعة شديدة، في الحقيقة كان شابًّا مميزًا، أردت لو أنه يظل معي طوال الوقت فهو يمثل الجانب الإنساني من هذا العالم السيء، كان يهوّن علينا ويلات الحرب، مضت الأيام تلو الأيام والجنود يذكرون هذا الشاب ثم.......

ثم ماذا سيد أنتون؟.. كانت هذه آخر كلمة كتبها ربان السفينة. ألم يذكر اسم هذا الشاب؟.. لا، يبدو أنه قتل قبل أن

يفعـل هـذا الأمـر. سـيد أنتـون، أظـن أن هـذا الشـاب هـو جونسـون، فهـو رسـام ماهـر وأيضًـا ذكـي وكان يكـره الحـرب بالفعـل، هـذا يعنـي أن جونسـون لم يذهـب إلى الحـرب وأنـه بقي في لـوس أنجلوس، سـيد أنتـون أريـد منـك البحـث عنـه عندمـا تصـل إلى هناك حتـى وإن أردت مقابـل لذلـك أنـا عـلى استعداد. سـيدة مـاري، لـدي الكثـير مـن المـال، أنـا لسـت في حاجـة لذلـك، سـوف أبحـث عنـه عـلى أمـل أن يكـون عـلى قيـد الحيـاة. أنـا ممتنـة لـك كثـيرًا، لقـد أعـدت لي الأمل الـذي فقدتـه منـذ سـنوات. لا أعلـم مـاذا أقـول سـيدة مـاري لكـن علمـت مـن خاتـم زفافـك أنـكِ متزوجـة. نعـم أنـا متزوجـة ولـدي طفلـين. إذن لمـاذا تبحثـين عـن المـاضي؟.. لا أعلـم، قـد يكـون كل مـا أريـده هـو أن يظـل بخـير. سـيدة مـاري، الأمـر ليـس هكذا، تشـعرين بالكثـير مـن الذنـب، تشـعرين بالخطيئـة لأنـكِ تزوجتي. هـل كان علي الانتظـار لسـبع سـنوات؟!.. هـل تعلمـين أننـي غريـب الأطـوار حقًّا ظللـت سـنوات أنتظـر الـلاشيء، ظللـت سـنوات أنظـر إلى اللوحـة التـي رسـمتها، اللوحـة التـي تلطخـت بدمائهـا، ظللـت سـنوات أذهـب إلى المتحـف كل يـوم وأنظـر إليهـا بالسـاعات، هـذا يعنـي حقًّـا أننـي غريـب الأطـوار؟! سـيدة مـاري لا تقـاس الأمـور هكـذا، السـنون هـي زمـن يمـر شـهورًا وأسـابيع وأيامًـا وسـاعات ودقائـق ولحظـات، كل ذلـك ليـس مقياسًـا للشـعور، لا يوجـد مقيـاس لمـا يشـعر بـه الإنسـان، الشـعور سـيدة مـاري شيء أكـبر مـن ذلـك حتـى وإن اسـتغرق منّـا لحظـة واحـدة عـلى مقيـاس الزمـن، لحظـة واحـدة مـن الشـعور الـسيء قـد تكفـي لسـنوات مـن اليـأس لحظـة واحـدة تفقديـن فيهـا عزيـزًا تقتـل شـعورك إلى الأبـد، إلى مـا لا نهايـة عـلى

مقياس الزمن، ليس لدي الحق في أن أطلب منكِ تصحيح الخطأ أو تغيير الواقع الذي تعيشينه، مَن له الحق في ذلك هو شعورك فقط. هل ستبحث لي عن جونسون؟.. نعم، سوف أفعل لكن عليكِ أن تقرري قبل ذلك ما هي رغبتك في هذا الأمر؟ لقد مضى الكثير من الوقت علي الذهاب إلى المنزل، اكتبي لي عنوان أقرب صندوق بريد إليكِ إذا حصلتُ على أي معلومات حوله سوف أراسلك على الفور، ولأنني أعلم مدى حساسية الموقف سوف أكتب لكِ «اللوحة في المتحف»، بمعنى أنني وجدته،

أو «اللوحة خارج المتحف»، بمعنى أنني لم أجده، سيكون ذلك كافٍ على ما أظن. حسنًا سيد أنتون، أنا مقدّرة ما سوف تفعله من أجلي. قومي بالشيء الصحيح من أجل ما تشعرين به سيدة ماري، سوف أذهب الآن. حسنًا تصحبك السلامة.

الخامس من يناير

عندما عُدتُ إلى المنزل بالأمس كان ليون يجلس مع الأطفال يستشيط غضبًا، قال لقد استغرقتي ساعات حتى عدتي إلى المنزل، لم يكن الوقت المناسب لهذا الأمر فكلمات أنتون ما زالت تترك أثرًا داخلي، قلت له بغضب شديد إن جونسون قد مات ودُفن في أعماق البحار في سواحل أمريكا لم أعلم أنه بعث من جديد وذهب إلى فرنسا حتى ألتقي به وأستغرق ساعات خارج المنزل معه. ما الذي تقولينه ماري بحق الجحيم؟!.. أقول ما أريد أن تسمعه ليون، نعم أنا لم أكن مع جثة جونسون المتعفنة، لم يُبعث من جديد حتى تتحدث إلي بهذه الطريقة. اذهبي الآن إلى الفراش ماري، في الصباح سوف نتحدث في الأمر وأقسم أنني سأدع حدًّا لمثل هذه التصرفات. اذهب إلى الجحيم ليون.

كان شجارًا بيننا هو الأعنف منذ سنوات، في صباح اليوم التالي خرج إلى العمل بدون أن يودعني، كنتُ نائمة لم أستيقظ حتى عندما قام من الفراش كعادتي، أشعر أن قلبي تتثاقل نبضاته، كل شيء داخلي أصبح يتحرك ببطء شديد كأن الزمن يكاد يتوقف، جاءت إلى جواري لوسيان ونظرت إلي ثم عانقتني فعاد كل شيء داخلي إلى طبيعته، من الصعب أن تشقّ إلى نصفين، من الصعب أن تتمزق مشاعرك ما بين الماضي والحاضر، من الصعب أن لا تعرف ما الذي عليك فعله وما الذي سوف يحدث إذا فعلت أو لم تفعل أو رضيت بواقع الأمر.

الجزء السابع

(جونسون)

الرابع من يناير

لم ينتهِ الألم الذي في رأسي لكن العقاقير التي حصلتُ عليها من الدكتور ألفريد جعلتني لا أشعر بالقليل منه لكن الجيد في الأمر أن بعض الصور عادت إلى ذاكرتي لكنها مشوشة بعض الشيء، أظن أن في الأيام القادمة سوف أحصل على ذاكرة مكتملة المعالم، لقد استغرقتُ وقتًا طويلًا في النوم، جين لم تتصل حتى الآن، الساعة التاسعه صباحًا، رائحة العطور تملأ غرفتي الفوضوية، الهاتف المزعج يرن من جديد، لا بد أنها جين.. صباح الخير. أووه عزيزي ستيوارت لم تأخذ الكثير من الوقت، هل توصلت إلى أي شيء؟.. حسنًا لحظة حتى أدوّن ما تقول. جيد، جيد، حسنًا هذا جيد. إلى اللقاء.

***

الغبي ستيوارت يقول إنه علم هوية البنت التي علمت أنا هويتها قبله، رجل ساذج وضع في وظيفة مهمة، ما زلت مشوشًا وبعض الصور في رأسي غير واضحة، لقد حصلتُ على صورة فتاة يظهر نصف وجهها فقط، لا بد أنها ماري، حسنًا أين فرشاة الرسم؟.. يبدو أنها فتاة جميلة لكن للأسف وجهها غير مكتمل في ذاكرتي، أعتقد إذا قمتُ برسم نصف الوجه مرتين مقابل بعضه سوف أحصل على ملامحها كاملة بنسبة كبيرة وهذا ما سوف يفعله جونسون العبقري.

لقد اكتملت..

وجـه امـرأة جميلـة تبعـث في نفسـك السـلام الداخـلي، شـعرها أسـود داكـن، سـتمر مئـات السـنين ويظـل شـعرها بهـذا اللـون، لا يتقـدم بهـا العمـر، مـا زالـت تحتفـظ بطفولتهـا رغـم حقـارة العيـش في هـذا الكـون، تبتسـم رغـم كل شيء، لا تـرى عينيهـا سـوى النـور، فحدقتهـا تتسـع للعـالم والقلـب كذلـك.. مـاذا أرسـم أيضًـا؟ تحمـل في يدهـا زهـرة بيضـاء وفي عيونهـا لـون السـماء، ترتـدي فسـتانًا أحمـر مطـرز بالذهـب... وبرغـم كل ذلـك مـا زالـت حزينـة! لمـاذا أنـتِ حزينـة يـا فتـاتي؟! أنـا أعلـم أن هـذا العـالم لا يناسـب نقـاء قلبـك، مـا الـذي حـدث لـكِ؟ هـل تطـاردك الذكريـات أيضًـا؟ لا أظـن كذلـك، فرؤيـة عينيـك بهـذا الحـزن كجنـدي في الحـرب فقـد قدمـه وذراعـه

معًـا لا يسـتطيع اسـتكمال القتـال ولا يسـتطيع الفـرار مـن المعركـة وأخـذ يبحـث عـن سـبب لنجاتـه، أنـا يـا فتـاتي لسـتُ في حـال أفضل فقـد اخـترت هـذه الحـرب بكامـل إرادتي، هـل تبتسـمين أم أننـي ثمـل هـل خدعتنـي فرشـاتي ورسـمت لـكِ ابتسـامة حقيقيـة ليسـت مصطنعـة، نعـم أنـتِ تبتسـمين فقـد اسـتيقظ الجنـدي عـلى صـوت قائـده وكان مجـرد حلـم مزعـج وعـاد إلى ديـاره واحتضـن أمـه وزوجتـه، إنهـا بعـض الأحـلام التـي لـن نتمنـى أن تتحقـق، وهنـاك بعـض الأحـلام التـي نتمنـى أن تتحقـق، كرؤيتـي لفتـاتي هـذه تسـير إلى جـواري لكـي لا أظـل وحيـدًا.

يبـدو أن هـذا الـدواء يجعلنـي ثمـلًا أكثـر مـن المئـات مـن زجاجـات الويسـكي، مـن الأفضـل أن أرتـدي ملابـسي وأذهـب إلى مـكان بـه

هـواء نقـي، كـما قـال الدكتـور ألفريـد: عـلي الحصـول دائـمًا عـلى هـواء نقـي إلى جانـب أنـه لا بـد أن ألتقـي بــ برثـا اليـوم.

جـين مـا زالـت مشـغولة في عملهـا، لا بـد أن أخـرج مـن بـاب الفنــدق قبـل أن تلاحــظ، والآن إلى محطــة الوقــود حيــث تعمــل برثـا، الفتـاة التـي تصـارع الحيـاة مـن أجـل البقـاء، برغـم مـن كل مـا حـدث لا أبغضهـا، أعلـم أن الجميـع يخطـئ وقـد يكـون الخطـأ الــذي ارتكبتــه هــو مــا جعــل الطريــق أمامــي منــيرًا، لقــد اتضــح كل شيء، عندمــا ألقــى بي القــدر في هــذا الطريــق كانــت تســتطيع الهـروب مـن أمامـي أو أن تنكـر صلتهـا بي تحديـدًا وأنـا الـذي أعـاني مــن ذاكــرة مشوشــة، لــو أنهــا أخبرتنــي أنهــا لم تــرانِ مــن قبــل كنــت ســأصدق ذلــك، لكــن حالــة الهلــع التــي اســتقبلتني بهــا هــو الــشيء الــذي يثبــت أنهــا اعترفــت داخلهــا بالخطــأ الــذي ارتكبتــه في حقــي لذلـك لم أبغضهـا يومًـا مـا فالجميـع يلقـي بـه القـدر في طـرق لا يريـد السـير فيهـا، الجميـع لا بـد أن يدخـل هـذا الاختبـار، القبـول بالخطـأ في سـبيل تحقيـق غايـة شـخصية أو التنـازل عـن غاياتـك مـن أجـل الابتعــاد عــن الخطــأ لكــن دائــمًا الإنســان تــأتي هزيمتــه مــن خــلال رغباتــه ومــن خــلال الأشــياء التــي يحبهــا.

هــا قــد وصلــت.. أيــن أنــتِ يــا برثــا؟ محطــة الوقــود بهــا الكثــير مــن الســيارات كعادتهــا، أكاد أســمع صوتهــا وهــي تخــبر أحــد الســائقين أن عليــه أن يدفــع لهــا نظــير الخدمــات التــي تقدمهــا هنــا والاعتنــاء بســيارته، بعــد مشــادة بينهــا وبــين الســائق تتحــرك الســيارة مــن أمامــي وأقــف أمامهــا.

أووه ســيد جونســون، كيــف حالــك؟.. أنــا بخــير، انتهــى وقــت

عملـك؟.. نعـم. حسـنًا لنذهـب. لا بـد وأنـك أصلحـت سـاعتك سـيد جونسـون فأنـت تعلـم موعـد انتهـاء عمـلي. ومـا علاقـة ساعتي بالأمـر؟.. لقـد لاحظـت أن السـاعة التـي ترتديهـا متوقفـة دائـمًا. حسـنًا. سـيد جونسـون، كيـف أسـتطيع مسـاعدتك؟.. أريـد أن نسـتكمل مـا خططـت لـه جـين فقـط. وكيـف يحـدث ذلـك؟.. عندمـا تشـعلين نـارًا دون توقـف مـاذا سـوف يحـدث؟.. سـوف تـأكل النـار بعضهـا إلى أن تنطفـئ. هـذا مـا سـوف نفعلـه، ستذهبين إلى جـين غـدًا وتخبريهـا أننـا نلتقـي وقـد وقعنـا في حـب بعـض وأن علاقتنـا تطـورت بشـكل كبـير وقـد نتـزوج قريبًـا. وهـل سـتقبل بهـذا الأمـر؟.. لـن تقبـل بـكل تأكيـد، سـتفعل أي شيء حتـى لا يحـدث هـذا. ثـم؟.. ثـم سـأفعل مـا يمكنننـي فعلـه، لا عليـكِ، فقـط قومـي بـما طلبتـه. حسـنًا سـيد جونسـون سـأفعل مـا تطلبـه لكـن مـا الـذي يضمـن لي أن لا تؤذينـي جـين؟.. سـوف أوفـر لـكِ كل الحمايـة الممكنـة منهـا، لـن أدعـك لقمـة سـائغة في فمهـا، الآن لـدي بعـض الأعـمال سـأقوم بهـا لـن أعـود إلى الفنـدق حتـى المسـاء وهـذا وقـت كافٍ لكـي تذهبـي وتتحدثـي معهـا. حسـنًا سـيد جونسـون.

السابع من يناير

منام مزعج جدًّا! كم الساعة الآن؟ أووه ما هذا الألم؟! الهاتف من جديد، لا أستطيع التركيز... صباح الخير، نعم نعم أنا بخير لورا هل هناك خطب ما؟.. كيف حدث ذلك ما هو تاريخ اليوم؟!.. أووه السابع من يناير، هل هذا صحيح لورا؟.. أنا بخير لكن لدي ألم شديد في رأسي ورأيت منامًا مزعجًا ومشوشًا بعض الشيء، حسنًا حسنًا أنا قادم سوف نلتقي في سبرينج لا بد من رؤية والدك في أسرع وقت. عزيزتي أؤكد لكي أنني بخير.

علي ارتداء ملابسي، لا أستطيع السير، أنا غير متزن، أخبرتني لورا عبر الهاتف أن هناك شيئًا غريبًا يحدث لي لا أعلم كيف أنزل على السلم وأنا أترنح كالذي شرب عشرة كؤوس من الويسكي دفعة واحدة.

جونسون! جون.. صباح الخير جين. جونسون أريد التحدث معك في أمر مهم. حسنًا ليس الآن عزيزتي، لدي موعد مهم. لقد مضى ثلاثة أيام وأنت في غرفتك حتى إنني حسبت أنك في نيويورك لكن أخبرني فلويد أنك في غرفتك، كنت أطرق الباب حتى سمع صوته جميع سكان لوس أنجلوس ولكن دون جدوى، هل أنت بخير جون؟.. نعم نعم أنا بخير، كنت ثملًا فقط، تعلمين الويسكي يجعلني أنام لا أشعر بشيء جين. علينا أن نتحدث جونسون، لقد تغيرت كثيرًا عن السابق، ما الذي

يشـغل تفكـيرك إلى هـذا الحـد؟.. عزيـزتي أنـا بخـير، فقـط لـدي موعـد مهـم في المسـاء سـوف نتحـدث عـن كل مـا تريديـن، عـلي الذهـاب الآن. حسـنًا كـما تريـد. إلى اللقـاء.

***

في طريقـي إلى سـبرينج الآن، أخبرتنـي لـورا عـبر الهاتـف أننـي نمت لثلاثـة أيـام متتاليـة لم أسـتيقظ، لقـد رأيـت بعـض الأحـلام المشوشـة، أتمنـى أن يكـون لـدى الدكتـور ألفريـد توضيـح حـول هـذا الأمـر، لم أصـدق مـا قالتـه لـورا حتـى أكـدت جـين عليـه، إنـه لأمـر غريـب حقًّـا، بعـض الوجـوه التـي رأيتهـا في منامـي اليـوم تختلـف عـن مـا سـبقها، يبـدو أن حيـاتي السـابقة كان بهـا الكثـير مـن الأشـخاص لكـن أليـس مـن العجيـب أنـه لم يبحـث عنـي أي أحـد حتـى الآن! أعتقـد أن جونسـون منبـوذ مـن قبـل كل هـذه الأحـداث، كانـت فكـرتي صحيحـة عـن مـا أراه داخـلي فأنـا أسـوأ الأشـخاص عـلى الإطـلاق، هـذه الحقيقـة التـي لا تغيـب عنـي حتـى وإن فقـدت ذاكـرتي آلاف المـرات، كل شيء يسـير في طريـق غـير واضـح المعـالم، كل البـشر تقريبًـا يسـيرون في طريـق غـير واضـح محاولـين إدراك النهايـة لكن هذا لا يحـدث أبـدًا ولـن يحـدث، فنهايـة الطريـق لم يفصـح عنهـا أحـد، لا سـيما بعـض الأسـاطير التـي نسـمعها مـن رجـال الديـن والتـي لم نرَهـا، وإذا حـدث ورأيناهـا لـن نسـتطيع أن نخـبر بهـا القادمـين مـن خلفنـا لذلـك تبقـى أسـاطير لـدى الكثـير مـن النـاس.

هـا قـد وصلـت إلى سـبرينج، الحـي السـيء الـذي مـن المفـترض أننـي ولـدتُ فيـه، لـورا تنتظـرني أمـام بـاب عيـادة والدهـا، كانـت ترتجـف مـن الـبرد لكـن يـزداد جمالهـا في كل لقـاء لنـا، أمـر غريـب

أن أشعر بذلك.. مرحبًا عزيزتي، كيف حالك اليوم؟.. جونسون ما الذي يحدث معك؟.. لم يحدث شيء، لقد استغربت الأمر حتى إن جين أخبرتني أنني أمكث في غرفتي منذ ثلاثة أيام، لا أعلم كيف حدث هذا لكن أعتقد أن والدك لديه تفسير لهذه الحالة. حسنًا جونسون، لنذهب إليه الآن.

صباح الخير دكتور ألفريد. صباح الخير سيد جونسون، لا تقلق حيال ما حدث لك. أبي جونسون ظل ثلاثة أيام نائمًا وما زال يعاني من ألم في رأسه. نعم هذه حالة طبيعية. سيد جونسون تبقى لك يوم واحد فقط وستعود إليك ذاكرتك، عليك استجماع قواك حتى يحدث هذا الأمر على أفضل صورة ممكنة، تذكر أنك الآن في حالة أفضل وأن المخدر الذي كنت تحتسيه داخل القهوة قمنا بالقضاء عليه، أنت الآن على أتم الاستعداد لاستعادة ذكرياتك. دكتور ألفريد، هل سأفقد ذاكرتي الحالية؟.. لا سيد جونسون، ستظل الأحداث الحالية في عقلك لكن قد تعاني من بعض التشتت وقد تختلط الأحداث مع بعضها البعض، عليك تحمل هذا الأمر لأيام فقط وكل شيء سوف يصبح جيدًا بشكل تدريجي. حسنًا دكتور ألفريد، أنا أشكرك جزيل الشكر، سوف أذهب الآن، لورا هل ستذهبين معي؟.. نعم جونسون، أبي لن أتأخر، سوف أساعد السيد جونسون في بعض الأعمال، إلى اللقاء.

جونسون هل قدم لك المحقق ستيوارت أي معلومات حول الصورة التي رسمتها؟.. نعم، لقد حدث شيء لم أتوقعه. ما الذي حدث؟.. التقيت بلوجينا ديران في محطة الوقود، هي تعمل

بها وأخبرتني أنها جاءت لتمثل دور ماري، وكان هذا ضمن اتفاق عقدته مع جين، وأن اسمها الحقيقي بيرثا. يا للهول! وما هي ردة فعلك عندما علمت بكل ذلك؟.. لم أخبرها سوى بأنني أريد أن تساعدني حتى نصلح ما أفسدته. جونسون لماذا لم تقدمها للشرطة وينتهي الأمر. عزيزتي لورا هذه الفتاة أُجبرت على فعل هذا الأمر. ومن الذي أجبرها؟.. الفقر يا عزيزتي، لقد عرضت عليها جين مبلغًا من المال مقابل تمثيل دور ماري. وما هو هدف جين؟.. كانت تريد أن تشغلني في أمر ما فقط. جونسون أتمنى أن تفعل الصواب حيال هذا الأمر، أتمنى أن تدرك أن جين سوف تفعل أي شيء للحصول على المال والفندق وكل شيء. أعلم لورا، كل ما أريده هو عودة ذاكرتي ثم ترتيب أوراقي من جديد لذلك اتفقت مع بيرثا أن تخبر جين أننا سوف نتزوج وهذا الأمر كفيل أن يجعلها تنشغل عن التفكير أو التخطيط لأي شيء. متى التقيت بيرثا؟.. منذ ثلاثة أيام. ولماذا لم تتحدث معك حتى الآن؟ هل أخبرت جين بما طلبته منها؟.. لا أعلم لورا، لكن يبدو أنها فعلت، فجين كانت غاضبة عندما رأتني في الصباح. حسنًا جونسون، الآن عُد إلى الفندق، سوف أتصل بك في الصباح أتمنى أن أكون ما زلت في ذاكرتك. حسنًا إلى اللقاء.

***

هذا الأمر لا يحدث لورا، لا يحدث أن تغيبي عن ذاكرتي، لقد اعتدتُ على رؤيتك، اعتدتُ على رؤية وجهك كل صباح، اعتدت على نقاء قلبك وجمال ابتسامتك والشمس التي تشرق

مـــن خلالـــك وقلادتـــك الذهبيـــة المعلقـــة في رقبتـــك، اعتـــدت أن أحدهـم بجـواري، أن أحدهـم يقـول: جئـت مـن أجلـك، اعتـدت أن لا أسـير في الطريـق وحيـدًا، أن لا أشـعر بمـرارة الغربـة في وطـن لا يعـرف مـن أنـا ولا أعـرف عنـه شـيئًا، اعتـدتُ عـلى الجـزء الجيـد داخــل روحــي، الجــزء الــذي يرفــض كل شيء بغيــض أقــوم بــه، الجــزء الــذي يقــاوم حقــارتي.

***

بعـد أن عُـدت مـن سـبرينج كانـت جـين تنتظر غاضبـة، اسـتوقفتني عنـد بـاب الفنـدق. جونسـون، أيـن كنـت؟.. مـاذا حـلّ بـكِ جـين؟ كنـت أقـوم ببعـض الأعـمال. ومـا هـي هـذه الأعـمال؟.. جـين أنـا أعلـم مـا الـذي يمكننـي فعلـه ليـس لـدى أحـد الحـق في معرفـة مـا أقـوم بـه. جونسـون أنـت لا تعلـم أنـا أخـاف عليـك فقـط. جـين أنـا حقًّـا متعـب، سـوف أصعـد إلى غرفتـي فقـط. حسـنًا كـما تحـب جـون، سـوف نتحـدث في وقـت لاحـق.

الثامن من يناير

أهـذا حقًّـا مـا حـدث؟! هـل تشـبثت بالحيـاة إلى هـذه الدرجـة؟ لقـد تذكـرت.

الكثـير مـن الدمـاء ووجـه أمـي لكـن لمَـن هـذه اللوحـة التـي رسـمتها، ليسـت مـاري، لقـد تذكـرت وجـه مـاري، إنهـا ليسـت هذه اللوحـة! كان أبي يُعلّـق حـول عنقـه نجمـة حمـراء «شـعار الشـيوعية»، لقـد صدقـت جـين في هـذا الأمـر، يبـدو أننـي كنـت وحيـدًا لسـنوات لم أتذكـر أن لي أخـوة، تذكـرت فقـط كيـف كانـت مـاري تبتسـم؟ تذكـرت وجههـا، هـي لا تشـبه أحـدًا مـن الذيـن حـولي، تذكـرتُ بريـق عينيهـا وكيـف كانـت تقبـض عـلى يـدي كأننـي ولـدتُ اليـوم، لكـن مَـن هـذه المـرأة؟ أعتقـد أنهـا والـدة مـاري فهـي تشـبه بشـكل كبـير اللوحـات السـبع التـي في غرفتـي، لا بـد أن أخـبر لـورا بـكل ذلـك.

لـورا، نعـم أنـا جونسـون عـلى الهاتـف، لقـد تذكـرت كل شيء، نعـم وجـه أمـي ومـاري وأبي وتفاصيـل مـا حـدث ذاك اليـوم في مستشـفى سـبرينج قبـل سـبع سـنوات، كان ذلـك أمـرًا مريعًـا! لـورا لا بـد أن نلتقـي عزيـزتي، حسـنًا حسـنًا أنـا قـادم.

***

ذهبـت إلى حـي سـبرينج حتـى ألتقـي لـورا، كانـت هـذه المـرة الأولى التـي أشـاهد فيهـا هـذا الحـي بـكل مـا يحمـل مـن تفاصيـل، لطالمـا

أبغضت هـذا المكان اليوم لي بـه كل الذكريات، كان أبي يبغض سبرينج أيضًا، أنا الآن أحب هـذا المكان لكن ليس كثيرًا، لقد سرتُ لساعات وساعات في الحي، كانت لورا تنظر إلي دون أن تتفوه بكلمة، لم تـرِد التشويش علي لكن كان لديها نظرات تعجب لما يحدث، عند رؤيتها لي كانت عيناها تفيض سعادة كأنها طفل حصل على هدية عيد الميلاد لأول مرة في عمره، ابتسمت عند رؤيتي وقبضت على يدي وقالت: «لقد انتهى هـذا الأمر»، في إشارة إلى أننا انتصرنا على المرض.. كانت هـذه المرة الأولى التي أتعلق بها بكلمات أحدهم، لورا تعرف كيف تعبّر عن ما بداخلي قبل أن أتحدث، ظللتُ أسير في طرقات سبرينج أبحث عن الماضي، عندما كنت آتي إلى هـذا الحي في الأيام التي مضت كنت ألاحظ كل شيء سيء.. أعمدة الإنارة خافتة، الضوء وألوان الحي رمادية وبقايا المطر على الطرقات جعلها وحلًا، اليوم كل شيء قد تغير، نظرتي لكل شيء هنا تغيرت، كنّا نركض هنا أنا وماري نركل كرات الثلج هنا بجوار نقطة تفتيش سبرينج، خطواتي تعبر بي إلى الذكريات، سنوات من التيه حاصرتني حتى فقدت كل شيء وذهبت إلى الفندق اللعين.

اقترحت لورا أن أذهب لرؤية بيت العائلة أو ما تبقى منه، وافقت على الفور لكن خطواتي أصبحت تتثاقل، لا أعلم هل أريد هـذا حقًّا أم لا، لكنها شجعتني على فعل هـذا الأمر، كنتُ أسير كأنني ذاهب إلى مثواي الأخير حتى اقتربتُ منه، كانت أشرطة ممنوع الاقتراب أمام البيت، هكذا ظلت لسنوات منذ الحادث المروع.. شعرت أن قلبي سيخترق ضلوعي من قوة

نبضاته وبدأت أنفاسي تتسارع وحرارة البكاء في عيني، وضعت يدي على صدري أحاول التماسك لكن لم يفلح الأمر، لكن لورا وقفت خلفي وعانقتني بقوة وقالت لقد انتهى الأمر جون لقد انتهى الأمر.. لم أدر وجهي لها، لم أعهد أن أبكي أمام أحدهم، وضعتُ يدي على يدها فقط حتى أمنع قطرات الدمع من الوصول إليها، هنا حيث انتهى كل شيء وفقدت كل شيء، سبع سنوات من القتال الشرس مع الحياة بدون جدوى، سبع سنوات من القهر وأنا لا أملك هوية أو منزل أو عائلة، لا أملك سوى قلمي وفرشاتي واللوحات البيضاء، لورا أنا أشعر بالهزيمة كأن قذائف الحرب سقطت على رأسي الآن. جونسون لقد انتهى الأمر، كان ذلك قبل سنوات، أعلم ما تشعر به لكن كان لا بد أن يحدث ذلك. لا أعلم ماذا أقول، ما الذي يمكنني قوله حقًّا في هذه اللحظة؟.. صلِّي من أجلهم جون. لم أعهد أن أفعل هذا الأمر. لا بد أن تفعل، هل تتذكر أين تقع مقابر العائلة؟.. لا فأنا لم أحضر شعائر الجنازة، كنتُ في المستشفى ومن ثم حدث الذي حدث. لا بد أن نسأل عن هذا الأمر. ليس الآن لورا، أنا متعب، كل ما أريده هو البقاء هنا لساعات، لدي الكثير لأقوله لهم، لدي الكثير لأقوله لحطام منزلنا، لورا سوف أبقى بمفردي هنا، أنا أقدّر ما تقومي به لأجلي لكن عزيزتي لا بد أن تعودي إلى منزلك. حسنًا جون كما تريد، لكن هوّن على نفسك عزيزي إنها نهاية الجميع لا محالة، إلى اللقاء.

لا أعلم ما الذي يمكنني قوله سوى أنني اشتقت لرؤيتكم، إنه لمن سوء حظي أن جعلني القدر على قيد الحياة وأنتم لستم

معي، إنه لمن السوء أن أظل أنا على قيد الحياة بعد رحيلكم، لم يمنحني القدر حتى فرصة لأقوم بتوديعكم إلى مثواكم الأخير، لقد كنت ابنًا عاقًا حتى في آخر اللحظات التي عشتموها، كل ما حدث في السنوات التي مضت لا يُضاهي الألم الذي أشعر به الآن، كل ما حدث كان بسبب الخطيئة التي ارتكبتها أنني فضّلت الحياة على الموت معكم، كل ما حدث كان غضب الرب على جونسون لكن سوف أظل هنا إلى جوار حطام المنزل، إلى جوار قطرات الدماء التي تناثرت منكم على حجارة منزلنا.. سوف أظل هنا.

التاسع من يناير

استيقظت على صوت لورا في أحد مستشفيات سبرينج.

جونسون جونسون، هل تسمعني؟ هل تراني بوضوح جونسون؟.. نعم، أين أنا لورا؟ لماذا عُدت إلى الفندق؟.. عزيزي أنت في مستشفى سبرينج. ما الذي حدث؟.. لقد عُدتُ لرؤيتك فوجدتك ملقى على الأرض فقمت بنقلك إلى المستشفى على الفور، قال الطبيب إنك مصاب بصدمة عصبية فقط لكن سوف تكون بخير. لورا، أريد العودة إلى منزلنا. جونسون عليك البقاء هنا، من فضلك استرح، كما أن هناك أحدًا يريد رؤيتك.

مرحبًا سيد جونسون، أتمنى أن تكون بخير الآن. مرحبًا سيدي مَن أنت؟.. سيد جونسون، أنت لا تعرفني ولم نلتقِ من قبل، لقد ذهبت إلى منزلك وكانت الآنسة لورا إلى جوارك وأنت ملقى على الأرض فقُمنا سويًّا بنقلك إلى المستشفى.. حسنًا حسنًا مَن أنت، هل أعرفك؟.. لا سيد جونسون، اسمي هو أنتوني وأنا جئت من فرنسا منذ أيام فقط، أحدهم كلّفني بمهمة البحث عنك لذلك جئت لأبحث عنك وشاء القدر عندما ذهبت إلى منزلك في سبرينج وجدتك لكن كنت في حالة يُرثى لها.. حسنًا وماذا تريد؟.. لا شيء، فقط كل ما أردته أن أخبرك بالرسالة التي حُملت بها. سيد أنتوني أعتقد أن السيد جونسون ليس في حالة جيدة للحديث حيال هذه الأمور، الآن يمكنك أن

ترتب موعدًا آخر معه فقط لندعه يستريح بعض الوقت. حسنًا آنسة لورا سوف آتي لرؤيته في الفندق الذي أخبرتيني عنه. شكرًا على تفهمك سيد أنتوني.

لورا، مَن هذا الرجل؟.. لا عليك جونسون، هو جاء ليخبرك شيئًا فقط لكن الوقت ليس مناسبًا. أريد العودة إلى الفندق. عليك أن تستريح عزيزي سوف نعود في كل الأحوال.

***

بعد حصولي على الرعاية في مستشفى سبرينج عُدت إلى الفندق من جديد بصحبة لورا، لم تتفوّه جين بأي كلمة لكن كان لها نظرات غريبة كأنها علمت أن ذاكرتي قد عادت لي، ترك الرجل الغريب رقم هاتفه مع لورا حتى أعاود الاتصال به، صعدتُ إلى غرفتي، كنتُ متعبًا للغاية، جلستُ على فراشي فقالت لورا: عليك أن تستريح وجلست بجواري على الكرسي الخشبي. سألتها عن ما إن كان الرجل الغريب أخبرها بشيء. نعم جونسون، الرجل الذي يُدعى أنتوني أخبرني عن سبب مجيئه لك، لكنه كان غامض بعض الشيء، قال إن أحدهم في فرنسا يسأل عنك، قد يكون أحد معجبيك لكنه لم يوضح من هو بالتحديد، قال عليه أن يتأكد أولًا أنك جونسون الذي يبحث عنه ثم يخبرك بالحقيقة كلها حتى لا يفشي أسرارًا للشخص الخاطئ.. لورا اتصلي به وأخبريه أنني أنتظره هنا في الفندق، سوف نتحدث في المقهى. جونسون لا أفضل أن تثار هذه الأمور في حضور جين، أنت تعلم أكثر مني، إنها هي من تسببت بكل ذلك. حسنًا ماذا تقترحين؟.. سوف نلتقي به خارج الفندق

لكــن أريــد أن أســألك مــا الــذي ســوف تفعلــه بعدمــا عــادت لــك ذاكرتــك؟.. ســوف أبحــث عــن مــاري. لكــن بحســب مــا ذكــر أليكـس في أوراقـه أن مـاري لم يعـد لهـا وجـود. حسـنًا لـورا مـا الـذي عــلي فعلــه؟.. جونســون هــل كانــت مــاري مولعــة باللوحــات؟.. نعـم بـكل تأكيـد. سـوف أقـترح عليـكِ أمـر لكنـه في غايـة الصعوبـة. مـا هـو لـورا؟.. إن كانـت مـاري ليـس لهـا وجـود هنـا عـلى الأرجـح أنهــا غــادرت أمريــكا، وعــلى الأرجــح أنهــا ذهبــت للبــلاد الأكثــر أمانًــا في الحقبــة التــي ســافرت فيهــا، لديــك ســبع لوحــات لوالــدة مــاري، مــا الــذي ســيحدث إن أرســلتها لأكــبر متاحــف العــالم؟.. أعتقـد جونسـون لدينـا احتـمال ولـو بنسـبة ضئيلـة أن تصـادف مـاري إحــدى لوحاتــك. فكــرة جيــدة لــورا. لكــن كيــف ســتقوم بهــا؟.. ســوف أتحــدث إلى بيــتر. مــن هــو بيــتر؟.. إنــه يقــوم بتنســيق الكثــير مــن المعــارض حــول العــالم، أعتقــد أنــه يســتطيع فعــل هــذا الأمــر. حســنًا جــون، اتصــل بــه الآن وأخــبره قبــل أن تلاحــظ جــين أي شيء ممــا يحــدث. لكــن كيــف سأســلم لــه اللوحــات وأنــا متعــب إلى هــذا الحــد؟.. ســوف ألتقــي بــه أنــا جــون وأعطيهــا لــه، لا عليــك، فقــط اســترح الآن.

الجزء الثامن

(جونسون)

الحادي عشر من يناير

تأكـدتُ أن أنتـوني غـادر فرنسـا متجهًـا إلى نيويـورك ووعـدني بأنـه سـوف يبحـث عـن جونسـون، ليـون مـا زال لا يتحـدث إلي بسـبب مـا قلتـه منـذ أيـام، لقـد أفرغت غضـب السـبع سـنوات في هـذا اليوم، أعتقـد أيضًـا أن كلـمات أنتـون أثّـرت بي وهـي مـا جعلتنـي أتحـدث مـع ليـون بهـذه الطريقـة السيئة، لم أذهـب إلى العمـل منـذ ذاك اليـوم، كنـتُ متعبـة وأشـعر بالكثـير مـن خيبـة الأمـل، فقـدت جونسـون والآن أنـا في طريقـي لفقـدان ليـون، أعـترف أمـام نفسي أنني لم أعـد كـما كنـت، كل شيء داخـلي قـد تغـيّر مـع مـرور السـنوات، يجلـس الآن ليـون ممسـكًا ببعـض الأوراق ينظـر إليهـا، لا يبـدو أنـه في حالـة جيـدة، لم يقبـل أن أقـوم بإعـداد القهـوة لـه في الأيـام التـي مضـت، حتـى إنـه وضـع فنجانًـا بـه مـاء أمامـه حتـى يقنـع نفسـه أن هـذه قهـوة ويحتسي منهـا الرشـفة بعـد الرشـفة، لم أكـن أعلـم أنـه مختـل عقليًّـا إلى هـذه الدرجـة.. الآن يقـوم مـن عـلى الكـرسي حتـى يجيـب عـن الهاتـف، أعتقـد أنهـا ماجدولـين فهـي لم تعهـد أن يمـر ثلاثـة أيـام دون أن نقـوم بزيارتهـا.. كـما توقعـت، إنهـا ماجدولـين، وهـو الآن يستعد لمغـادرة المنـزل، حسـنًا ليـون اذهـب للجحيـم عزيـزي لا أريـد رؤيتـك.

وقـف لدقائـق لا يعلـم مـا الـذي يمكنـه فعلـه، ثـم أشـار إلى أندريـه وقـال: سـوف تـأتي معـي إلى جدتـك، فيـما قـام الصغـير أندريـه بهـز

رأسـه بالموافقـة، أخـبره هـذا الأمـر أمامـي حتـى أقـوم بتجهيـز لـه ملابســه، صعــدت إلى الأعــلى وقمــت بتجهيــز ملابســه وأخــبرت أندريــه أن ملابســك أصبحــت جاهــزة في الأعــلى، عــلى الفــور ذهــب هــو وأندريــه إلى الأعــلى وقامــوا بارتــداء ملابســهم والخــروج مــن المنــزل، فيـما وقفـت لوسـيان لا تعلـم مـا الـذي يحـدث لكنهـا عانقتنـي كعادتهـا، مـرّت السـاعات وأنـا جالسـة عـلى الكـرسي حتـى نامـت لوسـيان وهـي تعانقنـي، لا أفكـر في شيء، لا أفعـل شـيئًا سـوى حالـة السـكون حتـى رن الهاتـف، ذهبـت وأنـا أحمـل لوسـيان عـلى يـدي.. أمسـكت بالهاتـف.. مرحبًـا، نعـم نعـم إنـه منـزل الدكتـور ليـون، لا هـو ليـس متواجـدًا الآن، هـل أخـبره بـشيء عنـد عودتـه؟.. بشـأن مـاذا؟.. العـم سـام، هـل هـو بخـير؟.. حسـنًا سـوف أخـبره أن يذهــب إلى المستشــفى في أسرع وقــت، إلى اللقــاء.

لوسـيان لوسـيان.. عزيـزتي اذهبـي إلى الفـراش الآن، سـوف أعـود وأنـام جـوارك لكـن بعـد أن أتحـدث إلى والـدك حبيبتـي.. ألـو ليـون، أنـا مـاري، ليـس هنـاك وقـت لهـذا العتـاب، لقـد اتصلـت المستشـفى وتريـد رؤيتـك والتحـدث معـك بشـأن حالـة العـم سـام، عليـك الذهـاب عـلى الفـور.. لا لم يخـبرني مـا الأمـر قـال عليـك أن تتوجـه إلى المستشـفى فقـط.. حسـنًا.. لا سـوف أنتظـرك في المستشـفى.. ليـون سـأكون بخـير اذهـب فقـط وسـوف نلتقـي هنـاك.

***

ذهبـتُ إلى المستشـفى وكان ليـون وماجدولـين يتحدثان مـع الأطباء، قــال إن الأطبــاء أخــبروه أن حالتــه اســتقرت بشــكل كبــير وعلينــا أن ننقلـه إلى المنـزل لكـن مـع طاقـم طبـي لرعايتـه، سـعدتُ بهـذا الخـبر،

لقد توقعت أن حالته الصحية تدهورت بشكل كبير، مضت ساعات انتظرناها في المستشفى حتى أصدر الطبيب المعالج قرارًا بخروج العم سام، رافقنا إلى المنزل طاقم طبي ليقوم برعايته، كان يبدو عليه أنه في حاله جيدة لكنه لا يقوى على الحركة أو الكثير من الكلام، قال ليون إنه سوف يكون بخير يومًا بعد يوم، كان يتحدث معي وكأنه نسي ما حدث لكن أنا أعرفه جيدًا، هو يفعل ذلك دائمًا، عندما نعود إلى المنزل سوف يعود الأمر كما كان، إن لم يعد أسوأ من السابق.

الثاني عشر من يناير

إنها المرة الأولى التي أرى فيها جونسون في منامي.. استيقظت وشعرت بضيق في صدري حتى إن ليون لاحظ الأمر، كنت لا أستطيع التقاط أنفاسي قال سوف أقوم بفحصك وقام بذلك بالفعل.. تشعرين ببعض التوتر ماري، لقد انتهى أمر الخلاف الذي بيننا، هل رأيتِ شيئًا في منامك؟.. لا عزيزي، أنا فقط متعبة بعض الشيء، سوف أقوم بإعداد الفطور وعلي الذهاب إلى المتحف. حسنًا عزيزتي. سوف أوصل الأطفال إلى بيت ماجدولين ريثما تعدي الفطور. حسنًا.

قمت بإعداد الفطور ثم ذهب ليون إلى ماجدولين وأخذ معه أندريه ولوسيان، قمت بارتداء ملابسي والذهاب إلى المتحف، ما زلت متعبة ودقات قلبي تتسارع، حتى إن العاملين في المتحف لاحظوا الأمر لكن لم أستطع الاعتذار والذهاب إلى المنزل فقد كانت هناك أعمال صيانة للوحات وبعض اللوحات تم استبدالها، كنت أتابع الأمر عن كثب حتى إنهم قاموا بإزالة لوحة السيد أنتوني التي كان يقف أمامها لساعات، أعتقد أنه سيحزن عند معرفة هذا الأمر، لكن الجيد أن هناك الكثير من اللوحات الجديدة التي انضمت إلى المتحف وهو ما يعطيني مساحة لرؤية المزيد من الإبداع، لقد كنت أشعر بالملل عند رؤية اللوحات نفسها كل يوم، والآن قامت إدارة المتحف بفتح بابه لاستقبال الزوار بعد الانتهاء من التجديدات، كنت أراقبهم حتى أعلم أي من

اللوحـات الجديـدة سـوف تعجـب الكثـير منهـم.. بعـد إزالـة لوحـة السـيد أنتـوني قـام المتحـف بوضـع لوحـة جديـدة لكـن لاحظـت أن الكثـير مـن الـزوار يقفـون أمامهـا، لم أنظـر إليهـا فهـي معلقـة عـلى الحائـط المقابـل لي لا تظهـر بوضـوح لكـن الأمـر كان يلاحظـه الجميـع حتـى إن بعـض المراقبـين ذهـب خصيصًـا للنظـر إليهـا حتـى يعلـم الـسر الـذي بهـا، انتابنـي الفضـول تجـاه تلـك اللوحـة، انتظـرتُ حتـى قـلّ عـدد الـزوار الواقفـون أمامهـا وذهبـتُ لأنظـر إليهـا، كنتُ أسـير بخطـوات بطيئـة وأنظـر إليهـا، مـع كل خطـوة كنـت أشـعر أن هـذه اللوحـة رأيتهـا مـن قبـل، يبـدو أنهـا لوحـة لسـيدة ذات شـعر أحمـر، اقتربـت أكثـر، كأننـي رأيـت هـذه المـرأة مـن قبـل، إنهـا تشـبه إيزابيـل، إنهـا رائعـة حقًّـا، لكـن مَـن الـذي رسـمها؟ لم يـدوّن اسـمه عليهـا! مـن الغريـب أن تقـوم إدارة المتحـف بوضـع لوحـة لم يوقّـع عليهـا الرسـام الـذي رسـمها، وقـف أحـد الـزوار يعـبّر عـن إعجابـه باللوحـة، يبـدو أنـه يعلـم الكثـير عنهـا فقـد قـال إن هناك سـبع نسـخ منهـا في متاحـف العـالم... مرحبًـا سـيدي. مرحبًـا. مـا قصـة هـذه اللوحـة؟ أسـتمحيك عـذرًا. إنهـا لأحـد الرسـامين قـام برسـم هـذه اللوحـة سـبع مـرات عـلى فـترات بعيـدة لكـن لا يسـتطيع أن يفـرق بينهـم وقـام بنشرهـم في أكـبر المتاحـف الفنيـة في العـالم، المثـير في الأمـر أن هـذا الرسـام لا يوقّـع عـلى لوحاتـه مـن الأمـام، إنـه يوقـع في الجهـة الأخـرى مـن اللوحـة لأن لديـه اعتقـاد أن توقيعـه قـد يشـوّه الرسـمة ويريـد أن يحكـم النـاس عـلى الإبـداع لا عليـه. حسـنًا أشـكرك سـيدي، لكـن إدارة المتحـف لا تسـمح لأحـد برفـع اللوحـات مـن عـلى الحائـط أو لمسـها حتـى. نعـم سـيدتي، هـذا مـا يثـير فضـول كل

الـزوار، تحديـدًا أن قصـة السـبع لوحـات تناقلتهـا الصحـف فـلا أحـد يعلـم مَـن الـذي رسـمهم حتـى الآن ولا تُفصـح المتاحـف عـن هـذا الـسر حتـى تثـير فضـول الـزوار. نعـم هـذا صحيـح لكـن بالتأكيـد سـيقوم أحـد الـزوار بخـرق قوانـين المتحـف ورفـع اللوحـة مـن عـلى الحائـط لرؤيـة توقيـع مـن رسـمها، عندمـا يحـدث هـذا الأمـر سـيعلم الجميـع.

أثـار هـذا الرجـل فضـولي بشـكل كبـير، تحديـدًا وأن اللوحـة تشـبه إيزابيـل إن لم تكـن هـي بالفعـل، لا أعلـم مـا الـذي حـلّ بي؟! هـل نسـيت ملامـح وجـه إيزابيـل؟! لكـن مـا الـذي يجعـل رسـامًا يقـوم برسـم لوحـة سـبع مـرات؟! هنـاك أمـر غريـب في هـذه القصـة، يقـودني فضـولي أن أقـوم بالنظـر خلـف اللوحـة ومعرفـة مَـن رسـمها لكـن ليـس الآن عـلى الأقـل قبـل إغـلاق المتحـف بدقائـق يمكننـي فعلهـا.

***

مضـت السـاعة تلـو الأخـرى، جـاء الكثـير مـن الـزوار، الجميـع يهتـم لأمرهـا، كلـما جـاء أحدهـم ونظـر إليهـا زاد شـعوري بالفضـول حـول معرفـة مـا قصتهـا، أوشـك المتحـف عـلى الإغـلاق، أصبحـت السـابعة مسـاءً، يقـوم مراقبـو الـزوار بالتأكـد أن الجميـع قـد خـرج مـن المتحـف تحديـدًا الأطفـال والبعـض الآخـر منهـم يقـوم بإغـلاق النوافـذ بإحـكام والبعـض يطمئـن عـلى سـلامة اللوحـات ونظافتهـا.. هـذه الأمـور تعـد روتينًـا يوميًّـا للعاملـين هنـا في المتحـف، والآن جـاء وقـت مغـادرة الجميـع، الأضـواء مغلقـة، لكننـي تركـت المصبـاح الـذي فـوق اللوحـة يعمـل، قـال المسـؤولون عـن الأمـن عليكـم

الخروج جميعًا.. انتظرت حتى خرج الجميع ثم أخبرتهم أنني سوف أعود إلى المتحف فقد نسيت حقيبتي بالداخل وعلي جلبها، قمت بالدخول بهدوء وكانت الحقيبة بالفعل بالداخل بجوار اللوحة، ثم رفعت اللوحة بلطف من على الحائط ونظرتُ خلفها، يبدو الاسم غير واضح، كأن هذا الرسام يمتلك يدًا سيئة عند الكتابة، ما هو الاسم؟.. جونهنسون! جونسون ديفلوفيك!

نعم جونسون ديفلوفيك وهذه إيزابيل والدتي، يا للهول جونسون! لا لا أنا لا أصدق ما رأيت، جونسون! إنه من رسمها، إنها اللوحة التي وعد بها إيزابيل قبل وفاتها، نعم التاريخ نفسه.. سيدتي سيدتي.. هل جلبتِ حقيبتك؟.. نعم نعم لقد جلبتها. من فضلك تفضلي بالخروج. حسنًا حسنًا.

***

أووه عزيزي جونسون! أنت على قيد الحياة ورسمت لوحة إيزابيل كما وعدتها، لكن أين كنت كل هذه السنوات، لقد خرجت من المتحف يكاد قلبي أن يخترق ضلوعي لولا أن رجل الأمن جاء إلي لبقيت بجانب لوحتك إلى الأبد، لقد اشتقت إليك، لقد مضت السنوات اعتقدت أنني فقدتك، جون ما الذي دفعك للبقاء بعيدًا عني كل تلك السنوات؟!.. لكن كيف استطاع أن يوصل اللوحة إلى المتحف؟! لا بد أن أنتوني التقى به وأخبره وهذه اللوحة هي إشارة منه إلى أنه على قيد الحياة، نعم نعم أظن أنه مَن فعل هذا الشيء من أجلي، لا يهم الآن كيف وصلت اللوحة إلى المتحف؟! لا بد أن أعود إلى أمريكا لكن كيف

سأقنع ليون بالأمر، لا بد من حيلة، العم سام أيضًا مريض لا يمكنه السفر معي، يا إلهي ما الذي علي فعله؟! لقد دوّن عنوانه على اللوحة، ماذا كان؟

نعم نعم فندق مبلتوم، الذي يوجد على أطراف مدينة لوس أنجلوس، هذا يعني أنه لم يغادر لوس أنجلوس.. يا إلهي كم كنت حمقاء عندما غادرت المدينة، لم يكن علي أن أتركه يعيش جحيم الوحدة، لا بد أن أصلح ما أفسدت، لا بد أن أعود بأي ثمن، والآن علي العودة إلى المنزل، لقد تأخر الوقت، سيصاب ليون بالجنون، لا بد أن أظهر عكس ما أشعر به، إنه الألم في أبشع صوره، صعدتُ إلى الحافلة، أسندت رأسي إلى النافذة الزجاجية كما فعلت ذلك كثيرًا من قبل.. أشاهد وجهه في كل نافذة تمر بجواري، أشاهد اسمه على كل جدار، أشاهد ظله بجوار كل عمود إنارة.. كل شيء يذكرني بك جونسون، لقد ارتكبت أبشع الخطايا عندما تركتك في مدينة الملائكة، كنت أبكي كثيرًا كما أفعل الآن، كل من حولي ينظرون إلي، جلس بجواري رجل في العقد الأخير من عمره وضع يده على كتفي وقال: «هوّني عليكِ يا ابنتي». كان ممسكًا بصحيفة ورقية، لم أنظر إليه حتى كأن القدر ألقى به في طريقي حتى أشاهد ما كُتب في الصحيفة، كان هناك خبر صغير في طرف الصفحة كُتب به: «الرسام الأمريكي جونسون ديفلوفيك يقوم بنقل لوحاته السبع إلى أشهر المتاحف في العالم».. اتضحت الأمور لدي، لقد تحقق حلم جونسون في أن يكون مشهورًا وأن تصل لوحاته إلى كل البشرية كما قال ذلك من قبل، لكن هل ما زال يفكر بي؟ هل ما زال يحبني ويبحث

عنـي؟ هـل مـا زلـت حلمـه الـذي سـعى لتحقيقـه لسـنوات؟ لا بـد أنـه قـد نـسي كل هـذا.. في كل الأحـوال سـوف أذهـب إلى لـوس أنجلـوس

أسـتمحيك عـذرًا سـيدي، إنهـا محطـة نـزولي، هـل تفسـح لي الطريـق؟.. حسـنًا ابنتـي تفضـلي.

***

وصلـتُ إلى المنـزل، كانـت سيارة ليـون أمـام البـاب مما يعنـي أنـه في الداخـل، قمـتُ بتجفيـف دموعـي طـوال الطريـق حتـى لا يلاحـظ الأمـر لكـن عندمـا نظـر إلي قـال: مـا الـذي حـلّ بـكِ عزيـزتي؟ هـل هنـاك خطـب مـا؟.. لا عزيـزي أنـا بخـير. لا يبـدو ذلـك، هـل تتنفسـين بشـكل جيـد؟.. نعـم نعـم، أنـا بخـير، فقـط كنـت أفكـر في أمـر العـم سـام وهـو مـا أزعجنـي قليـلًا. مـاري، سـوف يكـون بخـير، لقـد جلسـت إلى جـواره اليـوم وهـو في حـال أفضـل مـن السـابق واسـتطاع أن يتحـدث معنـا، حتـى إن لوسـيان أهدتـه وردة كانـت قـد حصلـت عليهـا مـن الحديقـة التـي بجانـب النهـر. هـذا جيـد عزيـزي، سـوف أذهـب إلى الفـراش، أنـا متعبـة حقًّـا، كان يـوم عمـل شـاق، كـما تعلـم تقـوم إدارة المتحـف بعمـل التجديـدات الشـهرية. حسـنًا عزيـزتي، يمكـن الذهـاب إلى النـوم، سـوف أنتظـر هنـا، لـدي بعـض الأوراق التـي أريـد مراجعتهـا. حسـنًا إلى اللقـاء عزيـزي، أراك في الصبـاح.

***

بعـض الأوراق! أيهـا الفاشـل ولمـاذا تحتـسي الويسـكي وأنـت تراجـع بعـض الأوراق؟! وهـل زجاجـة العطـر مهمـة أثنـاء مراجعـة

بعـض الأوراق؟! أمـر غريـب أن يظـن ليـون أننـي لم ألاحـظ ارتباكـه عندمـا دخلـت إلى المنـزل وعندمـا اقتربـت منـه وعندمـا نظـرت إلى يديـه رأيتـه ممسـكًا بالقلـم، كان يقـوم بكتابـة رسـالة إلى عشـيقته التـي غـادرت باريـس منـذ أيـام، يظـن أننـي لا أراقـب أفعالـه طـوال الوقـت لكـن عـلى أي حـال فليذهـب إلى الجحيـم هـو وهـي، الآن عـلي أن أفكـر في أمـر جونسـون، أووه أنـا متعبـة جـدًّا، لا بـد أن أجـد حـلًّا في الصبـاح.

***

الثالث عشر من يناير

استيقظتُ بمفـردي في الفـراش، كان ليـون قـد غـادر المنـزل متجهًـا إلى عملـه كعادتـه اليوميـة، كأن الليلـة التـي مضـت كانـت محـض حلـم رأيتـه ثـم انتهـى، لكـن للأسـف هـو واقـع ومـأزق عـلي الخـروج منـه سريعًـا، لا بـد أن أقـوم بكتابـة رسـالة إلى أنتـوني، لا بـد أن أخـبره مـا حـدث ولا بـد أن أعلـم كيـف التقـى جونسـون وأيـن؟

الجزء التاسع

(جونسون)

الثالث عشر من يناير

بعد أن استطعت التحرك وأصبحت في حالة صحية جيدة أخبرت لورا أن عليها أن تلتقي بيتر وتُعطيه اللوحات السبع وتُخبره أن يقوم بما اتفقنا عليه، بقي علي أن أتدبر أمر بيرثا فهي لم تأتِ إلى الفندق حتى الآن منذ لقائنا، أظن أنها التقت بجين خارج الفندق لكن لو كان قد حدث هذا الأمر لرأيت النار تخرج من رأس جين ولتحدثت في الأمر.. الصمت الذي تمارسه جين يجعلني أشعر بالمزيد من القلق، على أي حال سوف أذهب إلى محطة الوقود وألتقي بيرثا لأعلم حقيقة ما حدث، لقد انتهت آلام الرأس وأصبحتُ بحالة جيدة، تذكرت كل شيء، لقد كان كل ما مررت به خارج إرادتي لكن ما زلت أرى أنني أذنبت في حق عائلتي وماري وكل من ابتعدت عنه بسبب ما حدث.. على أي حال سوف أصلح الأمر، ما زالت جين تنظر إلي في ترقب كأنها تلاحظ أن كل شيء بي قد تغيّر لكن أهملتها، لم أتحدث معها وهي تسترق النظر إلي وأنا أسير في اتجاه باب الفندق لكن استوقفني أحدهم على الباب، أظن أنني رأيت هذا الرجل من قبل.

***

عِمت مساءً يا سيدي. مساء الخير. لا بد أنك لا تتذكرني. نعم لدي ذاكرة غير متزنة بعض الشيء. اسمي هو أنتوني وقد التقينا في مستشفى سبرينج قبل أيام و... نعم نعم لقد تذكرتك، ما الأمر؟ لقد أخبرتني لورا التي كانت في المستشفى معي

أنـك أردت إخبـاري بـشيء. حسـنًا سـيد جونسـون، هـل سـنظل نتحـدث ونحـن نقـف هنـا عـلى بـاب الفنـدق؟.. عـذرًا منـك كنـتُ أنـوي الذهـاب لأقـوم ببعـض الأعـمال، هـل يمكنـك الذهـاب معـي ونتحـدث ونحـن عـلى الطريـق؟.. نعـم ليـس لـدي مشـكلة. حسـنًا تفضـل. سـيد أنتـوني أنـا رجـل أحـب أن أختـصر الأمـور وعليـك أن تتعامـل معـي بمثـل مـا أحـب. حسـنًا، لقـد تعرفـت عـلى إحـدى الفتيـات في باريـس منـذ أيـام، قالـت إنهـا تعرفـك جيـدًا وهـي تنتظـر عودتـك وأخبرتنـي أن أبحـث عنـك. مـا اسـم هـذه الفتـاة؟.. سـيد جونسـون سـوف أخـبرك بـكل شيء لكـن عـلي أن أتأكـد أنـك الشـخص الـذي أبحـث عنـه قبـل أن أفـشي لـك سر الفتـاة. حسـنًا سـيدي كيـف سـوف تتأكـد؟.. سـيد جونسـون مـاذا تعمـل؟.. أنـا رسـام، أقـوم برسـم اللوحـات وبيعهـا. جيـد، وأيـن كنـت تعيـش؟.. في حـي سـبرينج، في المـكان الـذي سـقطت بـه أرضًـا قبـل أن تـأتي وتسـعفني إلى المستشـفى. حسـنًا سـيد جونسـون، هـل مـررت بحـادث مـا في حياتـك؟.. نعـم، لقـد تـوفي جميـع أفـراد أسرتي منـذ سـنوات في حـادث. حسـنًا يبـدو أنـك الشـخص الـذي أبحـث عنـه. مـا الأمـر سـيد أنتـوني، لمـاذا كل تلـك الأسـئلة؟.. سـيد جونسـون، الفتـاة التـي تبحـث عنـك اسـمها مـاري، فقدتـك منـذ سـبع سـنوات وظنـت أنـك قـد فارقـت الحيـاة، لقـد طلبـت منّـي أن أبحـث عنـك وأخـبرك أنهـا في باريـس الآن. أووه مـاري، هـل هـي بخـير؟.. نعـم يـا سـيدي هـي بخـير وتريـد رؤيتـك عـما قريـب، هـي تعمـل في متحـف اللوفـر، يمكنـك رؤيتهـا هنـاك. ولمـاذا ألتقـي بهـا في متحـف اللوفـر؟.. سـيد جونسـون، يؤسـفني أن أخـبرك أنهـا تزوجـت ولديهـا

طفلين، أعتقد أنك فهمت الموقف الآن. حسنًا يا سيدي، فهمت. الأمر لا يستحق الحزن الذي أراه في عينيك والشحوب الذي ظهر على وجهك، جميعنا فقد عزيزًا له، عليك أن تشكر الرب أنها على قيد الحياة. الرب الذي أبعدها عني لسبع سنوات حتى تزوجت برجل غيري!!.. سيد جونسون لقد أخبرتني ماري أنك لا تذهب إلى الكنيسة ولا تحب ذلك، لا أعلم ما الذي يمكنني قوله لك لكن فكر في الأمر جيدًا قبل أن تتخذ أي قرار، إن الحياة ليست عادلة يا سيدي، لقد أخبرت ماري أيضًا بهذا الشيء، الجميع لديه رحلة على الأرض سيقوم بها مجبرًا سواء كانت ممتعة أم لا، ثم نعود من حيث أتينا وينتهي الأمر، أعلم كم هو قاسٍ أن تنتظر شيئًا هو في الأصل لم يعد لك، أعلم أنك مررت بسنوات من التيه. وما الذي يدريك؟.. لو كنت تتذكر شيئًا لذهبت إليها قبل أن يحدث ما حدث، لقد أخبرتني أنك فاقد للذاكرة لكن القلب لا يفقد ذاكرته، سيد جونسون قبل أن أذهب إلى حي سبرينج قرأت عنك الكثير في الصحف، إنك شخص مثير للإعجاب بشكل كبير، لقد حققت نجاحًا مميزًا في عملك لكن الآن عليك أن تقرر ما الذي تريده حقًّا، أن تركض إلى الماضي أم تواصل السير نحو المستقبل لتحافظ على الحاضر، لو سألتني السؤال نفسه سأخبرك أن تتمسك بالماضي الذي لك فيه مشاعر وذكريات وتاريخ على حساب الحاضر الذي فُرض عليك أو المستقبل الذي لا تملك فيه شيئًا، السنون لا تعود سيد جونسون والأيام لا تتكرر ولا تتشابه حتى وإن تشابهت الأحداث يبقى لكل لحظة رونقها وشعورها الذي يختلف عن مثيلتها،

فكّـر في الأمـر جيـدًا واتّخـذ القـرار المناسـب، لديـك رقمـي يمكنـك الاتصـال بي متـى شـئت. حسـنًا سـيد أنتـوني، أنـا مُقـدِّر مـا تقـوم بـه مـن أجـلي، سـوف أعـاود الاتصـال بـك عندمـا أريـد ذلـك. حسـنًا سـيد جونسـون، كان لي شرف الحديـث معـك، إلى اللقـاء. إلى اللقـاء.

***

الكثـير مـن المشـاعر قـد اختلطـت، لـدي الكثـير مـن الحـزن والشـوق والحنـين والغضـب، الكثـير مـن التيـه وفقـدان التـوازن والرغبـة في أن يتوقـف كل شيء مـن حـولي، لقـد تزوجـت مـاري عندمـا ظنّـت أننـي ميـت.. اللعنـة عليـك يـا أليكـس! اللعنـة عـلى الفنـدق وعـلى كل شيء! لتخلـد روحـك في الجحيـم أيهـا القـذر، مـاذا عسـاي أن أفعـل الآن؟ هـل أذهـب إليهـا وأقـول لهـا مرحبًـا مـاري لقـد عـدت وأقـوم بتدنيـس طهـر جسـدها وقلبهـا وتخـون زوجهـا أم أظـل وحيـدًا مـا تبقـى مـن عمـري؟! أشـعر بالحـسرة والخيبـات إلى مـا لا نهايـة، هـذا مـا اقترفتـه يـداك يـا أليكـس اللعـين، واسـتكمالًا لحالـة عـدم الاتـزان التـي أمـرّ بهـا، بيرثـا ليسـت في محطـة الوقـود، لا بـد أنهـا كانـت جـزءًا مـن عقـلي المشـوش لكـن الأمـر يسـتحق البحـث عنهـا، لا بـد وأن أحدهـم يعلـم إلى أيـن ذهبـت؟.. مرحبًـا سـيدي. مرحبًـا. كان يوجـد هنـا فتـاة تعمـل في المحطـة اسـمها بيرثـا هـل تغيبـت عـن العمـل اليـوم؟.. لا سـيدي لقـد مـرت بضعـة أيـام ولم تـأتِ. حسـنًا هـل تعلـم أيـن تقطـن؟.. لا أحـد يعلـم، لقـد بحثنـا عنهـا كثـيرًا، كأنهـا تركـت المدينـة كلهـا. حسـنًا أشـكرك.

لا بـد أن جـين قـد أخبرتهـا بـشيء أو أنهـا تركـت كل شيء خلفهـا وذهبـت حتـى لا تقـع في المزيـد مـن المشـكلات.. عـلى أي حـال

فلتذهب إلى الجحيم، لقد انتهى الأمر، لقد عادت ذاكرتي وعلمت أين هي ماري؟ ماذا أريد الآن؟ كل ما علي فعله هو طرد جين من الفندق وإسناد العمل إلى لورا ثم اتخاذ قراري المناسب بشأن ماري.

الرابع عشر من يناير

بعد عودتي إلى الفندق بالأمس قمتُ بالاتصال بلورا وإخبارها بالأمر، قالت إن علي أن أكتب لماري حتى أعلم ما الذي تفكر به قبل أن أتخذ القرار المناسب.. ما زالت جين تمارس صمتها وتمارس عملها في هدوء.. تحدثت إلى السيد أنتوني أيضًا الذي بدوره أخبرني أن أرسل رسالتي لها إلى صندوق بريد المتحف وليس صندوق منزلها، نظرتُ حولي.. الكثير من الأوراق والأقلام لكن قلبي فارغ، لا أعلم ما الذي علي كتابته في رسالتي لها، لكن حاولت أن أستجمع قواي وأن أنظر إلى أعماق قلبي.. وهذه كانت رسالتي:

الرابع عشر من يناير، فندق الرسام جونسون (مبلتوم بل سابقًا)

رسالتي الأولى لكِ عزيزتي ماري بعد سبع سنوات من الوحدة:

كنت أعلم أن لقاءنا لم يكن الحلم الذي رأيته، الظل ليس شيئًا جيدًا، كنتُ أعلم لكن لا أفكر في الأمر، الظل هو الوجه الآخر للحقيقة غير الواضحة وقد يكون الوجه القبيح لها لكن الأمور سارت معنا في مسارها الصحيح وإن تأخرت.. لم أحلم يومًا أن تعود لي ذاكرتي لكن حلمتُ أن يعود الجزء الذي فقدته من قلبي الجزء المجهول الذي بحثت عنه في صمت وتظاهرت بعكس ذلك.. هذا الرجل الذي يكتب هذه الكلمات بداخله طفل يحلم أن يركض ويركل كرات الثلج في الطرقات وإذا ما ضاقت السبل

عليـه احتـواه قلبـك..

كطفـل عـاد إلى أمـه بعدمـا شـعر بالتيـه في زحـام الحيـاة، في سـنوات الحـرب، كل ذلـك خبأتـه في قلبـي وتمنيـت عنـد لقائنـا الأول أعانقـك بشـدة فقـط، أردت رؤيـة النـور في قلبـك في عـالم أصبـح معتـمًا.. وأيـام وإن تعـددت ألوانهـا فهـي سـوداء كالظـل الـذي رأيتـه في كل أحلامـي، كنـت أحـب الألـوان لكنهـا كانـت كئيبـة، كنـتُ أرى الجانـب الموحـش في كل لـون، فالأحمـر قـد يكـون لـون الزهـور ولـون الدمـاء أيضًـا، وكنـتُ أبغـض مـا أفعلـه الآن فـكل رسـائلي إليـكِ لم أكتبهـا، احتفظـتُ بهـا في مـكان أعمـق مـن ظهـر ورقـة حتـى احترقت ولا أدري هـل فعلـت الصـواب أم الخطـأ؟.. عندمـا قـال الطبيـب فقـدت كل شيء لم تعـد تعلـم مـن أنـت، اعـترض عـلى ابتسـامة السـخرية في وجهـي، قـال الأمـر ليـس مضحـكًا سـيد جونسـون، أخبرتـه يكفـي أنهـا تعلـم مـن أنـا فهـي تعلـم ذلـك أكثـر مـما أعلـم، قلـت ذلـك مـرارًا وتكـرارًا وأخـذت أتمتـم بتلـك الكلـمات..

يكفـي أنهـا تعلـم.. يكفـي أنهـا تعلـم.. حتـى شـعر بالتوتـر وسـقطت زجاجـات الـدواء مـن يـده وكاد يـصرخ في وجهـي طالبًـا منـي أن أتوقـف لكنـه كان عاشـقًا ويشـعر بـما أشـعر، حتـى إنـه قـام بعـلاج جروحـي بغلظـة، لم يهتـم لـلآلام التـي في جسـدي، نظـرتُ إليـه متعجبًـا! قـال لـن تشـعر بـشيء أسـوأ مـن شـعورك بفقـدان مـن يعلـم مـن أنـت.. ظلـت الندبـات في جسـدي طـوال تلـك السـنوات عندمـا أتحسسـها أتذكـر ذلـك اليـوم الـذي فقدتـك فيـه لكـن ظلـت رسـائلك التـي احتفظـتُ بهـا معـي دائـمًا أصطحبهـا في كل مـكان أنتقـل إليـه وأقرؤهـا عندمـا أشـعر باليـأس، لم أكـن أعلـم

مَن كتب هذه الرسائل لكن كنتُ أشعر أنها كُتبت من أعماق قلب أحدهم اعتقدت لسنوات أنني سيء حتى ظننت أن هذه الرسائل جاءت إلى غرفتي عن طريق الخطأ أو أن أحدهم وضعها في صندوقي الصغير الذي يحمل ما تبقى من ذكرياتي المحترقة، لقد كان قتالًا شرسًا مع الحياة حتى أحصل... حتى فقدت الأمل... جونسون.

***

بعدما كتبت رسالتي إلى ماري ذهبتُ لوضعها في صندوق البريد، كانت لورا تنتظرني في الريسبشن فقد منعتها جين من الصعود إلى غرفتي، عندما رأيتها علمت بالأمر لكن لم أكترث، أخبرت لورا بكل ما حدث حتى رسالتي إلى ماري، قالت إن علي تذكر الحلم الذي رأيته على مدار سنوات وقالت أيضًا إن الحلم كان يحتوي على لافتة كُتب عليها اسم الحي، لكن كانت محترقة بالكامل لم يبقَ منها سوى حرف (إل).. جونسون عليك أن تبحث، يوجد حي واحد فقط بهذا الاسم إنه حي لوكسري. لكن عزيزتي لم يكن لي علاقة بهذا الحي من قبل. جونسون قد يكون هناك شيء مخبأ هناك وهو قريب من سبرينج عليك أن تذهب، سوف أنتظرك هنا، اذهب وتحقق من حلمك هذه آخر حلقة مفقودة من ذاكرتك عليك أن تعيدها. حسنًا لورا سوف أذهب، سنلتقي في سبرينج بعد ساعة من الآن إذا توصلت لشيء سوف أخبرك. حسنًا عزيزي، إلى اللقاء.

الجزء العاشر

(ماري)

السابع عشر من يناير

كنتُ أقف أمام لوحة جونسون بالساعات كل يوم حتى إنني أهملت دوري الأساسي في المتحف، لقد علمت لماذا كان أنتوني يفعل هذا الأمر، لقد علمت ما الذي كان يشعر به.. سيدة ماري. مرحبًا سيدي، هل أخدمك بشيء؟.. لا أنا أعمل في البريد، هناك بريد من أجلك قادم من أمريكا. أووه حقًّا؟!.. نعم سيدتي، فقط قومي بالتوقيع هنا واستلامه. حسنًا حسنًا.

***

لا بد أنها رسالة من أنتوني يخبرني عن أمر جونسون، يا إلهي إنها رسالة من جونسون، يا إلهي إنه يشعر بي، إنه يعلم أنني أفتقده، جونسون لقد عانقت رسالتك بين ضلوعي مئات المرات وأنا أقرؤها.. تبدو حزينًا يا عزيزي لكن سوف نلتقي، سوف أعود من أجلك ونركل كرات الثلج في الطرقات، أعلم أن الحزن سيطر عليك لسنوات لكن سينتهي كل ذلك، سينتهي الأمر عما قريب، جون أعدك بذلك، لا بد أن أكتب له حتى يشعر بالطمأنينة.. أووه عزيزي جون لقد مضت سنوات، لقد مضى الكثير من الشوق والحنين والحزن وأنت بعيد عني!

***

كأنها الروح عادت إلي من جديد، قمت بالاعتذار إلى إدارة المتحف والعودة للمنزل، كنت أحتضن رسالته طوال الطريق

أضعها على قلبي ممسكة بها بكلتا يداي، كان شعورًا لا يوصف، لقد أرهقتني الحياة وأنا بعيدة عنه، علي أن أدبّر حيلة لأقوم بإرسال رسالتي له دون أن ينتبه ليون، وصلتُ إلى المنزل، كانت السيارة ليست موجودة مما يعني أن ليون في العمل، هذا الوقت مناسب لفعل ما أريد.. أمسكت بقلمي وكتبت له:

جون، لقد تلقيت رسالتك اليوم، لقد شاء القدر أن نبتعد عن بعض لسنوات لكن كل شيء سوف يسير في مساره الصحيح، سوف نلتقي ويمكنك أن تعانقني، كأنك نفخت الروح في جسدي من جديد عندما علمت أنك على قيد الحياة، لقد رأيت لوحتك في متحف اللوفر، ما زلت مبدعًا كما عهدتك، لا أعلم ما الذي يمكنني قوله لك.. إن الحياة قاسية عندما لا نكون مع من نحب، سوف أقوم بتدبير حيلة حتى أراك في أقرب وقت، سوف يعود كل شيء كما كان، أعدك بذلك، سوف نعيد الذكريات التي فقدناها في سنوات الحرب.. لا أعلم لماذا ابتعدت وماذا حل بك؟ لقد بحثت عنك لسنوات حتى فقدتُ الأمل، فقدت روحي في جسد آخر، لقد ذهبت بعيدًا ثم تحملت بعدها الكثير من الحزن على فراقك، لقد كانت خطيئتي التي أرجو أن يغفرها لي الرب أنني لم أنتظرك في لوس أنجلوس لكن تبقى ظلك معي، تبقت كلماتك في تزيين قلبي، تبقى كل شيء منك لدي لكن نحن لم نبقَ سويًّا.

***

كانت الكلمات التي كتبتها لجونسون في عجالة من أمري، لم أكتب له كل ما أشعر به، أو أن كل ما أشعر به لا يمكن وصفه

ببضع كلمات، جاء ليون مبكرًا من عمله قال إن علينا زيارة العم سام في منزل ماجدولين، لم أعترض على الأمر وذهبنا سويًّا إلى هناك، كان العم سام بصحة جيدة ويضحك مع الأطفال كعادته، عانقني بشدة وقال: ماري لقد مضى وقت لم أراكِ. كنت أصلي من أجلك عمي سام، أشكر الرب أنك بخير. أنا بخير لكن اشتقتُ إليكِ، ليون سوف أذهب أنا وماري للسير إلى جانب النهر، هل تسمح لنا بذلك؟.. بالتأكيد عمي سام إنها فرصة جيدة أيضًا لكي تستنشق هواء نقيًّا. هيا بنا ماري، اشتقت إليكِ كثيرًا عزيزتي. حسنًا عمي سام.

خرجتُ من المنزل بصحبة العم سام، كان يبدو عليه أنه يفكر في أمر ما، نظر إلي بعد ما تأكد أننا ابتعدنا عن المنزل وقال: ماري ماذا بكِ؟ أنا أشعر أنكِ على غير عادتك، يبدو أن أمرًا ما حدث بينك وبين ليون، تعلمين لا أستطيع السير لمسافات طويلة لكنها الحيلة الوحيدة حتى نتحدث سويًّا دون أن تسمع ماجدولين ما نقول. عمي سام، جونسون على قيد الحياة. ماذا تقولين؟ جونسون!! نعم منذ أيام قامت إدارة المتحف بتجديد بعض اللوحات ورأيت لوحة لإيزابيل عليها توقيعه واليوم كتب لي رسالة. ماري هل هذا حقًّا صحيح؟.. نعم صحيح. وكيف علم أنكِ في باريس. لقد أرسلت أحدهم للبحث عنه، لا بد أنه عثر عليه وأخبره أن يراسلني. ماري تعلمين الموقف الآن، لديكِ زوج وأطفال، ظهور جونسون الآن في حياتك سوف يُعقّد الأمور، عليكِ التفكير بعقلانية أكثر، عليكِ أن تعلمين أنكِ لستِ بنت العشرين عامًا، كل شيء قد تغير عزيزتي لكن يمكنك الاطمئنان

عليـه والتأكـد أنـه سـيكون بخـير لكـن لديـك زوج وأبنـاء وحيـاة كاملـة أخـرى لا بـد أن تسـتمر بالشـكل الصحيـح، هـل تفهمـين عزيـزتي؟ بالشـكل الصحيـح. نعـم أعلـم عـم سـام، كل مـا أريـده منـك أن نعـود إلى لـوس أنجلـوس في أقـرب وقـت وأن تقنـع ليـون وماجدولـين بالأمـر، كل مـا أريـده أن أراه بخـير بعدهـا سـوف أعـود إلى باريـس وأنسـى الأمـر برمّتـه. حسـنًا عزيـزتي، هـل تعاهديـن الرب عـلى هـذا؟.. نعـم عمـي سـام، أعاهـدك وأعاهـد الـرب عـلى هـذا الأمـر. لنعُـد ولا تتحدثـي في أمـر السـفر، سـوف أتحـدث معهـم أنـا، وعندمـا يسـألك ليـون عـن رأيـك فقـط قـولي كـما يريـد العـم سـام. حسـنًا عمـي، لنعُـد.

الثامن عشر من يناير

استيقظنا جميعًا من النوم وجلسنا على طاولة الفطور، كان الجميع يتلو صلاته ثم نظر العم سام إلى ماجدولين وقال: ماجي، أريد أن أخبرك بشيء عزيزي ليون أنصت إلى ما سوف أقول، ما حدث لي في الأيام التي مضت جعلني أفكر في عدة أمور، إن الأجل يدنو مني، تعلمون أنا في العقد الأخير من عمري وأصبحت مريضًا الآن ولستُ على ما يرام لذلك عزيزتي ماجي عزيزي ليون، كل ما أريده هو رؤية وطني للمرة الأخيرة قبل أن أغادر الحياة، ليس هذا فقط ما أطلبه منكما، أطلب منك ليون أن تسمح لي أن تشاركني ماري رحلتي إلى الوطن ولن نمكث الكثير من الوقت، سنعود سريعًا، أعتقد أنها تريد أيضًا رؤية وطنها فهل تسمحون لنا بذلك. عمي سام، لا يصحّ أن تطلب، تعلم أنني لن أرفض هذا الأمر حتى وإن كنت سأشتاق لماري كثيرًا لكن من حقها أن تزور وطنها في أي وقت لذلك رتّب لهذا الأمر وأنا ليس لدي مشكلة. نعم سام، نحن ليس لدينا مشكلة، كل ما نريده أن تكون بخير فقط. أشكركما أعزائي، أنا ممتن لكما على كل شيء.

لم يقابل طلب العم سام بالرفض بل حصل على ترحيب ليون وماجدولين، فبالرغم من قسوتها لا تستطيع أن ترفض طلبًا له لكن ليون سمح بالأمر فقط لأن الفرصة ستكون سانحة له للذهاب إلى عشيقته التي انتقلت إلى إحدى المدن المجاورة

لباريس، لكن لا يهم، على رؤية جونسون للمرة الأخيرة.

***

الخامس والعشرون من يناير

وصلنا إلى أرض الوطن أنا والعم سام، لم يتغير الكثير منذ سبع سنوات، فقط قاموا بإزالة حطام المباني الذي خلّفته الحرب، الأمور جيدة بنسبة كبيرة هنا، ما زال شاطئ لوس أنجلوس كما هو، تهبط عليه الملائكة في الليل وتُلقى عليه أمنيات العشاق في النهار.. ذهبنا إلى منزل إيزابيل من جديد، كل شيء في مكانه كما تركته هي قبل أن ترحل، هنا حيث كان يقف جونسون يودعني على باب المنزل، هنا حيث الذكريات التي فقدتها من سنوات، حيث كل شيء جميل حتى في سنوات الحرب.. عند وصولي إلى أرض الوطن قمت بشراء إحدى الصحف كان عليها صورة جونسون، نظر إليها العم سام وقال لم يتغير كثيرًا عن السابق، لكن نظرتُ إليها أنا بعين قلبي، لقد أصبح أجمل من السابق، ظللتُ أنظر إلى صورته لساعات وساعات حتى ذكّرني العم سام بالعهد الذي عاهدت الرب عليه ثم قال علينا أن نستريح اليوم وفي الغد نبحث عن جونسون أو نذهب إلى الفندق لرؤيته.. كلما أتذكر أن غدًا سوف أراه يخفق قلبي بشدة وتتسارع أنفاسي، لا أعلم كيف سيكون لقائنا بعد سنوات من الغياب، عاد العم سام يجلس على الكرسي الخشبي ويتصفح الصحف الورقية ويدخن بشراهة وعدت أجلس أمام النافذة الزجاجية كأن كل شيء عاد مثل ما قبل السبع سنوات.. ظللتُ طوال الليل أنظر

إلى ساعتي وأنتظر أن تمرّ الساعة تلو الأخرى.. أنتظر هذا الأمر بالكثير من الشوق والحنان، لا أريد سوى أن أعانقه للمرة الأخيرة، لا أريد سوى أن أخبره أنني لم أتخلَّ عنه، لم أذهب بإرادتي.

***

السادس والعشرون من يناير

استيقظتُ على صوت العم سام، كان يجلس بجواري على الفراش، أخبرته أنني سأكون جاهزة في خلال دقائق.. ارتديتُ فستانًا أسود مطرزًا باللون الذهبي، كان جونسون يحب هذا اللون.. كان قلبي لا يتوقف عن الخفق بسرعة كبيرة، خرجنا من المنزل وصعدنا إلى سيارة أجرة، أخبر العم سام السائق أننا نريد الذهاب لفندق مبلتوم بل، فقال السائق أن هذا اسمه في السابق إنه الآن فندق الرسام جونسون، كنتُ أشعر بسعادة غامرة عندما سمعتُ ذلك، كنتُ أشعر بسعادة عند رؤية صوره في الصحف أو معلقة على الجدران في الطرقات، ظلّ قلبي يخفق بشدة كلما اقتربنا من الفندق، حتى توقفت السيارة أمام باب الفندق شعرت برغبتي في البكاء بشدة، قال العم سام عليكِ التماسك حتى لا يشعر بالسوء عند رؤيتك.. دخلنا إلى الفندق، كانت هناك فتاة تجلس في الريسبشن، رحّبت بنا كثيرًا وقالت كيف أستطيع مساعدتكما. سيدتي أريد أن ألتقي بالسيد جونسون. هل هذا بشأن عمل أو ما شابه؟.. لا سيدتي، إنها علاقة شخصية. حسنًا ما اسمك؟.. أنا ماري وهذا العم سام،

من فضلك أخبريه أنني أنتظره. يا للهول! آنسه ماري؟.. نعم، هل هناك خطب ما؟!.. نعم، أخشى أن السيد جونسون ليس هنا الآن، أنا أعرفك جيدًا، لقد تحدّث لي جونسون عنكِ كثيرًا. حسنًا ما اسمك سيدتي؟.. اسمي لورا. حسنًا آنسة لورا، أين هو السيد جونسون؟.. في الحقيقة إنه في المستشفى. أووه! يا إلهي هل حدث له أي مكروه؟!.. نعم، لقد تعرّض لحادث منذ أيام وهو الآن يتلقى الرعاية في مستشفى سبرينج، يمكنك الذهاب إليه أو الإقامة هنا في الفندق حتى يصبح بصحة جيدة. آنسة لورا، أخبريني ما الذي حلَّ به من فضلك؟.. إنها قصة طويلهة سيدتي، لكن سوف أخبرك القليل منها، هل تذكرين الحلم الذي كان يراه جونسون؟ هل أخبرك به من قبل؟.. نعم نعم، أخبرني. لقد ذهب السيد جونسون إلى المنزل الذي كان يراه في الحلم، وقف أمامه حتى يعلم ما السر وراء هذا المنام المزعج الذي يراوضه كل ليلة، لكن شاء القدر أن إحدى العاملات في الفندق كان تبغض السيد جونسون بشدة، عندما كان ينظر إلى المنزل جاءت من خلفه وأطلقت النار عليه، لكن الرب أراد أن يظل على قيد الحياة فالرصاصة أصابته فقط ولم تخترق جسده، تسببت له في جرح عميق بعض الشيء فقط وهو الآن في المستشفى يتلقى الرعاية، لقد أخبرنا الأطباء أن الأمر بسيط وسوف يكون بخير قريبًا. يا للهول عم سام! هل سمعت ما حدث عم سام، هل علمت أنه بحاجة إلى أن أكون بجواره، هل علمت أن دقات قلبي لا تخطئ؟ يا إلهي ما الذي حلّ به من جديد؟ جونسون المسكين، أتمنى أن تكون بخير. آنسة ماري،

لـدي مفتـاح غرفـة السـيد جونسـون، بهـا كل أغراضـه، يمكنـك أن تمكثـي بهـا حتـى يعـود، قـال الأطبـاء إنـه سـيعود قريبًـا جـدًّا. عزيزتي مـاري، يمكننـا الذهـاب الآن والعـودة عندمـا يكـون بخـير. لا عمـي سـام، لقـد حـدث هـذا مـن قبـل وفقدتـه لسـبع سـنوات، لـن أبـرح مـكاني حتـى يعـود إلى الفنـدق أو أذهـب لرؤيتـه في مستشـفى سـبرينج الآن. حسـنًا حسـنًا عزيـزتي، لنذهـب إلى مستشـفى سـبرينج. آنسـة لـورا نحـن ممتنـين لـكِ عـلى كل شيء. إلى اللقـاء.

***

كان يعلـم أنهـا نهايـة كل شيء، لكـن القـدر أراد شـيئًا آخـر.. سـكن جـدران المستشـفى لأيـام عديـدة، نـال منـه الحـزن مـا نـال ثـم عـاد إلى الفنـدق يجـرّ ذيـول الخيبـة، لكـن تـرك هـذه الرسـالة قبـل رحيلـه كأنـه علـم أن أمـر عـودتي إلى باريـس دون رؤيتـه حتمـي، يـداه كانـت ترتعـش، لم أفهـم بعـض الكلـمات.. تسـاقطت بعـض قطـرات الحـبر عـلى الـورق أيضًـا وفي مسـتهل رسـالته كتـب اسـمي كأننـي أمامـه يتحـدث إلي:

مـاري، لقـد سـقطتُ أرضًـا قبـل بضـع أيـام، كنـت أنتظـر عودتـك أنظـر إلى المنـزل أنتظـر ظلّـك الـذي سـيعلن عـن قدومـك، لقـد انتظـرت سـبع سـنوات.. لم يمـضِ الكثـير مـن الوقـت، كانـت الشـمس في طريقهـا للمغيـب، شـعرت بـألم في صـدري، إنـه ليـس الحنـين، كنـت أنـزف دمًـا ثـم اختـل تـوازني وسـقطت، كانـت المـرة الثانيـة التـي أشـعر بـألم في قلبـي لكـن هـذه المـرة كانـت حـرارة الرصاصـة التـي اخترقـت ضلوعـي مضـت لحظـات مـا بـين المـوت والحيـاة، شـاهدت وجـه مـن أطلقهـا، علمـت مَـن هـو؟ لم أكـترث، لم

أطلـب الغفـران مـن الـرب.. في لحظـاتي الأخـيرة كنـت أطالـب قلبـي بمزيـد مـن الصمـود لعلـكِ تأتـين قبـل أن أفـارق الحيـاة، انعدمـت الرؤيـة شـيئًا فشـيئًا، الألـوان أصبحـت رماديـة والرصاصـة أصبحـت بـاردة وجسـدي أيضًـا.. حرّكـت رأسي أنظـر إلى السـماء لا أرى شـيئًا، لم أمـت بعـد، مـا زلـت أدرك مـا يحـدث، مـا زلـت أنتظـرك، لا أسـمع سـوى قرقعـة نعـل أحدهـم يقـف بجـواري ينتظـر مـوتي، ينظـر إلي ويبتسـم.. ظننـت أن الأمـر قـد انتهـى وأنـه أحـد ملائكـة الـرب جـاء يخلصنـي مـن آلامـي، لم أظـن أنـه قاتـلي مبتهـج بـما فعـل. عندمـا أدركـت الأمـر أغمضـت عينـي، استسـلمت فقـط، فـإن لم أمـت بالرصاصـة الأولى فسـوف يطلـق الثانيـة لكـن دعـوت الـرب أن يحرقـه في الجحيـم لأنـه أبعـدني عنـكِ، لـو كان أرسـل لي تهديـدًا كنـت سـأطلب منـه أن يختـار يومًـا آخـر لفعـل ذلـك، لقـد تحمـل خطيئـة فراقنـا ليـس خطيئـة القتـل فأنـا أردت ذلـك أكثـر منـه.

الجزء الأخير

(جونسون)

الرابع عشر من يناير (يوم الحادث)

كما أخبرتني لورا أن علي البحث عن المكان الذي رأيته في منامي على مدار السنوات التي مضت، ذهبتُ إلى حي «لوكسري» فهو الحي الوحيد الذي يحمل حرف (إل)، تنقلت بين المباني والطرقات، كان هذا الحي مخصص لإقامة النازحين من الأحياء الأخرى بما في ذلك حي سبرينج الذي تعرض للعديد من القذائف العشوائية.. ما أرجح أن يكون قد حدث هو أن ماري أقامت في هذا الحي وهذا سبب رؤيتي له في المنام كل ليلة، تحدثت مع عمدة الحي وبعض المسؤولين، قمت بالاطلاع على أسماء الأسر التي نزحت إلى الحي، لا يوجد سوى ماري واحدة وكان يعيش معها رجل في العقد الأخير من عمره يدعى سام، أعتقد أنه يقربها، أخبرني الشرطي أنها كانت تقيم في منزل رقم ٦ وهو على أطراف الحي، ذهبتُ إلى المنزل أعلم أنها ليست بالداخل لكن توقفت قليلًا، كانت الشمس في طريقها للمغيب واللافتة التي رأيتها محترقة في منامي الآن هي كاملة ورقم المنزل كما رأيته حتى جدران المنزل كما رأيتها كأنني الآن داخل هذا الحلم المزعج.. لم أعلم ما الذي علي فعله حقًّا، لقد توقف عقلي عن التفكير، الشمس ما زالت تنخفض ما يعني أنه لن يكون هناك ظل بعد ساعة من الآن تقريبًا لذا علي الرحيل والتوقف عن التفكير في هذا الأمر، لكن حدث ما كنت أنتظره، لقد ظهر

ظل فتاة على حائط المنزل، أخذ يقترب ويتركز ويتضح كأنه فتاة تسير خلفي متجهة إلي مباشرة حتى اقترب الظل كثيرًا وشعرت بالفتاة تقف خلفي تمامًا، أدرت وجهي لكن كانت جين تنظر إلي في غضب شديد، لم أتفوّه بأي كلمة، نظرت إليها نظرة تحدٍّ بها الكثير من الغضب والكراهية وأخبرتها أن الأمر قد انتهى وأن ذاكرتي قد عادت إلي وأن أمرها قد افتضح وسوف تكون في السجن عما قريب، كانت تنظر إلي دون أن تتفوه بكلمة لكنها ابتسمت بسخرية من كلامي وأخرجت المسدس من حقيبتها الذي قتلت به أليكس وقالت: «كان لا بد أن تلحق بأليكس في أقرب وقت».

***

السادس والعشرون من يناير (بعد مرور ١٢ يومًا على الحادث)

سمع سكان حي سبرينج صوت إطلاق النار فخرج جميع من في المنزل، كنت ملقى على الأرض، لقد علم الجميع من أنا فقاموا بنقلي إلى المستشفى سريعًا، عندما أصابتني رصاصة جين لم أفارق الحياة، كنت أعي ما يحدث حولي، وقفت بجواري لدقائق تنظر إلي وتبتسم كأنها كانت تريد ذلك حقًّا منذ زمن بعيد، عندما علمت أنها لم ترحل بعد استسلمت وظننت أنها ستطلق الرصاصة الثانية وأنا ملقى أمامها على الأرض لكن خروج سكان المنزل في هلع جعلها تفرّ هاربة سريعًا.. كنت أنظر حولي أنتظر رؤية الملائكة، علمت أنها النهاية وأصبحت

الألـوان رماديـة أمامـي ولم أعـد أسـمع مَـن حـولي حتـى صراخ الأطفـال عنـد رؤيـة الدمـاء حـولي عـلى الأرض، لكـن مـا زال عقـلي يـدرك مـا يحـدث ثـم لم أشـعر بـشيء بعدهـا اسـتفقت في مستشـفى سـبرينج، كان الطبيـب يتحـدث مـع لـورا دون أن ينظـر إلي، لم أسـمع مـا قـال لكـن لـورا ابتسـمت ووضعـت يدهـا عـلى صـدري وقالـت بعـض الكلـمات التـي لم أسـمعها أيضًـا كنـت غـير مـدرك مـا يحـدث حـولي حتـى جـاء الطبيـب وقـام بحقنـي بـشيء مـا أعـاد إلي تركيـزي وبـدأت أسـمع بوضـوح مـا يـدور حـولي... سـيد جونسـون هـل تسـمعني؟.. نعـم أسـمعك، مـا الـذي حـدث؟.. لا تقلـق يـا سـيدي، لقـد أراد الـرب أن تظـل عـلى قيـد الحيـاة كـما أراد في المـرة الأولى، مـن الجيـد أن مَـن أطلـق النـار عليـك ليـس محترفًـا في اسـتخدام السـلاح، لقـد أصابـت الرصاصـة صـدرك فقـط لكنهـا كانـت إصابـة سـطحية تسـببت في جـرح عميـق لكـن سـوف يُشـفى مـع الوقـت، أنـت الآن بخـير. حسـنًا دكتـور تومـاس، أنـا مديـن لـك بحيـاتي مرتـين الآن. نشـكر الـرب أنـك بخـير سـيد جونسـون، آنسـة لـورا يمكنـك التحـدث معـه هـو بخـير. عزيـزي جونسـون، كيـف تشـعر الآن؟.. أنـا بحـال جيـد لـورا، لقـد اتضحـت الأمـور الآن، الظـل كان جـين وليـس مـاري. جونسـون لا تفكـر في الأمـر، فقـط عليـك أن تسـتريح، لقـد مـر ١٢ يومًـا وأنـت هنـا في المستشـفى منـذ الحـادث، كنـت أصـلي مـن أجـل أن تكـون بخـير. الكثـير مـن الأيـام مضـت ولم أشـعر بهـا فلـن أتعجـب أن هـذا حـدث، لـورا هـل حـدث شيء مـا؟ هـل تعلمـين أيـن ذهبـت جـين؟.. لقـد علـم الجميـع بالأمـر وقامـت الشرطـة بفتـح تحقيـق وهـي الآن هاربـة مـن

العدالـة، لا أحـد يعلـم أيـن ذهبـت؟.. سـتهرب مـن الأرض لكنهـا لـن تهـرب مـن عدالـة السـماء. عدالـة السـماء! جونسـون، حسـبتُ أنـك لا تؤمـن بالسـماء. الكثـير مـن الأمـور قـد تغـيرت لـورا، هـل اتصلـت مـاري أو أرسـلت بريـدًا مـن باريـس؟.. عزيـزي جونسـون يؤسـفني أن أخـبرك أن مـاري جـاءت لرؤيتـك في المستشـفى، كنـت تحـت الرعايـة، نظـرت إلى وجهـك وتحسسـته بيدهـا ثـم غـادرت مسرعـة، لا أعلـم عـادت إلى باريـس أم لا.. أووه يـا للهـول! لمـاذا لم تنتظـر حتـى أسـتفيق؟.. جونسـون، هـوّن عليـك، لقـد كتبـت لـك رسـالة وتركتهـا معـي لا بـد أنهـا شرحـت الأسـباب التـي لديهـا في رسـالتها، تفضّـل هـذه هـي.

***

السادس والعشرون مـن ينايـر.. رسـالتي الأخيـرة لـك جونسـون..

قطعـتُ أميـالًا مـن باريـس إلى لـوس أنجلـوس حتـى يتسـنى لي رؤيتـك، كان قلبـي معلقًـا بـين الأرض والسـماء كالطائـرة التـي جئـت بهـا إليـك، لقـد علمـتُ بالحـادث الـذي تعرضـت لـه، لا أعلـم مـن الـذي فعـل هـذا الـشيء لكـن أعلـم أنـه سيء بـما يكفـي.. عزيـزي جونسـون، كنـت أتمنـى أن أظـل إلى جـوارك لكننـي اكتفيـتُ بالنظـر إلى وجهـك للمـرة الأخـيرة في عمـري، لقـد قطعـتُ عهـدًا للـرب أن أعـود إلى باريـس وأن أعيـش مـا تبقـى مـن حيـاتي في خدمـة زوجـي وأطفـالي وأن أقـوم ببنـاء أسرة مسـتقرة وصالحـة لذلـك عـدتُ مـن حيـث أتيـت، لا أعلـم هـل فعلـت الصـواب أم الخطـأ؟ لكـن

أعلم أن لدي حياة لا بد أن أعيشها بشكلها الصحيح.. لم أغادر المستشفى حتى تأكدت أنك أصبحت بخير لكن لم أرِد أن أظل حتى تستفيق، لعل ذلك الأمر كان سيحول بيني وبين تنفيذ العهد الذي قطعته للرب والعم سام.. أنا فخورة بما وصلت إليه جونسون وأعلم أنك ستظل بخير... ماري.

***

جونسون، جونسون.. هل أنت بخير؟.. نعم لورا أنا بخير. جونسون ماذا كتبت ماري في رسالتها؟.. لا شيء لورا. جونسون، يظهر الحزن على وجهك، أخبرني بالأمر، هل ستعود ماري إلى باريس؟.. نعم ستعود، لقد أخبرتني أنها قطعت عهدًا على نفسها للرب أن تستكمل ما تبقى من عمرها في خدمة زوجها وأطفالها وأن عليها أن تعيش حياتها بالشكل الصحيح. جونسون لا أعلم ما الذي يمكنني قوله. لورا أريد أن أغادر المستشفى، من فضلك أخبري الطبيب بهذا الأمر. حسنًا لكن عليك أن تأخذ قسطًا من الراحة قبل أن تغادر. لورا ظللتُ لأشهر أتمنى أن تعود لي ذاكرتي، لم أكن أعلم أن عودتها ستكون سبب شقائي، لقد خذلني الجميع، لقد فقدتُ كل شيء، كل ما جنيته من مال وشهرة لم يعوضني عن ما خسرت، أنا الآن بمفردي كما كنت قبل سبع سنوات. جونسون أنا معك، أنا هنا من أجلك. أتمنى أن يظل هذا الأمر إلى الأبد لورا، أتمنى أن لا أفقدك ولا أفقد عزيزًا مرة أخرى.

النهاية

مزاج الكتب
للنشر والتوزيع
Email: mazagelkotob@gmail.com

Mobile: 01024541339